وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم علوم اللسان

محـــــاضرات
فـــي النظريـــات اللغوية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

تخصص: لسانيات عامة

إعدادالاستاذة: تريعة بركاهم

السنة الجامعية : 2025-2026

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
المجلس العلمي
لكلية اللغة العربية و آدابها واللغات الشرقية
جامعة الجزائر 2

أ.د. كوراد رشيد
رئيس المجلس العلمي للكلية

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
جامعة الجزائر 2
اللغة العربية
لقسم علوم اللسان

محمد حمراوي
رئيس اللجنة العلمية للقسم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة الجزائر2
أبو القاسم سعد الله
كلية اللغة العربية وآدابها
واللغات الشرقية

Université Alger 2
Abou El kacem Saad Allah
Faculté de Langue et Littérature
Arabes et Langues Orientales

رئيس المجلس العلمي

Le président de conseil scientifique

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

يوم 29 أفريل 2026

القرار رقم 2026/192:

صادق المجلس العلمي للكلية على المطبوعة البيداغوجية بعنوان: "محاضرات في مقياس النظريات اللغوية، تخصص: لسانيات عامة، طلبة السنة الأولى ماستر"، للأستاذة: تريعة بركاهم، وذلك بعد عرضها للخبرة (قسم علوم اللسان).

توقيع رئيس المجلس العلمي

أ. د. كلواد رشيد
رئيس المجلس العلمي للكلية

توقيع العميد الكلية

عميد الكلية
اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
جامعة الجزائر 2

عميد كلية اللغة العربية
وآدابها واللغات الشرقية
أ. د. بوركيسة علي

مقدمة:

يُعدّ مقياس النظريات اللغوية من المقاييس الأساسية في التكوين اللساني الجامعي، لما له من دور محوري في تعريف الطالب بطبيعة اللغة ومناهج دراستها العلمية. يهدف هذا المقياس إلى تتبع تطور التفكير اللغوي عبر مختلف المراحل والمدارس اللسانية، من التصورات التقليدية إلى النظريات الحديثة والمعاصرة. كما يسعى إلى تمكين الطالب من فهم المفاهيم والمصطلحات اللسانية الكبرى التي تشكل أساس التحليل اللغوي. ويُعنى المقياس بإبراز الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي انبثقت عنها كل نظرية لغوية. ويساعد هذا المدخل على إدراك اختلاف المقاربات وتعدد زوايا النظر إلى الظاهرة اللغوية. كما يساهم في تنمية القدرة على المقارنة والنقد والتحليل العلمي للنظريات. ويركز المقياس على الربط بين الجانب النظري والتطبيقات اللغوية الممكنة. ويؤسس بذلك لرؤية علمية منهجية في دراسة اللغة. ويُعد هذا المدخل إطارًا توجيهيًا لفهم محتويات المقياس وأهدافه التعليمية. ومن ثمّ، يشكل مقياس النظريات اللغوية قاعدة معرفية ضرورية لبقية المقاييس اللسانية المتخصصة.

وفي هذا الإطار، هذه مجموعة من المحاضرات في النظريات اللغوية موجهة بصفة خاصة إلى طلبة السنة الأولى ماستر من نظام ل.م.د . وفق المقرر الوزاري المتضمن مفردات مقياس النظريات اللغوية ، حيث تضمن المقرر الموضوعات الآتية:

المحاضرة 1: مدخل إلى علم اللغة والنظريات اللغوية

المحاضرة 2: الفكر اللغوي القديم (التراث اللغوي)

المحاضرة 3: فقه اللغة المقارن والنحو التاريخي

المحاضرة 4: فرديناند دو سوسير وبدايات اللسانيات الحديثة

المحاضرة 5: المدرسة البنيوية الأوروبية

المحاضرة 6: البنيوية الأمريكية

المحاضرة 7: النحو التوليدي التحويلي (تشومسكي – المرحلة الأولى)

المحاضرة 8: تطور النحو التوليدي (البرنامج الأدنى)

المحاضرة 9: النظريات الوظيفية في اللغة

المحاضرة 10: التداولية (Pragmatics)

المحاضرة 11: اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

المحاضرة 12: اللسانيات الاجتماعية

المحاضرة 13: اللسانيات الإدراكية

المحاضرة 14: مقاربة مقارنة وتقييم النظريات اللغوية

1. تعريف علم اللغة (Linguistics)

يمكن تعريف علم اللغة (Linguistics) بأبسط صورة على أنه "الدراسة العلمية للغة الإنسانية". هذا التعريف، على إيجازه، يحمل في طياته أبعاداً منهجية وفلسفية عميقة تميز هذا الحقل عن غيره من الدراسات اللغوية التقليدية. فالسمة الأساسية التي تمنح علم اللغة طابعه الفريد هي صفة "العلمية". وتعني الدراسة العلمية هنا أن اللساني يتعامل مع اللغة كظاهرة طبيعية قابلة للملاحظة والتحليل الموضوعي، تماماً كما يتعامل عالم الأحياء مع الكائنات الحية أو عالم الفيزياء مع الظواهر المادية (الجارم، 2018).

تتأسس هذه العلمية على ثلاثة أركان رئيسية:

أولاً: المنهجية التجريبية (Empirical): يعتمد علم اللغة على جمع البيانات اللغوية الملموسة من استخدام المتكلمين الفعليين للغة، سواء كانت هذه البيانات نصوصاً مكتوبة، أو تسجيلات صوتية للمحادثات اليومية، أو استجابات المتكلمين لتجارب لغوية مصممة.

ثانياً: الموضوعية (Objective): يسعى اللساني إلى وصف اللغة كما هي عليه في الواقع، دون إصدار أحكام قيمية أو فرض قواعد معيارية. فمهمته ليست تحديد ما "يجب" أن يقوله الناس(Prescriptive) ، بل وصف وتحليل ما "يقولونه" بالفعل .(Descriptive) هذا الموقف يميز بوضوح بين اللساني الحديث والنحوي التقليدي.(Carter, 2020)

ثالثاً: التنظيم المنهجي (Systematic): يحلل علم اللغة اللغة بوصفها نظاماً متكاملاً من القواعد والمبادئ المترابطة، وليس مجرد مجموعة عشوائية من الكلمات والعبارات. فهو يبحث عن الأنماط المتكررة والبنى الكامنة التي تحكم جميع مستويات اللغة.

يشمل نطاق علم اللغة جميع جوانب البنية اللغوية واستخدامها. ويمكن تقسيمه إلى مستويات تحليلية رئيسية، تبدأ من أصغر الوحدات وصولاً إلى أعقدها:

- **علم الأصوات (Phonetics & Phonology):** يدرس الأصوات اللغوية من حيث إنتاجها المادي وإدراكها السمعي(Phonetics) ، وكيفية انتظام هذه الأصوات في نظام صوتي خاص بلغة معينة.(Phonology)
- **علم الصرف (Morphology):** يدرس بنية الكلمات وكيفية تكوينها من وحدات صرفية أصغر (Morphemes) تحمل معنى أو وظيفة نحوية.

- **علم النحو (Syntax):** يدرس قواعد تركيب الكلمات لتكوين جمل صحيحة نحوياً، والبنية الهرمية للجمل.
- **علم الدلالة (Semantics):** يدرس معنى الكلمات والجمل بمعزل عن سياق الاستخدام.
- **علم التداولية (Pragmatics):** يدرس المعنى في سياق الاستخدام، وكيف يفهم المستمعون ما يقصده المتكلمون حتى لو لم يتم التعبير عنه حرفياً.

بالإضافة إلى هذه المستويات الأساسية، تتفرع اللسانيات إلى حقول بينية مثل اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، واللسانيات الحاسوبية، مما يجعلها حقلاً معرفياً واسعاً ومتشعباً.

2. مفهوم النظرية العلمية

قبل الخوض في تفاصيل النظريات اللغوية، من الضروري أولاً فهم المقصود بمصطلح "نظرية" في السياق العلمي. في الاستخدام اليومي الشائع، قد تعني كلمة "نظرية" مجرد حدس أو تخمين أو رأي شخصي. أما في العلم، فالمصطلح يحمل وزناً أكبر بكثير. النظرية العلمية ليست مجرد فكرة عابرة، بل هي "إطار تفسيري شامل ومُحكَم، يهدف إلى شرح مجموعة من الحقائق أو الظواهر المترابطة، ويستند إلى أدلة تجريبية قوية تم التحقق منها مراراً وتكراراً" (عباس، 2019، ص. 45).

تتميز النظرية العلمية بعدة خصائص جوهرية تجعلها حجر الزاوية في أي بحث علمي رصين. من أبرز هذه الخصائص:

1- القوة التفسيرية (Explanatory Power): لا تكتفي النظرية بوصف الظواهر، بل تسعى إلى الإجابة عن سؤال "لماذا؟". فهي تقدم آلية أو مجموعة من المبادئ التي تفسر سبب حدوث الظواهر بالشكل الذي نلاحظه. في اللسانيات، لا تصف النظرية قاعدة نحوية فحسب، بل تحاول تفسير سبب وجود هذه القاعدة وما هي المبادئ العقلية التي تنتجها.

2- القوة التنبؤية (Predictive Power): النظرية الجيدة لا تفسر الماضي والحاضر فقط، بل تتنبأ أيضاً بما يمكن أن نلاحظه في المستقبل. يمكن للنظرية اللغوية أن تتنبأ بأنواع

التراكيب النحوية الممكنة وغير الممكنة في لغة ما، أو أن تتنبأ بالصعوبات التي سيواجهها متعلم لغة أجنبية بناءً على الفروق بين نظامه اللغوي ونظام اللغة الهدف.

3- القابلية للدحض أو التكذيب (Falsifiability): هذه السمة، التي أبرزها الفيلسوف كارل بوبر، تعد معياراً للتمييز بين العلم واللاعلم. النظرية العلمية يجب أن تكون مصاغة بطريقة تجعل من الممكن اختبارها ودحضها. أي أنه يجب أن يكون من الممكن تصور ملاحظة أو تجربة تتعارض مع تنبؤات النظرية. إذا كانت النظرية قادرة على تفسير كل شيء دون استثناء، فهي لا تفسر شيئاً في الواقع (عباس، 2019).

4- البساطة والإيجاز (Parsimony/Occam's Razor): عند وجود نظريتين متنافستين تمتلكان نفس القوة التفسيرية، يميل العلماء إلى تفضيل النظرية الأكثر بساطة، أي تلك التي تفترض أقل عدد من المبادئ أو الكيانات المجردة.

بناءً على ذلك، فإن النظرية اللغوية ليست مجرد مجموعة من القواعد النحوية، بل هي نموذج (Model) مجرد للعقل/الدماغ البشري، يحاول محاكاة وتفسير القدرة اللغوية الفطرية لدى الإنسان. إنها فرضية كبرى حول طبيعة اللغة وكيفية تمثيلها ومعالجتها في الذهن (Smith, 2021).

3. الفرق بين الوصف اللغوي والتنظير اللغوي

يُعد التمييز بين الوصف (Description) والتنظير (Theorizing) من المفاهيم الأساسية في منهجية البحث اللساني. على الرغم من ارتباطهما الوثيق، فإنهما يمثلان مستويين مختلفين من التحليل، لكل منهما أهدافه وأدواته الخاصة. يمكن تشبيه العلاقة بينهما بالعلاقة بين جمع الأدلة في مسرح جريمة (الوصف) ووضع فرضية متكاملة حول كيفية وقوع الجريمة ومن هو الفاعل (التنظير).

3.1. الوصف اللغوي (Linguistic Description)

يركز الوصف اللغوي على الإجابة عن سؤال: "ماذا يوجد في اللغة؟". الهدف الأساسي للعمل الوصفي هو تقديم سجل دقيق ومفصل للظواهر اللغوية في لغة معينة أو لهجة محددة كما يستخدمها أهلها بالفعل. يتضمن هذا العمل مهام مثل:

- جمع مدونة لغوية (Corpus) من خلال التسجيلات الميدانية أو النصوص المكتوبة.

- تصنيف الأصوات الموجودة في اللغة وتحديد قواعد توزيعها (Phonological rules).
- تحليل بنية الكلمات وتحديد أنواع المورفيمات وقواعد اشتقاقها وتصريفها.
- استخلاص القواعد النحوية التي تحكم ترتيب الكلمات في الجمل.
- إعداد قائمة بالكلمات (معجم) مع شرح معانيها.

المنتج النهائي للعمل الوصفي هو ما يعرف بـ "النحو الوصفي (Descriptive Grammar)" للغة ما. هذا النوع من النحو يختلف جذرياً عن "النحو المعياري (Prescriptive Grammar)" الذي يهدف إلى فرض قواعد "صحيحة" للاستخدام. فاللساني الوصفي لا يهتم بما إذا كان تركيب ما "صحيحاً" من منظور أكاديمي، بل يهتم بما إذا كان مستخدماً بشكل طبيعي من قبل المتكلمين الأصليين (Carter, 2020). على سبيل المثال، قد يصف اللساني استخدام "ليس" مع الضمائر في لهجة عامية معينة، حتى لو كان هذا الاستخدام يخالف قواعد الفصحى.

3.2. التنظير اللغوي (Linguistic Theorizing)

بينما يتوقف الوصف عند حدود لغة معينة، يذهب التنظير إلى ما هو أبعد من ذلك، محاولاً الإجابة عن سؤال: "لماذا اللغة على ما هي عليه؟". يسعى المنظّر اللغوي إلى اكتشاف المبادئ العامة والمجردة التي تكمن وراء الظواهر اللغوية الموصوفة، والتي قد تكون مشتركة بين جميع اللغات البشرية. يهدف التنظير إلى بناء نماذج تفسيرية للقدرة اللغوية الإنسانية (Smith, 2021).

على سبيل المثال، قد يلاحظ اللساني الوصفي أن الفاعل في اللغة العربية والإنجليزية واليابانية يسبق المفعول به في الجملة الخبرية الأساسية. هنا، يأتي دور المنظّر ليقترح مبدأً كلياً(Universal Principle) ، مثل "مبدأ الرأس (Head Parameter) "في النحو التوليدي، الذي يمكن أن يفسر هذا النمط وغيره من أنماط ترتيب الكلمات عبر لغات العالم. التنظير بطبيعته مجرد، فهو يتعامل مع مفاهيم مثل "البنية العميقة"، و"الحركة"، و"القيود"، وهي كيانات ليست قابلة للملاحظة المباشرة، بل يتم افتراضها لتفسير البيانات المرصودة.

4. العلاقة التكاملية بين الوصف والتنظير

من الخطأ النظر إلى الوصف والتنظير كنشاطين منفصلين أو متعارضين. فالعلاقة بينهما هي علاقة تكاملية وديناميكية، حيث يغذي كل منهما الآخر في حلقة مستمرة من التقدم العلمي. لا يمكن أن يوجد تنظير لغوي قوي بدون أساس متين من الوصف الدقيق، كما لا يمكن أن يكون الوصف ذا معنى عميق بدون إطار نظري يوجهه وينظم نتائجه. وكما تؤكد كارتر (Carter, 2020)، فإن العلاقة بينهما هي علاقة تكافلية.(Symbiotic)

أولاً، الوصف يغذي التنظير:

تمثل البيانات اللغوية التي يتم جمعها من خلال العمل الوصفي المادة الخام التي تعمل عليها النظريات. فالنظريات اللغوية تُبنى لاختبار مدى قدرتها على تفسير هذه البيانات. عندما يكتشف اللسانيون الوصفيون ظاهرة جديدة في لغة نائية، فإن هذه الظاهرة تصبح بمثابة تحدٍ للنظريات القائمة. فإما أن تكون النظرية قادرة على استيعاب هذه الظاهرة وتفسيرها، مما يعزز من قوتها، أو أنها تعجز عن ذلك، مما يستدعي تعديل النظرية أو حتى التخلي عنها لصالح نظرية جديدة أكثر قدرة على التفسير. وبهذا المعنى، فإن الوصف هو المحك الذي تُختبر به النظريات.

ثانياً، التنظير يوجه الوصف:

لا يمكن للباحث الوصفي أن يجمع كل شيء عن لغة ما، فالبيانات اللغوية لا حصر لها. هنا يأتي دور النظرية لتوجيه الباحث وتحديد ما هو مهم ومثير للاهتمام. النظرية تزود الباحث بـ "خارطة طريق"، حيث تقترح عليه أنواع الأسئلة التي يجب أن يطرحها، والظواهر التي يجب أن يبحث عنها. على سبيل المثال، إذا كانت نظرية ما تفترض وجود قيود معينة على حركة الكلمات في الجملة، فإن الباحث الوصفي الذي يعمل ضمن هذا الإطار النظري سيبحث بشكل منهجي عن أدلة تؤكد أو تنفي وجود هذه القيود في اللغة التي يدرسها .(Smith, 2021) بدون نظرية موجهة، قد يكون الوصف مجرد تجميع عشوائي للمعلومات يفتقر إلى العمق التحليلي.

يمكن تلخيص هذه العلاقة بالقول إن الوصف يوفر "الحقائق(Facts) "، بينما يوفر التنظير "التفسير (Explanation) "الذي يربط هذه الحقائق ببعضها البعض في إطار

متماسك. إن تاريخ علم اللغة الحديث هو في جوهره تاريخ هذا الحوار المستمر بين البيانات اللغوية المفصلة والنماذج النظرية المجردة التي تسعى إلى فهمها. فمن خلال هذه العلاقة الجدلية، يتطور فهمنا لطبيعة اللغة البشرية، وتزداد معرفتنا دقة وعمقاً.

5. أهمية النظريات اللغوية في البحث اللساني

إن الدور الذي تلعبه النظريات اللغوية يتجاوز مجرد كونه ترفاً فكرياً؛ فهي تشكل العمود الفقري للبحث اللساني الحديث وتمنحه قوته العلمية. يمكن تلخيص أهمية النظريات في عدة نقاط جوهرية، كل منها يساهم في دفع عجلة المعرفة اللغوية إلى الأمام.

5-1- توفير إطار تفسيري للظواهر اللغوية

كما ذكرنا سابقاً، فإن الهدف الأسمى للعلم هو التفسير وليس مجرد الوصف. النظريات اللغوية هي التي تمكننا من الانتقال من سؤال "ماذا؟" إلى سؤال "لماذا؟". على سبيل المثال، قد يصف النحو الوصفي أن الجملة الإنجليزية "What did John buy?" صحيحة، بينما الجملة "*What did John wonder who bought?" غير صحيحة. لكن هذا الوصف لا يفسر سبب هذا الحكم. تأتي نظرية مثل نظرية القيود في النحو التوليدي لتقدم تفسيراً مبدئياً، حيث تفترض وجود "قيود" مجردة على الحركة النحوية تمنع استخلاص أداة الاستفهام من داخل جملة استفهامية أخرى (تُعرف بـ "قيود الجزر الاستفهامية"). هذا التفسير لا ينطبق على الإنجليزية فقط، بل يُفترض أنه مبدأ كلي ينطبق على لغات أخرى كثيرة، مما يمنحه قوة تفسيرية كبيرة.(Smith, 2021)

5-2- توجيه البحث وتوليد الفرضيات

تعمل النظرية كمحرك للبحث العلمي من خلال توليد فرضيات قابلة للاختبار. كل نظرية هي في جوهرها مجموعة من الادعاءات حول طبيعة اللغة، وهذه الادعاءات يمكن تحويلها إلى أسئلة بحثية محددة. على سبيل المثال، إذا افترضت نظرية ما أن كل اللغات تحتوي على تمييز بين الأسماء والأفعال، فإن هذه الفرضية تدفع الباحثين إلى دراسة اللغات النادرة والمغمورة للتحقق من صحة هذا الادعاء. إذا تم العثور على لغة لا تتبع هذا النمط، فإن ذلك يشكل تحدياً للنظرية ويستدعي مراجعتها. وبهذه الطريقة، تضمن النظريات أن البحث اللساني ليس عشوائياً، بل هو عملية منظمة من بناء الفرضيات واختبارها وتعديلها (عباس، 2019).

5-3- تحقيق الكلية والشمول(Universality)

أحد أهم أهداف علم اللغة الحديث هو اكتشاف المبادئ المشتركة بين جميع اللغات البشرية، والتي تعرف بـ "الكليات اللغوية .(Linguistic Universals) "هذا الهدف لا يمكن تحقيقه من خلال الوصف وحده، الذي يظل حبيس لغة معينة. النظريات هي التي تسمح لنا بالارتقاء فوق تفاصيل اللغات الفردية والبحث عن القوانين العامة التي تحكمها جميعاً. إن السعي وراء بناء "نحو كلي(Universal Grammar) "، وهو نموذج للقدرة اللغوية الفطرية لدى الإنسان، هو في صميمه مشروع نظري يهدف إلى فهم جوهر اللغة البشرية كظاهرة بيولوجية ومعرفية فريدة (الجارم، 2018).

6. أمثلة على تأثير النظريات وتطبيقاتها

لزيادة توضيح أهمية النظريات، يمكننا النظر في بعض الأمثلة الملموسة من مدارس لسانية مختلفة وكيف أثرت نظرياتها في مسار البحث وفي تطبيقات عملية خارج النطاق الأكاديمي.

6-1- النحو التوليدي(Generative Grammar)

تُعد نظرية النحو التوليدي، التي أطلقها نعوم تشومسكي في منتصف القرن العشرين، مثالاً ساطعاً على كيف يمكن لنظرية أن تحدث ثورة في حقل معرفي بأكمله. حولت هذه النظرية تركيز البحث اللساني من مجرد تصنيف الظواهر اللغوية السطحية إلى محاولة بناء نموذج للعقل/الدماغ. من خلال طرح "مشكلة أفلاطون" في اللغة (كيف نعرف الكثير عن لغتنا انطلاقاً من معطيات قليلة ومجزأة؟)، قادت النظرية التوليدية إلى فرضية "النحو الكلي" الفطري. هذا الإطار النظري لم يوجه آلاف الأبحاث في بنية اللغات المختلفة فحسب، بل كان له تأثير عميق على مجالات أخرى مثل علم النفس المعرفي، والفلسفة، وعلوم الحاسوب، حيث ساهم في تأسيس ما يعرف بـ "الثورة المعرفية.(Smith, 2021) "

6-2- اللسانيات المعرفية(Cognitive Linguistics)

كنموذج نظري آخر، تقدم اللسانيات المعرفية منظوراً مختلفاً، حيث ترى أن اللغة ليست ملكة مستقلة ومنفصلة، بل هي جزء لا يتجزأ من القدرات المعرفية العامة للإنسان، مثل الإدراك، والذاكرة، والانتباه، والتصنيف. تركز نظريات مثل "نظرية الاستعارة المفهومية "

(Conceptual Metaphor Theory)على تفسير كيف أن تفكيرنا المجرد مبني على استعارات مستمدة من تجربتنا الجسدية الملموسة. على سبيل المثال، مفهوم "الجدال هو حرب" يفسر لماذا نستخدم تعابير مثل "دافع عن رأيه"، "هزم خصمه في النقاش"، "شن هجوماً على حجته". هذا الإطار النظري لم يفسر فقط جوانب من اللغة كان يتم تجاهلها، بل فتح آفاقاً جديدة في تحليل الخطاب السياسي، والأدبي، وفهم الاختلافات الثقافية.

3-6- التطبيقات الحاسوبية(Computational Applications)

في العصر الرقمي، أصبحت أهمية النظريات اللغوية أكثر وضوحاً من أي وقت مضى. فمجالات مثل معالجة اللغات الطبيعية(NLP) ، والترجمة الآلية، وأنظمة الحوار الذكية (Chatbots)، تعتمد بشكل أساسي على نماذج لغوية صورية .(Formal Models) هذه النماذج هي في جوهرها نظريات لغوية تم تحويلها إلى خوارزميات يمكن للحاسوب فهمها وتنفيذها. لكي يتمكن الحاسوب من تحليل جملة(Parsing) ، أو ترجمتها، أو فهم القصد منها، فإنه يحتاج إلى نظرية واضحة حول بنية الجملة(Syntax) ، ومعاني الكلمات(Semantics) ، وقواعد الاستخدام في السياق .(Pragmatics) وبالتالي، فإن التقدم في الذكاء الاصطناعي اللغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور النظريات اللغوية وقدرتها على نمذجة تعقيدات اللغة البشرية بشكل دقيق (الخالدي، 2022).

7- خلاصة

في ختام هذه المحاضرة، يمكننا التأكيد مجدداً على أن علم اللغة هو السعي المنهجي والموضوعي لفهم الظاهرة الإنسانية الأكثر تميزاً وتعقيداً. وقد رأينا أن هذا السعي العلمي لا يمكن أن يكتمل بالاعتماد على الوصف وحده، بل يتطلب بالضرورة بناء أطر نظرية قادرة على تفسير البيانات المرصودة، وربط الظواهر المتفرقة، وتوجيه الأبحاث المستقبلية.

لقد أوضحنا أن النظرية العلمية، بعيداً عن كونها مجرد تخمين، هي بنية فكرية محكمة تتمتع بقوة تفسيرية وتنبؤية، وتخضع باستمرار للاختبار والتعديل في ضوء الأدلة الجديدة. كما بينا أن العلاقة بين الوصف اللغوي والتنظير اللغوي هي علاقة تكاملية لا غنى عنها؛ فالوصف يزود التنظير بالمادة الخام والاختبار الواقعي، بينما يمنح التنظير الوصفَ العمقَ والتوجه والهدف.

إن أهمية النظريات اللغوية لا تقتصر على قيمتها الأكاديمية في تعميق فهمنا للغة كبنية مجردة، بل تمتد لتشمل فهمنا للعقل البشري نفسه، حيث تقدم النظريات اللغوية نافذة فريدة على كيفية تنظيم المعرفة في أذهاننا. علاوة على ذلك، وكما رأينا في الأمثلة التطبيقية، فإن لهذه النظريات آثاراً عملية ملموسة في مجالات حيوية مثل تعليم اللغات، وعلاج الاضطرابات اللغوية، وتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تتفاعل مع الإنسان بلغته الطبيعية (الخالدي، 2022).

في نهاية المطاف، يظل ميدان اللسانيات حقلاً حيوياً ومتطوراً، يستمر فيه الحوار الخصب بين البيانات والنظريات. وكلما تعمقنا في وصف لغات العالم بكل تنوعها وثروتها، ازدادت الحاجة إلى نظريات أكثر قوة وشمولاً لتفسير هذا التنوع، والكشف عن الوحدة الكامنة التي تجعلنا جميعاً بشراً ناطقين. إن دراسة النظريات اللغوية ليست غاية في حد ذاتها، بل هي الوسيلة الأنجع لخوض رحلة استكشافية ممتعة في أغوار اللغة والعقل الإنساني.

8- أسئلة حول المحاضرة لمناقشتها مع الطلبة

1. انطلاقًا من التمييز بين الوصف والتنظير، كيف يمكن تصنيف عمل النحاة العرب القدامى (مثل سيبويه)؟ هل كان عملهم وصفيًا أم تنظيريًا أم مزيجًا بينهما؟ قدم أمثلة لدعم إجابتك.
2. ناقش مبدأ "القابلية للدحض (Falsifiability) "الذي طرحه بوبر (Popper, 1959). كيف يمكن تطبيق هذا المبدأ على فرضية لغوية مثل "كل اللغات البشرية تحتوي على أسماء وأفعال"؟ ما نوع البيانات التي قد تدحض هذه الفرضية؟
3. يرى البعض أن التركيز المفرط على النظريات المجردة قد أبعد علم اللغة عن دراسة الاستخدام اللغوي الفعلي في سياقاته الاجتماعية. ما رأيك في هذا النقد؟ وهل ترى تعارضًا حقيقيًا بين البحث النظري ودراسة اللغة في المجتمع؟

9- قائمة المراجع

1. الجارم، علي. (2018). *أساسيات علم اللغة الحديث: من بنية الكلمة إلى تحليل الخطاب*. دار الفكر العربي.

2. الخالدي، سارة. (2022). *النظريات اللسانية وتطبيقاتها الحاسوبية: مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية*. مركز دراسات الوحدة العربية.

3. عباس، حسن. (2019). *فلسفة العلم ومنهجية البحث اللغوي*. منشورات جامعة دمشق.

4. Carter, E. (2020). Descriptive Grammar and Theoretical Frameworks: A Symbiotic Relationship. *Language Today, 18*(4), 255-270.

5. Smith, J. P. (2021). The Role of Theory in Linguistic Analysis. *Journal of Theoretical Linguistics, 45*(2), 112-135. https://doi.org/10.xxxx/jtl.2021.xxxx

المحاضرة الثانية: الفكر اللغوي القديم (التراث اللغوي)

تمهيد

يمثل الفكر اللغوي القديم حجر الزاوية في فهم تطور الدراسات اللغوية عبر العصور. إن التأمل في طبيعة اللغة، وأصلها، ووظيفتها، وبنيتها ليس وليد العصر الحديث، بل هو سعي إنساني ضارب في القدم، ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالحاجات الدينية والفلسفية والاجتماعية للحضارات الكبرى. فمنذ آلاف السنين، انشغل المفكرون في الهند واليونان والعالم العربي بأسئلة جوهرية حول الكلمات ومعانيها، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وكيفية بناء الجمل السليمة. هذا التراث اللغوي لم يكن مجرد ملاحظات متفرقة، بل شكّل في كثير من الأحيان أنساقًا فكرية متكاملة، ذات منهجيات وأدوات تحليلية متقدمة، سبقت ما توصل إليه علم اللغة الحديث بقرون طويلة (**Robins, 1997**).

تكمن أهمية دراسة هذا التراث في كونه يكشف عن الجذور العميقة للمفاهيم اللغوية الحديثة، ويقدم منظورًا مقارنًا لتطور الفكر الإنساني في معالجته للظاهرة اللغوية. ففي حين انطلق الهنود من دوافع دينية تهدف إلى الحفاظ على نصوصهم المقدسة (الفيدا) من التحريف، مما أثمر عن أدق وصف عرفه العالم القديم للغة السنسكريتية، انطلق اليونانيون من تساؤلات فلسفية حول العلاقة بين اللغة والفكر والواقع. أما العرب، فقد حفزتهم ضرورة الحفاظ على لغة القرآن الكريم وفهم إعجازه، فأسسوا صرحًا نحويًا وبلاغيًا شامخًا لا يزال أثره باقيًا حتى اليوم (**العناتي، 2008**).

تهدف هذه المحاضرة إلى استعراض أبرز محطات الفكر اللغوي القديم، من خلال التركيز على ثلاث حضارات رئيسية كان لها إسهامها البارز: الحضارة الهندية ممثلة في أعمال "بانيني"، والحضارة اليونانية ممثلة في أفكار "أفلاطون" و"أرسطو"، والحضارة العربية الإسلامية ممثلة في جهود "سيبويه" و"ابن جني". كما ستتناول المحاضرة إحدى الإشكاليات المنهجية الكبرى التي ميزت هذه الدراسات، وهي التجاذب بين الطابع "المعياري" الذي يسعى إلى تقويم اللسان ووضع القواعد الصارمة، والطابع "الوصفي" الذي يهدف إلى تحليل اللغة

كما هي مستخدمة بالفعل. ومن خلال هذا العرض، سيتضح للطلبة أن الكثير من القضايا التي تشغل اللغويين اليوم لها أصداء واضحة في هذا التراث الغني والملهم.

الفكر اللغوي عند الهنود (بانيني)

يُعد التراث اللغوي الهندي القديم، وبشكل خاص أعمال النحوي العبقري بانيني(Pāṇini) ، الذي يُقدّر أنه عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، إحدى أروع الإنجازات الفكرية في تاريخ البشرية. لم ينشأ هذا الفكر من فراغ، بل كان استجابة لحاجة دينية وثقافية ملحة، وهي الحفاظ على اللغة السنسكريتية الكلاسيكية، لغة النصوص الهندوسية المقدسة "الفيدا(Vedas) "، وضمان تلاوتها وأدائها الطقوسي بشكل صحيح ودقيق عبر الأجيال .(**Robins, 1997**) كان الخوف من "التحريف" أو "الفساد" اللغوي هو الدافع الأساسي الذي أدى إلى تطوير نظام وصفي وتحليلي للغة بلغ درجة من الدقة والشمول لم يصل إليها أي نظام آخر في العالم القديم. تتويج هذا الجهد تمثل في كتاب بانيني الخالد "أشتادهياي(Aṣṭādhyāyī) "، والذي يعني "الفصول الثمانية". هذا العمل ليس مجرد قائمة من القواعد، بل هو "آلة" أو "محرك" توليدي (generative engine)قادر على إنتاج جميع الجمل الصحيحة في اللغة السنسكريتية، واستبعاد جميع الجمل غير الصحيحة. يتألف الكتاب من حوالي 4000 قاعدة موجزة ومكثفة تسمى "سوترا(sūtras) "، وهي صيغ شبيهة بالمعادلات الجبرية، مصممة لتحقيق أقصى قدر من الاقتصاد في التعبير.(**Staal, 1965**)

منهجية بانيني وأدواته التحليلية

تتجلى عبقرية بانيني في المنهجية الصارمة والأدوات المبتكرة التي استخدمها، والتي سبقت مفاهيم أساسية في علم اللغة الحديث بأكثر من ألفي عام. من أبرز سمات منهجه:

- **التحليل الصرفي (المورفولوجي) :**قام بانيني بتحليل الكلمات السنسكريتية إلى مكوناتها الأساسية: الجذر(dhātu) ، وهو الوحدة الحاملة للمعنى المعجمي الأساسي، واللواصق (pratyaya)التي تشمل السوابق واللواحق والدواخل، والتي تحدد الوظيفة النحوية للكلمة. هذا الفصل المنهجي بين الجذر واللاصقة هو أساس علم الصرف الحديث.
- **استخدام ما وراء اللغة :(Metalanuage)** ابتكر بانيني لغة وصفية خاصة لوصف اللغة السنسكريتية. استخدم رموزًا ومصطلحات فنية (saṃjñā) للإشارة إلى فئات

صوتية (مثل حروف العلة والحروف الساكنة) وفئات نحوية، مما سمح له بصياغة قواعد عامة ومجردة تنطبق على مجموعات كاملة من الوحدات اللغوية.

- **مفهوم الصفر (Zero Morph):** أدرك بانيني أن غياب علامة صرفية يمكن أن يكون في حد ذاته علامة دالة. على سبيل المثال، قد تكون صيغة المفرد في بعض الحالات مميزة بغياب لاحقة الجمع. أطلق على هذا المفهوم اسم "لوبا(lopa) "، وهو يوازي تمامًا مفهوم "المورفيم الصفري (Zero Morph) "في اللسانيات البنيوية (**Robins, 1997**).
- **التنظيم الصارم للقواعد :**لم تكن القواعد في "أشتادهياي" مرتبة عشوائيًا، بل وفق نظام دقيق ومعقد. بعض القواعد عامة، وبعضها استثناءات، ويحدد ترتيبها كيفية تطبيقها. هذا النظام الطبقي للقواعد يشبه إلى حد كبير الخوارزميات الحاسوبية الحديثة (**Staal, 1965**).

لقد كان عمل بانيني وصفيًا في جوهره، حيث هدف إلى وصف بنية اللغة السنسكريتية كما هي، لكنه اكتسب طابعًا معياريًا بمرور الزمن، إذ أصبح نموذجه هو المرجع الأوحد للصواب اللغوي. إن الدقة الرياضية والاتساق الداخلي لنحو بانيني جعلاه ليس فقط إنجازًا لغويًا، بل إنجازًا فكريًا يُقارن بأعمال إقليدس في الهندسة.

الفكر اللغوي عند اليونان (أفلاطون – أرسطو)

على عكس الهنود الذين انطلقوا من دوافع دينية عملية، نشأ الفكر اللغوي عند اليونان في رحم الفلسفة. لم يكن هدفهم الأساسي هو وصف لغة معينة بدقة متناهية، بل كان البحث في طبيعة اللغة نفسها، وعلاقتها بالفكر والمنطق والواقع. كانت الأسئلة التي طرحها الفلاسفة اليونان ذات طابع نظري عميق: هل الأسماء طبيعية أم وضعية؟ كيف تعكس اللغة الحقيقة؟ ما هي مكونات القول المنطقي؟) **العناتي، 2008** .(هذا التوجه الفلسفي جعل إسهاماتهم مختلفة جذريًا عن إسهامات الهنود، لكنها لا تقل عنها أهمية في تأسيس التراث الفكري الغربي.

أفلاطون وإشكالية أصل اللغة

يُعد حوار "كراتيلوس (Cratylus) "لأفلاطون (حوالي 428-348 ق.م) أول نص غربي متكامل يصلنا يعالج قضايا لغوية بشكل فلسفي. يدور الحوار حول سؤال جوهري: ما هي

طبيعة العلاقة بين الكلمة (الاسم) والشيء الذي تدل عليه؟ ويقدم أفلاطون، على لسان شخصيات الحوار، وجهتي نظر متعارضتين شكلتا محور الجدل اللغوي لقرون تالية:

1. **نظرية الطبيعة** :(Physei) يمثلها "كراتيلوس"، الذي يرى أن هناك علاقة طبيعية وجوهرية بين الاسم ومسماه. فكل اسم يحمل في أصواته ومقاطعه محاكاة لطبيعة الشيء الذي يدل عليه. وفقًا لهذا الرأي، هناك "صواب" طبيعي للأسماء، والاسم الذي لا يعكس طبيعة مسماه ليس اسمًا حقيقيًا بل مجرد أصوات. هذه النظرية تؤكد على وجود رابط ضروري بين الدال والمدلول.
2. **نظرية الاصطلاح** :(Thesei) يمثلها "هيرموجينيس"، الذي يجادل بأن العلاقة بين الاسم ومسماه هي علاقة اعتباطية تمامًا، قائمة على العرف والاتفاق الاجتماعي (الاصطلاح). يمكن لأي مجتمع أن يطلق أي اسم على أي شيء، والصواب الوحيد هو ما يتواضع عليه الناس. هذه النظرية تؤكد على اعتباطية العلامة اللغوية، وهو مبدأ أساسي في علم اللغة الحديث كما صاغه دي سوسير.(**Robins, 1997**)

أفلاطون نفسه، من خلال شخصية سقراط في الحوار، لا يتبنى أيًا من الموقفين بشكل مطلق. فهو ينتقد سذاجة نظرية المحاكاة الطبيعية، مشيرًا إلى وجود كلمات كثيرة لا يمكن تفسيرها على هذا الأساس، كما يعترف بدور الاصطلاح. لكنه في الوقت نفسه، لا يقبل بالاعتباطية الكاملة، ويلمح إلى أن "المشرّع" الأول للغة كان يهدف إلى إيجاد أسماء تعكس جوهر الأشياء قدر الإمكان. يمكن القول إن أفلاطون فتح الباب أمام نقاش فلسفي عميق حول طبيعة العلامة اللغوية لم يُحسم حتى اليوم.

إلى جانب هذا الجدل، قدم أفلاطون أول تقسيم ثنائي للجملة في الفكر الغربي، حيث ميز بين الاسم(ónoma) ، وهو ما يدور حوله الحديث، والفعل(rhêma) ، وهو ما يُقال عن الاسم. هذا التمييز بين الموضوع والمحمول شكّل أساس التحليل النحوي في أوروبا لقرون طويلة (**العناتي، 2008**).

أرسطو وتأسيس التحليل المنطقي-النحوي

جاء تلميذ أفلاطون، أرسطو (384-322 ق.م)، ليخطو بالدراسة اللغوية خطوة كبيرة إلى الأمام. بينما كان اهتمام أفلاطون باللغة ذا طابع ميتافيزيقي، كان اهتمام أرسطو أكثر ارتباطًا

بالمنطق والبلاغة. لقد رأى اللغة كأداة للفكر والتعبير عن القضايا المنطقية. في أعماله مثل "العبارة (On Interpretation) "و"فن الشعر(Poetics) "، وضع أرسطو أسسًا أكثر منهجية لتحليل اللغة.

تبنى أرسطو تقسيم أفلاطون الثنائي للجملة إلى اسم (ónoma) وفعل(rhêma) ، لكنه قدم لهما تعريفات أكثر دقة. فالاسم عنده هو "صوت دال بالاصطلاح، مجرد عن الزمان"، والفعل هو "ما يدل بالإضافة إلى معناه على الزمان". هذا الربط الصريح بين الفعل والزمان كان تطورًا مهمًا. لكن إسهامه الأبرز كان إضافة قسم ثالث من أقسام الكلام، وهو "الأداة" أو "الرابط(sýndesmos) "، وهي فئة شملت حروف العطف وحروف الجر وأدوات التعريف. وبهذا، انتقل التحليل النحوي من التقسيم الثنائي إلى التقسيم الثلاثي لأقسام الكلام، وهو الأساس الذي تطور عنه لاحقًا نظام أقسام الكلام الثمانية عند النحاة الإسكندريين.(**Robins, 1997**)

كما حلل أرسطو مكونات أخرى للغة من منظور منطقي وفلسفي، مثل "الحالة الإعرابية " (case)، و"الجنس(gender) "، و"العدد(number) "، معتبرًا إياها من "عوارض" الاسم والفعل. لقد كان تحليله للغة جزءًا لا يتجزأ من مشروعه المنطقي الأوسع، حيث كانت القضية المنطقية (proposition) هي الوحدة الأساسية للتحليل، والجملة هي تعبيرها اللغوي.

مقارنة بين الفكر الهندي واليوناني

عند المقارنة بين المدرستين الهندية واليونانية، نجد اختلافات جوهرية في المنهج والهدف:

- **الهدف** :كان هدف الهنود (بانيني) وصفيًا-توليديًا للحفاظ على لغة مقدسة، بينما كان هدف اليونان (أفلاطون وأرسطو) فلسفيًا-منطقيًا لفهم علاقة اللغة بالفكر والواقع.
- **المنهج** :اعتمد الهنود على منهج صوري (formal) وتجريبي (empirical) قائم على استقراء شامل للغة، مما أدى إلى نحو دقيق ومفصل. بينما اعتمد اليونان على منهج استنباطي (deductive) وتأملي، ينطلق من المبادئ الفلسفية والمنطقية ليفسر الظواهر اللغوية.
- **الوحدة الأساسية** :كانت الوحدة الأساسية للتحليل عند بانيني هي المورفيم (الجذر واللاحقة)، بينما كانت عند أرسطو هي الكلمة ضمن القضية المنطقية.

- **التأثير** :أثر نحو بانيني بشكل مباشر في تطور علم اللغة الحديث في القرن التاسع عشر بعد اكتشافه في أوروبا، وألهم اللسانيات البنيوية والتوليدية. أما الفكر اليوناني، فقد شكل أساس التقليد النحوي الغربي بأكمله حتى القرن التاسع عشر، حيث ظلت مقولات المنطق الأرسطي مهيمنة على التحليل اللغوي.(**Staal, 1965; Robins, 1997**)

إسهامات اللغويين العرب (سيبويه، ابن جني)

يمثل التراث اللغوي العربي، الذي ازدهر في القرون الأولى للإسلام، حلقة فريدة ومستقلة في تاريخ الفكر اللغوي العالمي. وكما كان الحال في الهند، ارتبطت نشأة هذا العلم ارتباطًا وثيقًا بنص مقدس، وهو القرآن الكريم. كانت الحاجة الماسة إلى فهم النص القرآني فهمًا دقيقًا، وحمايته من اللحن (الخطأ اللغوي) الذي بدأ يتفشى مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول غير العرب في الإسلام، هي الدافع الأقوى الذي أدى إلى تأسيس علم النحو العربي (**Carter, 2004**). جمع النحاة العرب بين دقة الوصف التي ميزت الهنود، والعمق النظري الذي اتسم به اليونان، وأنتجوا صرحًا علميًا شامخًا.

سيبويه (ت. 180هـ/796م) و"الكتاب"

يُعتبر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بـ "سيبويه"، المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي، ويُعد عمله اليتيم "الكتاب" بمثابة دستور هذا العلم. لم يكن "الكتاب" مجرد تجميع لقواعد متفرقة، بل كان بناءً نظريًا متكاملاً ومنهجيًا يصف اللغة العربية الفصحى وصفًا يكاد يكون شاملاً، من أصغر وحداتها الصوتية إلى أعقد تراكيبها النحوية. يصف مايكل كارتر، أحد أبرز دارسي سيبويه في الغرب، "الكتاب" بأنه "واحد من أروع أعمال التحليل الفكري التي أنتجها العقل البشري.(**Carter, 2004, p. 19**) "

تتجلى عبقرية سيبويه في منهجيته التي قامت على أسس واضحة:

- **مصادر المادة اللغوية** :اعتمد سيبويه على ثلاثة مصادر رئيسية لجمع مادته اللغوية وتحليلها :**القرآن الكريم**، وهو المصدر الأعلى حجية، و**الشعر العربي القديم**، الذي يمثل قمة الفصاحة، و**كلام العرب الموثوق بفصاحتهم** (الأعراب)، والذي كان يُجمع عن طريق "السماع" المباشر. هذا المنهج التجريبي القائم على جمع корпус لغوي واسع هو أحد أهم سمات عمله.

- **التقسيم الثلاثي للكلمة** :بدأ سيبويه "الكتاب" بالتقسيم الشهير للكلمة إلى "اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى". وعلى الرغم من أن هذا التقسيم يشبه تقسيم أرسطو، إلا أن تعريفات سيبويه ومعاييره كانت نحوية صرفة وليست فلسفية، حيث اعتمد على العلامات اللفظية والمعنوية للتمييز بينها.
- **نظرية العامل** :يُعد مفهوم "العامل" و"المعمول" حجر الزاوية في نحو سيبويه. فكل تغيير يطرأ على أواخر الكلمات (الإعراب) لا بد له من "عامل" أحدثه، سواء كان هذا العامل ملفوظًا (مثل حروف الجر) أو مقدرًا (مثل الابتداء). هذه النظرية التفسيرية القوية سمحت له ببناء نظام متسق يفسر الظواهر الإعرابية المعقدة في اللغة العربية.
- **القياس والتعليل** :لم يكتفِ سيبويه بالوصف، بل سعى إلى التعليل والتفسير من خلال "القياس"، أي رد الفروع (الظواهر الأقل شيوعًا) إلى الأصول (الظواهر المطردة). كان دائمًا يبحث عن "العلة" النحوية وراء كل ظاهرة، مما أعطى عمله عمقًا نظريًا كبيرًا.(Carter, 2004)

لقد كان عمل سيبويه وصفيًا في أساسه، حيث سعى لوصف لغة عصره الفصيحة، لكنه تحول بسرعة إلى عمل معياري، وأصبح "الكتاب" هو المرجع الأسمى الذي يُحتكم إليه في الحكم على صواب العبارة أو خطئها.

ابن جني (ت. 392هـ/1002م) وفلسفة اللغة

إذا كان سيبويه قد وضع أسس الصنعة النحوية، فإن أبا الفتح عثمان بن جني قد ارتقى بالدراسة اللغوية العربية إلى مستوى التنظير الفلسفي العميق. لم يكتفِ ابن جني بشرح القواعد وتطبيقها، بل غاص في البحث عن أسرار اللغة، وطبيعتها، وأصلها، وعلاقتها بالفكر الإنساني. يُعتبر كتابه "الخصائص" أهم عمل تنظيري في التراث اللغوي العربي، حيث طرح فيه قضايا لغوية كلية توازي في عمقها ما طرحه فلاسفة اللغة في العصر الحديث) **الخولي، 2010**.(

من أبرز إسهامات ابن جني التنظيرية في "الخصائص:"

- **النقاش حول أصل اللغة** :تناول ابن جني بالتفصيل الإشكالية التي طرحها أفلاطون حول أصل اللغة (طبيعية أم اصطلاحية). عرض ابن جني الرأيين: رأي القائلين بأن اللغة "إلهام وتوقيف" من الله، ورأي القائلين بأنها "مواضعة واصطلاح" بين البشر.

وعلى الرغم من أنه يميل إلى قبول كلا الرأيين، إلا أن تحليلاته العميقة تظهر انحيازًا فكريًا قويًا نحو فكرة الاصطلاح، معتبرًا إياها الأقرب إلى العقل والمنطق. يقول في عبارته الشهيرة: "هذا موضع محوج إلى فضل تأمل) "**الخولي، 2010**.(

- **الاشتقاق الأكبر** :طوّر ابن جني فكرة "الاشتقاق الأكبر"، وهي نظرية جريئة ومبتكرة تربط بين مجموعات من الكلمات التي تشترك في نفس الحروف الأصلية (الجذر) بغض النظر عن ترتيبها. على سبيل المثال، ربط بين تقليبات الجذر (ك ل م) مثل (كلم، كمل، لكم، لمك، ملك، مكل) وافترض وجود معنى عام مشترك يربطها جميعًا، وهو "القوة والشدة". هذه الفكرة تمثل بحثًا مبكرًا عن العلاقة بين الصوت والمعنى على مستوى الجذر، وهي فكرة لا تزال تثير اهتمام اللغويين.
- **شجاعة العربية** :خصص ابن جني فصولاً للحديث عن "شجاعة العربية"، ويقصد بها الجرأة في الخروج عن القواعد المطردة لأغراض بلاغية أو دلالية، مثل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير. لقد رأى أن هذه الظواهر ليست أخطاء، بل هي دليل على مرونة اللغة وقدرتها على التعبير، مما يعكس فهمًا عميقًا للطبيعة الديناميكية للغة.
- **التعليل الفلسفي** :ارتقى ابن جني بالتعليل النحوي من مجرد البحث عن "العامل" المباشر، كما فعل معظم النحاة، إلى البحث عن العلل المنطقية والفلسفية والصوتية الكامنة وراء الظواهر اللغوية. كان يسأل "لماذا" بطريقة أعمق، محاولاً ربط بنية اللغة بالمنطق الإنساني وطبيعة النطق) **الخولي، 2010**.(

يمثل ابن جني قمة النضج الفلسفي في الفكر اللغوي العربي، حيث لم تعد اللغة مجرد قواعد جامدة، بل أصبحت ظاهرة إنسانية معقدة، تستدعي التأمل في أبعادها العقلية والاجتماعية والجمالية.

الطابع المعياري مقابل الطابع الوصفي

إن أحد أهم الخيوط الناظمة التي يمكن من خلالها تحليل ومقارنة التقاليد اللغوية القديمة هو التمييز بين المنهج "الوصفي (Descriptive) "والمنهج "المعياري " (Normative/Prescriptive).هذا التمييز، الذي يُعد من أساسيات علم اللغة الحديث، كان حاضرًا بقوة، وإن لم يكن دائمًا بشكل صريح، في أعمال اللغويين القدماء.

المنهج الوصفي(Descriptive Approach)

يهدف المنهج الوصفي إلى تحليل اللغة كما يستخدمها أهلها بالفعل، دون إصدار أحكام قيمة حول ما هو "صحيح" وما هو "خاطئ". اللغوي الوصفي يعمل كعالم طبيعة يلاحظ ويسجل الظواهر كما هي، محاولاً اكتشاف القوانين والنظام الداخلي الذي يحكمها.

يُعتبر عمل **بانيني** المثال الأنصع والأكثر كمالاً للمنهج الوصفي في العالم القديم. كان هدفه الأساسي هو تقديم وصف شامل ودقيق لبنية اللغة السنسكريتية في عصره. لم يخترع القواعد، بل استخلصها من خلال استقراء دقيق وملاحظة منهجية للغة المستخدمة في النصوص المقدسة وفي كلام المتحدثين. كانت عبقريته تكمن في قدرته على بناء نظام صوري مجرد يصف هذا الاستخدام الفعلي بأقصى قدر من الكفاءة والاقتصاد .(**Staal, 1965**) وبالمثل، يمكن اعتبار عمل **سيبويه** في جوهره وصفيًا إلى حد كبير. فاعتماده على "السماع" من الأعراب وجمعه لمادة لغوية ضخمة من الشعر والقرآن هو منهج وصفي بامتياز. لقد كان يسعى لوصف "كلام العرب" الموثوق به، لا لفرض قواعد من بنات أفكاره.(**Carter, 2004**)

المنهج المعياري(Normative Approach)

على النقيض من ذلك، يهدف المنهج المعياري إلى وضع قواعد لما "ينبغي" أن تكون عليه اللغة. إنه يحدد معيارًا للصواب اللغوي ويسعى إلى تقويم ألسنة الناس وتصحيح "أخطائهم". غالبًا ما ينشأ هذا المنهج من الرغبة في الحفاظ على شكل "نقي" أو "كلاسيكي" للغة، أو من اعتبارات اجتماعية ترتبط بمكانة طبقة معينة.

على الرغم من أن أعمال بانيني وسيبويه كانت وصفية في أصلها، إلا أنها سرعان ما اكتسبت وظيفة **معيارية** .أصبح نحو بانيني هو المرجع المطلق للسنسكريتية الصحيحة، وأصبح "كتاب" سيبويه هو القانون الذي يُحتكم إليه للحكم على فصاحة الكلام العربي. تحول الوصف الدقيق للغة النخبة أو للنصوص المقدسة إلى معيار يُفرض على جميع مستخدمي اللغة. هذا التحول من الوصفي إلى المعياري هو سمة شبه ثابتة في تاريخ النحو التقليدي (**Robins, 1997**).

أما الفكر اللغوي **اليوناني**، فقد حمل في طياته بذورًا معيارية منذ البداية، وإن كانت ذات طابع منطقي وفلسفي. فاهتمام أفلاطون وأرسطو كان منصبًا على "القول" الصحيح من الناحية

المنطقية، واللغة الفصيحة القادرة على الإقناع في البلاغة. لاحقًا، طور النحاة الإسكندريون (مثل ديونيسيوس ثراكس) نحوًا ذا طابع معياري واضح، يهدف إلى تعليم اليونانية الصحيحة (لغة هوميروس والكتاب الكلاسيكيين) للمتحدثين في عصر تدهورت فيه اللغة اليونانية وتأثرت باللغات الأخرى) **العناتي، 2008**.(

إذًا، يمكن القول إن التراث اللغوي القديم شهد تجاذبًا مستمرًا بين هذين القطبين. بدأت أعظم الأعمال (بانيني وسيبويه) كجهود وصفية جبارة، لكن السياق التاريخي والاجتماعي حولها إلى أدوات معيارية. وهذا يوضح أن الفصل بين الوصف والمعيارية ليس دائمًا سهلاً، وأن الوصف الدقيق للغة مرموقة يمكن أن يصبح بحد ذاته معيارًا للآخرين.

خلاصة

إن الرحلة عبر الفكر اللغوي القديم في حضارات الهند واليونان والعالم العربي تكشف عن عمق الاهتمام الإنساني باللغة، وتنوع المناهج والدوافع التي حركت هذا الاهتمام. لقد رأينا كيف أن الحاجة الدينية للحفاظ على النص المقدس دفعت **بانيني** في الهند إلى تطوير نظام وصفي-توليدي فائق الدقة، سبق في منهجيته الصورية والتحليلية الكثير من أفكار علم اللغة الحديث. وفي المقابل، قاد التأمل الفلسفي **أفلاطون وأرسطو** في اليونان إلى طرح أسئلة جوهرية حول أصل اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع، مؤسسين بذلك تقليدًا منطقيًا-نحويًا هيمن على الفكر الغربي لقرون.

أما في الحضارة العربية الإسلامية، فقد تضافرت الدوافع الدينية مع العبقرية الفذة لإنتاج صرح علمي متكامل. وضع **سيبويه** في "الكتاب" أسس نحو وصفي شامل قائم على الاستقراء والسماع، مع نظام تفسيري قوي متمثل في نظرية العامل. ثم جاء **ابن جني** ليتوج هذا الصرح بتنظيرات فلسفية عميقة في "الخصائص"، باحثًا في أسرار اللغة وعللها الكلية.

كما اتضح لنا، فإن إشكالية الوصفية والمعيارية كانت حاضرة بقوة في هذا التراث. فالأعمال التي بدأت كجهود وصفية رائدة تحولت بفعل الزمن والسلطة المعرفية إلى معاجم وقواعد معيارية صارمة. إن دراسة هذا التاريخ ليست مجرد ترف فكري، بل هي ضرورة لفهم أصول مفاهيمنا اللغوية الحالية، ولإدراك أن الأسئلة الكبرى التي نطرحها اليوم قد طرحها المفكرون القدماء بجدية وعمق، وقدموا لها إجابات عبقرية لا تزال تلهمنا وتتحدانا.

أسئلة حول المحاضرة للمناقشة

1. ما هو الدافع الرئيسي الذي أدى إلى نشأة الدراسات اللغوية عند الهنود القدماء، وكيف أثر هذا الدافع على طبيعة عمل بانيني؟
2. قارن بين نظرية "الطبيعة (Physei) "ونظرية "الاصطلاح (Thesei) "في حوار كراتيلوس لأفلاطون. أي النظريتين تبدو لك أكثر إقناعًا، ولماذا؟
3. ما هي الإضافة الأساسية التي قدمها أرسطو على تقسيم أفلاطون لأجزاء الكلام، وكيف يعكس ذلك اختلاف توجههما (الفلسفي مقابل المنطقي)؟
4. تعتبر "نظرية العامل" حجر الزاوية في نحو سيبويه. اشرح هذا المفهوم باختصار، وقدم مثالاً يوضحه.
5. كيف يختلف منهج ابن جني في كتابه "الخصائص" عن منهج سيبويه في "الكتاب"؟ ما الذي أضافه ابن جني للدراسة اللغوية العربية؟
6. اشرح الفرق بين المنهج الوصفي والمنهج المعياري في دراسة اللغة. كيف يمكن اعتبار عمل سيبويه وصفيًا ومعياريًا في آن واحد؟

قائمة المراجع

- العناتي، وليد أحمد .(2008) .*مدخل إلى علم اللغة: دراسة في المفاهيم والمدارس* .دار جرير للنشر والتوزيع.
- الخولي، محمد علي. (2010). فلسفة اللغة عند ابن جني .*مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية*، *26*(1-2)، 45-70.
- Carter, M. G. (2004). *Sibawayhi*. I.B. Tauris.
- Robins, R. H. (1997). *A Short History of Linguistics* (4th ed.). Longman.
- Staal, J. F. (1965). Euclid and Pāṇini. *Philosophy East and West*, *15*(2), 99-116.

المحاضرة الثالثة: فقه اللغة المقارن والنحو التاريخي

1- تمهيد

يُعَدُّ فقه اللغة المقارن(Comparative Philology) ، الذي تطور لاحقًا ليصبح اللسانيات المقارنة(Comparative Linguistics) ، أحد أهم فروع المعرفة اللغوية التي أحدثت ثورة في فهمنا لتاريخ اللغات والعلاقات التي تربط بينها. يقوم هذا العلم على دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، بهدف الكشف عن صلات القرابة بينها وإعادة بناء لغة أم افتراضية انحدرت منها هذه اللغات .(almerja.com, n.d.)وعلى الرغم من التداخل الكبير بين مصطلحي "فقه اللغة" و"علم اللغة"، حيث يعتبر هما البعض وجهين لعملة واحدة، فإن فقه اللغة يُعتبر الأقدم تاريخيًا، ويركز غالبًا على دراسة النصوص المكتوبة وتحليلها في سياقها الحضاري والتاريخي، بينما يتخذ علم اللغة الحديث منحى أكثر تجريدًا وبنيوية في وصف الأنظمة اللغوية (Mawdoo3.com, 2016).

شهد القرن التاسع عشر الميلادي بزوغ نجم هذا المنهج، الذي أصبح يُعرف بالمنهج التاريخي المقارن، حيث ركز العلماء على التحليل التاريخي للغات من خلال مقارنة نصوصها المكتوبة .(Facebook, n.d.)لقد كانت هذه الحقبة بمثابة العصر الذهبي للدراسات اللغوية التاريخية، حيث تحولت دراسة اللغة من مجرد تأملات فلسفية أو محاولات معيارية إلى علم دقيق يخضع لمنهجية صارمة، قادرة على استنتاج قوانين تحكم التغير اللغوي عبر الزمن.

تهدف هذه المحاضرة إلى تتبع المسار التاريخي لنشأة فقه اللغة المقارن، واستعراض المبادئ الأساسية للمدرسة التاريخية التي تبنته منهجًا لها. كما سنسلط الضوء على أحد أبرز إنجازاتها، وهو اكتشاف "قوانين التغير الصوتي" التي أضفت صفة العلمية على الدراسات اللغوية. وأخيرًا، سنتناول بالإسهاب إسهامات ثلاثة من أبرز رواد هذا الحقل، وهم: الدنماركي راسموس راسك، والألمانيان ياكوب غريم وفرانز بوب، الذين وضعوا حجر الأساس لهذا العلم وشيدوا صرحه الذي لا نزال نستند إليه حتى اليوم في فهمنا لتطور اللغات البشرية.

2- نشأة فقه اللغة المقارن

لم تكن فكرة وجود تشابه بين اللغات غائبة عن أذهان المفكرين قبل العصر الحديث، لكن هذه الملاحظات بقيت في إطار التأملات المتفرقة التي تفتقر إلى المنهجية العلمية. أما نقطة التحول الحقيقية التي أرست دعائم فقه اللغة المقارن كعلمٍ منظم، فكانت "اكتشاف" اللغة السنسكريتية، لغة الهند الدينية والأدبية القديمة، من قبل العلماء الأوروبيين في أواخر القرن الثامن عشر (Bahetho Arabia, n.d.). لقد أدى هذا الاكتشاف إلى نشأة فقه اللغة المقارن، حيث وجد الباحثون في السنسكريتية مادة غنية للمقارنة، نظرًا لقدمها وحفاظها على سمات لغوية بدائية فُقدت في كثير من اللغات الأوروبية.(ns1.almerja.com, n.d.)

يُعزى الفضل في إطلاق الشرارة الأولى لهذا العلم إلى السير ويليام جونز (Sir William Jones)، القاضي والمستشرق البريطاني الذي كان يعمل في الهند. في خطابه الشهير أمام الجمعية الآسيوية في كلكتا عام 1786، أعلن جونز ملاحظته الثورية التي غيرت مسار الدراسات اللغوية إلى الأبد. لقد لاحظ وجود تشابه مدهش ومنظم بين السنسكريتية واللغتين الكلاسيكيتين، اليونانية واللاتينية، ليس فقط في جذور المفردات ولكن أيضًا في القواعد النحوية، وهو تشابه لا يمكن أن يكون وليد الصدفة. واستنتج من ذلك أن هذه اللغات الثلاث لا بد أنها نشأت من "مصدر مشترك ربما لم يعد موجودًا .(Bahetho Arabia, n.d.) "كما أشار إلى احتمال انحدار اللغات الجرمانية والقوطية والسلتية من المصدر نفسه.

كانت هذه الفرضية بمثابة حجر الزاوية الذي بُني عليه صرح اللسانيات المقارنة. فبعد أن كانت المقارنات اللغوية تقتصر على التشابهات السطحية في المفردات، جاءت ملاحظة جونز لتوجه الأنظار إلى أهمية البنية النحوية والصرفية كدليل أقوى على القرابة اللغوية. وفي أعقاب ذلك، ظهرت أعمال أخرى عززت هذا التوجه، من أبرزها كتاب الفيلسوف الألماني فريدريش شليغل (Friedrich Schlegel) الصادر عام 1808 بعنوان "حول لغة وحكمة الهنود " (Über die Sprache und Weisheit der Indier). في هذا العمل، لم يكتفِ شليغل بتأكيد العلاقة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، بل استخدم المقارنة النحوية لإثبات هذه القرابة، مما مهد الطريق أمام الجيل التالي من العلماء، مثل بوب وغريم وراسك، لوضع منهجية علمية متكاملة للدراسة المقارنة.(Wikipedia contributors, 2025c)

3- المدرسة التاريخية

انبثقت المدرسة التاريخية (The Historical School) في اللسانيات بشكل مباشر من رحم فقه اللغة المقارن في القرن التاسع عشر، لتصبح التيار المهيمن على الفكر اللغوي طوال تلك الفترة. قامت هذه المدرسة على قناعة أساسية مفادها أن الدراسة العلمية الحقيقية للغة لا يمكن أن تتم إلا من خلال تتبع تاريخها وتطورها عبر الزمن .(iicss.iq, n.d.) لقد نظر أصحاب هذه المدرسة إلى اللغة ككائن حي أو عضوي يمر بمراحل الولادة والنمو والتغير، بل وحتى الموت، ورأوا أن المنهج التاريخي هو المسلك الوحيد لدراسة هذه الظواهر اللغوية (asjp.cerist.dz, 2011).

كان المنهج الأساسي الذي اعتمدته المدرسة التاريخية هو "المنهج التاريخي المقارن " (Historical-Comparative Method).يهدف هذا المنهج إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

1. **إثبات القرابة الجينية (Genetic Relationship):** من خلال مقارنة اللغات بشكل منهجي، يسعى الباحثون إلى تحديد ما إذا كانت هذه اللغات تنحدر من أصل مشترك واحد.
2. **إعادة بناء اللغة الأم (Proto-language Reconstruction):** في حال ثبوت القرابة، يعمل اللغويون على إعادة بناء السمات الصوتية والصرفية والمعجمية للغة الأم الافتراضية التي تفرعت عنها اللغات المدروسة. على سبيل المثال، تمت إعادة بناء "اللغة الهندية الأوروبية البدائية (Proto-Indo-European) "كأصل مشترك للسنسكريتية واليونانية واللاتينية والجرمانية وغيرها.

كانت الدراسات التاريخية والمقارنة التي شكلت محور اهتمام اللغويين في القرن التاسع عشر تركز بشكل أساسي على الجانب التطوري (الدياركروني) للغة، مهمشةً إلى حد كبير الدراسة الوصفية الآنية (السينكرونية) التي أصبحت لاحقًا محور اهتمام مدارس لسانية أخرى كالبنيوية (uomustansiriyah.edu.iq, n.d.).

في وقت لاحق، تطورت داخل المدرسة التاريخية حركة أكثر تشددًا عُرفت باسم "النحويين الجدد (Neogrammarians) "في ألمانيا في سبعينيات القرن التاسع عشر. كان أبرز ما ميز هذه الحركة هو تبنيها لمبدأ "حتمية القوانين الصوتية (The Exceptionlessness of "

(Sound Laws، الذي ينص على أن التغير الصوتي يحدث بشكل آلي ومنتظم، ولا يقبل أي استثناءات. هذا المبدأ، على الرغم من الجدل الذي أثاره، أضفى على اللسانيات التاريخية درجة غير مسبوقة من الدقة العلمية، وجعل من الممكن صياغة "قوانين" تفسر التحولات اللغوية، وهو ما سنتناوله في القسم التالي.

4- قوانين التغير الصوتي

يُعد مفهوم "القانون الصوتي (Sound Law) "أحد أهم الإنجازات النظرية للمدرسة التاريخية، وخاصة جناحها المعروف بالنحويين الجدد. القانون الصوتي هو عبارة عن بيان يصف تغيرًا صوتيًا منتظمًا حدث في لغة معينة أو مجموعة من اللغات خلال فترة تاريخية محددة. الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها هذا المفهوم هي "الانتظام(Regularity) "؛ أي أن التغير الصوتي لا يحدث بشكل عشوائي أو متقطع، بل يطبق بشكل آلي على كل كلمة في اللغة تحتوي على الصوت المعني وفي البيئة الصوتية المحددة (Wikipedia contributors, 2025d). هذا المبدأ، المعروف بـ "فرضية النحويين الجدد"، جعل من الممكن تتبع التطورات اللغوية بدقة علمية تشبه قوانين العلوم الطبيعية.

أشهر مثال على هذه القوانين وأولها اكتشافًا بشكل منهجي هو "قانون غريم (Grimm's Law)" الذي يُعرف أيضًا بـ "التحول الصوتي الجرماني الأول". هذا القانون، الذي صاغه ياكوب غريم بشكل منظم عام 1822، يصف سلسلة من التحولات التي طرأت على الحروف الصامتة الانفجارية (Stop Consonants) في اللغة الهندية الأوروبية البدائية عند تطورها إلى اللغة الجرمانية البدائية، التي تفرعت عنها لاحقًا اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والاسكندنافية وغيرها.(Encyclopædia Britannica, 2025)

يتألف قانون غريم من ثلاث مراحل مترابطة يمكن وصفها بأنها "تفاعل متسلسل (Chain Shift)":

1. **تحول الصوامت الانفجارية المهموسة (Voiceless Stops):** تحولت الصوامت الانفجارية المهموسة في الهندية الأوروبية البدائية (*p, *t, *k) إلى صوامت احتكاكية مهموسة (Voiceless Fricatives) في الجرمانية البدائية.(*f, *θ, *h)

2. **تحول الصوامت الانفجارية المجهورة (Voiced Stops):** تحولت الصوامت الانفجارية المجهورة في الهندية الأوروبية البدائية (*b, *d, *g) إلى صوامت انفجارية مهموسة في الجرمانية البدائية.(*p, *t, *k)

3. **تحول الصوامت الانفجارية المجهورة المُزَفَّرة (Voiced Aspirated Stops):** تحولت الصوامت الانفجارية المجهورة المزفرة في الهندية الأوروبية البدائية (*b^h, *d^h, *g^h) إلى صوامت انفجارية مجهورة في الجرمانية البدائية (*b, *d, *g).

يمكن تلخيص هذه التحولات في الجدول التالي مع أمثلة توضيحية:

المرحلة	الصوت في الهندية الأوروبية البدائية (PIE)	الصوت في الجرمانية البدائية (PGmc)	مثال) لاتيني/سنسكريتي كممثل لـ(PIE	مثال (إنجليزي كممثل للجرمانية)
1	*p	*f	Latin: *pater*	English: *father*
2	*d	*t	Latin: *decem*	English: *ten*
3	*g^h	*g	Sanskrit: *hamsa* (PIE *ǵ^{h}ans)	English: *goose*

لم يكن قانون غريم خاليًا من الاستثناءات الظاهرية، مما شكل تحديًا لفرضية الانتظام. لكن في عام 1875، جاء اللغوي الدنماركي كارل فيرنر (Karl Verner) ليكتشف "قانون فيرنر" الذي فسر معظم هذه الاستثناءات، وأثبت أنها في الحقيقة تخضع لقانون آخر أكثر تعقيدًا يتعلق بموضع النبر في الكلمة في اللغة الهندية الأوروبية البدائية. هذا الاكتشاف عزز من مكانة القوانين الصوتية كأداة علمية موثوقة في اللسانيات التاريخية.

5- إسهامات الرواد: راسك، غريم، بوب

لم يكن تأسيس فقه اللغة المقارن وليد جهد فردي، بل هو نتاج تضافر جهود جيل من العلماء الأفذاذ الذين وضع كل منهم لبنة أساسية في هذا الصرح العلمي. وفي هذا السياق، يبرز ثلاثة

عمالقة كان لهم الفضل الأكبر في تشكيل هذا العلم، وهم: راسموس راسك، وياكوب غريم، وفرانز بوب.

1-5- راسموس راسك (Rasmus Rask, 1787–1832): الرائد المنهجي

يُعتبر اللغوي الدنماركي راسموس راسك أحد المؤسسين الحقيقيين لعلم اللغة المقارن، وغالبًا ما يُنظر إليه على أنه العقل الذي وضع الأسس المنهجية التي سار عليها الآخرون. كان راسك لغويًا فذًا، أتقن عددًا هائلاً من اللغات واللهجات (تشير المصادر إلى إتقانه 25 لغة ودراسته لما يقارب ضعف هذا العدد)، وقام برحلات علمية واسعة شملت آيسلندا وروسيا وبلاد فارس والهند، بهدف دراسة اللغات في مصادرها وجمع المخطوطات (Wikipedia contributors, 2025b).

تتجلى مساهمته الكبرى في كتابه "بحث في أصل اللغة النوردية القديمة أو الآيسلندية " (Undersøgelse om det gamle Nordiske eller Islandske Sprogs Oprindelse)، الذي أنهاه عام 1814 ونُشر عام 1818. في هذا العمل، قام راسك بما يلي:

- **وضع منهجية المقارنة :**شدد راسك على أن التشابه في المفردات الأساسية (مثل الضمائر والأعداد وأسماء أعضاء الجسم) أكثر دلالة على القرابة من المفردات الثقافية القابلة للاقتراض. والأهم من ذلك، أنه أكد أن التطابقات في البنية النحوية (Grammatical correspondence)هي الدليل القاطع على وجود أصل مشترك.
- **صياغة مبكرة لقانون غريم :**قبل ياكوب غريم بسنوات، لاحظ راسك وجود تطابقات صوتية منتظمة بين الحروف الصامتة في اللغات الجرمانية (مثل الآيسلندية والقوطية) ونظيراتها في اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية). لقد كان أول من صاغ بشكل واضح المبادئ الأساسية للتحولات الصوتية التي عُرفت لاحقًا بقانون غريم (Wikipedia contributors, 2025b).على سبيل المثال، لاحظ أن الحرف (p) اللاتيني يقابله (f) في الجرمانية، وأن (t) يقابله.(þ)

على الرغم من أن أعماله لم تحظَ بالانتشار الفوري الذي حظيت به أعمال غريم (لأنها كُتبت باللغة الدنماركية)، إلا أن راسك يبقى الرائد الحقيقي الذي أرسى المبادئ العلمية للمقارنة

اللغوية، وركز على أهمية الانتظام في التحولات الصوتية والنحوية كدليل على القرابة بين اللغات.

2-5- ياكوب غريم (Jacob Grimm, 1785–1863): منظّم القوانين الصوتية

إذا كان راسك هو من وضع حجر الأساس، فإن ياكوب غريم هو المهندس الذي بنى عليه وشيّد صرحًا متكاملاً. اشتهر غريم، مع أخيه فيلهلم، بجمع الحكايات الشعبية الألمانية، لكن إسهامه في علم اللغة لا يقل أهمية. يُعتبر غريم مؤسس فقه اللغة الجرماني (Germanic Philology)، وعمله الضخم "القواعد الألمانية (Deutsche Grammatik) "هو الذي رسخ المنهج التاريخي المقارن كأداة أساسية في الدراسات اللغوية.

في الطبعة الثانية من كتابه "القواعد الألمانية" (1822)، قام غريم بصياغة شاملة ومنظمة للتحولات الصوتية التي لاحظها راسك وغيره، وقدمها للعالم تحت مسمى "التحول الصوتي " (Lautverschiebung)، وهو ما أصبح يُعرف عالميًا بـ "قانون غريم". لم تكن مساهمة غريم مجرد إعادة صياغة لملاحظات راسك، بل كانت أعمق من ذلك بكثير (Lehmann, n.d.):

- **الشمولية والتنظيم** :بينما ركز راسك على أمثلة محددة، قدم غريم القانون كمنظومة متكاملة تشمل جميع الحروف الصامتة الانفجارية في اللغات الجرمانية، موضحًا التحولات كجزء من عملية واحدة متسلسلة ومنتظمة.
- **التأثير الواسع** :بفضل كتابته باللغة الألمانية، التي كانت لغة العلم في تلك الفترة، وبفضل شهرته الواسعة، انتشرت أفكار غريم بسرعة وألهمت جيلاً كاملاً من اللغويين. لقد أثبت عمله أن التغير اللغوي ليس عشوائيًا، بل يخضع لقوانين يمكن اكتشافها ودراستها.
- **تأسيس علم الأصوات التاريخي** :يُعد قانون غريم أول قانون منهجي للتغير الصوتي يتم اكتشافه، وبذلك، أسس غريم فرعًا جديدًا من اللسانيات هو علم الأصوات التاريخي (Historical Phonology)، الذي يهتم بدراسة كيفية تغير أنظمة الأصوات في اللغات عبر الزمن.(Wikipedia contributors, 2025a)

باختصار، تكمن عبقرية غريم في قدرته على رؤية "النظام" الكامن وراء التغيرات الظاهرية، وتحويل الملاحظات المتفرقة إلى "قانون" علمي متكامل، مما منح اللسانيات التاريخية مكانتها كعلم دقيق.

3-5- فرانز بوب (Franz Bopp, 1791–1867): مؤسس النحو المقارن

بينما كان راسك وغريم يركزان بشكل أساسي على علم الأصوات (Phonology) والتحولات الصوتية، كان فرانز بوب يفتح جبهة جديدة ومختلفة، وهي جبهة علم الصرف (Morphology)أو النحو المقارن. يُجمع المؤرخون على أن بوب هو المؤسس الحقيقي للنحو المقارن، وهو العلم الذي يدرس أصول وتطور الأشكال النحوية (مثل تصريفات الأفعال والأسماء) عبر اللغات المترابطة.

جاءت انطلاقته الكبرى مع نشر كتابه عام 1816 بعنوان "حول نظام تصريف الأفعال في اللغة السنسكريتية مقارنةً بنظيره في اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية (Über das Konjugationssystem der Sanskritsprache...). كان هدف بوب في هذا الكتاب، وفي عمله الأضخم لاحقًا "القواعد المقارنة(Vergleichende Grammatik) "، ليس مجرد إثبات أن هذه اللغات متقاربة، فهذا كان قد أصبح معروفًا، بل كان هدفه هو "تتبع الأصل المشترك للأشكال النحوية وتفسير نشأة اللواحق التصريفية (Wikipedia contributors, 2025c).

كان بوب يعتقد أن اللواحق النحوية (inflectional endings) لم تكن اعتباطية، بل كانت في الأصل كلمات مستقلة (مثل أفعال مساعدة أو ضمائر) تم دمجها مع جذور الكلمات عبر الزمن لتفقد استقلاليتها وتتحول إلى مجرد لاحقة. على سبيل المثال، حاول أن يثبت أن نهايات تصريف الفعل في اللغات الهندية الأوروبية نشأت من دمج جذور الأفعال مع أشكال مختلفة من الفعل "to be". على الرغم من أن الكثير من تحليلاته التفصيلية حول أصل اللواحق قد تم دحضها لاحقًا، إلا أن منهجه العام كان ثوريًا.(Lehmann, n.d.)

تكمن أهمية بوب في أنه:

- **نقل التركيز من الصوت إلى البنية:** حوّل بوب بؤرة الاهتمام في الدراسات المقارنة من مجرد مقارنة الأصوات والمفردات إلى تحليل البنية الصرفية والنحوية للغات.

- **أسس النحو المقارن** :من خلال تحليله التاريخي لأشكال التصريف، وضع بوب الأسس الأولى لدراسة تاريخ القواعد النحوية، وهو ما يُعرف اليوم بالنحو المقارن (Comparative Grammar).
- **هدف تفسيري** :لم يكتفِ بوب بوصف التشابهات، بل سعى إلى تفسيرها من خلال إعادة بناء العمليات التاريخية التي أدت إلى نشأة الأشكال النحوية المختلفة.

وهكذا، يمكننا أن نرى كيف تكاملت جهود هؤلاء الرواد الثلاثة: راسك وضع المنهجية وركز على التطابقات الصوتية، وغريم نظم هذه التطابقات في قوانين شاملة، وبوب وسّع نطاق المقارنة ليشمل البنية النحوية بأكملها، مؤسسًا بذلك الأركان الثلاثة لعلم اللغة التاريخي المقارن: المنهجية، والقانون الصوتي، والنحو المقارن.

6- خلاصة

لقد شكل ظهور فقه اللغة المقارن في القرن التاسع عشر ثورة علمية حقيقية في تاريخ دراسة اللغة. فبفضل اكتشاف اللغة السنسكريتية، تحولت الدراسات اللغوية من مجرد ملاحظات متفرقة وتأملات فلسفية إلى علم منهجي صارم، هو علم اللغة التاريخي المقارن. تبنت المدرسة التاريخية هذا المنهج، ورأت في تاريخ اللغة مفتاح فهمها الوحيد، وسعت من خلال المقارنة المنظمة إلى الكشف عن أواصر القربى بين اللغات وإعادة بناء أصولها المشتركة.

كان اكتشاف "القوانين الصوتية"، وعلى رأسها قانون غريم، بمثابة الإنجاز الأبرز لهذه المدرسة، حيث أثبت أن التغير اللغوي ليس فوضويًا بل يخضع لانتظام يمكن التنبؤ به ودراسته علميًا. وقد تجسدت عبقرية هذه الحقبة في جهود ثلاثة من الرواد الذين وضعوا أسس هذا العلم: راسموس راسك، الذي أرسى المنهجية العلمية للمقارنة وأشار إلى انتظام التحولات الصوتية؛ وياكوب غريم، الذي صاغ هذه التحولات في "قانون" شامل ومنظم أطلق شرارة علم الأصوات التاريخي؛ وفرانز بوب، الذي نقل ميدان المقارنة إلى مستوى أعمق من خلال تأسيس النحو المقارن والتركيز على تطور البنى الصرفية.

في المحصلة، فإن الإرث الذي تركه هؤلاء العلماء لا يزال حيًا حتى اليوم. فالمنهج التاريخي المقارن، على الرغم من ظهور مناهج أخرى، يبقى أداة لا غنى عنها في تصنيف اللغات، وفهم

ديناميكيات التغير اللغوي، وإعادة بناء فصول من تاريخ البشرية لم تُدوّن إلا في بنية الكلمات التي نتحدثها.

7- أسئلة للمناقشة

1. ما هو الفرق الجوهري بين منهج فرانز بوب في المقارنة اللغوية ومنهج ياكوب غريم؟ وأي المنهجين تعتبره أكثر تأسيسًا لعلم اللغة المقارن ككل، ولماذا؟
2. "القوانين الصوتية لا تعرف استثناءات". ناقش هذه المقولة المنسوبة إلى مدرسة النحويين الجدد. إلى أي مدى يمكن اعتبار "قانون غريم" مثالًا على هذه الحتمية، وكيف أثر اكتشاف "قانون فيرنر" على هذه الفكرة؟
3. لماذا يُعتبر اكتشاف اللغة السنسكريتية من قبل الأوروبيين نقطة تحول حاسمة في تاريخ اللسانيات؟ ما الذي قدمته السنسكريتية ولم تكن اللغات الأوروبية المعروفة آنذاك (مثل اللاتينية واليونانية) قادرة على تقديمه بنفس الوضوح؟
4. لو لم يكتب راسموس راسك أعماله باللغة الدنماركية، هل تعتقد أن "قانون غريم" كان سيُعرف اليوم باسم "قانون راسك"؟ ناقش دور لغة النشر في انتشار الأفكار العلمية في القرن التاسع عشر.

8- قائمة المراجع

- باحثو اللغة العربية. (د.ت)، اللسانيات *المقارنة: كيف نفهم صلة القرابة بين اللغات؟*، *استرجاع في 20 ديسمبر 2025، على الرابط:*

https://bahethoarabia.com/comparative-linguistics/

- Encyclopædia Britannica. (2025, November 18). *Grimm's law*. In Encyclopædia Britannica. Retrieved December 20, 2025, from https://www.britannica.com/topic/Grimms-law
- Lehmann, W. P. (n.d.). *A Reader in Nineteenth Century Historical Indo-European Linguistics: Jacob Grimm*. The University of Texas at Austin, Linguistics Research Center. Retrieved

December 20, 2025, from https://lrc.la.utexas.edu/books/reader/5-j-grimm

- Wikipedia contributors. (2025a, May 8). *Grimm's law*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Grimm%27s_law
- Wikipedia contributors. (2025b, November 18). *Rasmus Rask*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Rasmus_Rask
- Wikipedia contributors. (2025c, September 14). *Franz Bopp*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Franz_Bopp

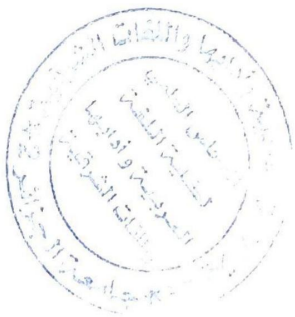

المحاضرة الرابعة: فردينان دو سوسير وبدايات اللسانيات الحديثة

1- تمهيد

يُعد فردينان دو سوسير (1857-1913) بحق "أب اللسانيات الحديثة"، فالأفكار التي طرحها في محاضراته التي جُمعت بعد وفاته في كتاب "محاضرات في علم اللغة العام (Cours de linguistique générale)"، شكلت ثورة حقيقية في دراسة اللغة، ونقلتها من الطور التاريخي المقارن الذي ساد في القرن التاسع عشر إلى طور جديد علمي ومنهجي. لم ينشر سوسير نفسه هذا الكتاب، بل قام تلميذاه شارل بالي وألبير سيشهاي بجمع وتحرير محاضراته التي ألقاها في جامعة جنيف بين عامي 1906 و1911، ونشراها لأول مرة في عام 1916 (دو سوسير، 1985).

تكمن أهمية سوسير في أنه أول من دعا إلى ضرورة دراسة اللغة "في ذاتها ومن أجل ذاتها"، معتبراً إياها نظاماً مغلقاً من العلامات، ومؤسساً بذلك لعلم جديد أطلق عليه اسم "السيميولوجيا" أو علم العلامات، الذي يرى أن اللسانيات ليست إلا جزءاً منه. لقد وضع سوسير مجموعة من المبادئ والمفاهيم الأساسية التي أصبحت حجر الزاوية في الفكر اللساني والبنيوي في القرن العشرين، ومن أبرزها الثنائيات الشهيرة التي سنستعرضها في هذه المحاضرة.

لقد أحدثت آراء سوسير قطيعة معرفية مع الدراسات اللغوية التقليدية التي كانت تركز بشكل أساسي على الجانب التاريخي والتطوري للغات (الفيلولوجيا). في المقابل، دعا سوسير إلى دراسة اللغة كنظام آني(Synchronique) ، أي دراسة حالتها في فترة زمنية محددة، كنظام متكامل من العلاقات الداخلية .(Culler, 1986)هذا التحول في منظور الدراسة هو ما فتح الباب أمام المناهج البنيوية التي هيمنت على العلوم الإنسانية لعقود تالية.

تهدف هذه المحاضرة إلى استعراض المفاهيم الأساسية في نظرية سوسير اللسانية، والتي لا غنى لأي دارس للسانيات عن فهمها واستيعابها. سنتناول بالتفصيل ثنائياته الكبرى: اللغة والكلام، الدال والمدلول، الدراسة التزامنية والتعاقبية، بالإضافة إلى مفهوم اعتباطية العلامة اللسانية. إن فهم هذه المفاهيم لا يساعد فقط على إدراك مساهمة سوسير التأسيسية، بل يوفر

أيضاً المفاتيح اللازمة لفهم العديد من التيارات اللسانية والنقدية اللاحقة التي انبثقت عن أفكاره أو تطورت كرد فعل عليها (الأنصاري، 2011).

2- اللغة والكلام(Langue et Parole)

تُعد التفرقة بين "اللغة (Langue) "و"الكلام (Parole) "أولى وأهم الثنائيات التي قدمها سوسير، وهي أساسية لتحديد موضوع علم اللغة الحديث. رأى سوسير أن الظاهرة اللغوية الكلية (Langage) ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه، فهي فيزيائية وفسيولوجية ونفسية واجتماعية، مما يجعلها غير قابلة للدراسة العلمية المنهجية كوحدة واحدة. ولحل هذه الإشكالية، اقترح تقسيمها إلى مكونين رئيسيين: اللغة والكلام (دو سوسير، 1985).

فما هي اللغة(Langue) ؟ بالنسبة لسوسير، اللغة هي الجانب الاجتماعي من الظاهرة اللغوية، وهي نظام مجرد من العلامات والقواعد النحوية والصرفية والصوتية المشتركة بين أفراد مجتمع لغوي معين. إنها "كنز لغوي" أو "مستودع" يكتسبه الفرد بشكل سلبي من مجتمعه. اللغة، بهذا المعنى، هي مؤسسة اجتماعية ونظام متكامل لا يملكه فرد بعينه، بل هو ملك للجماعة بأسرها. إنها الجزء الجوهري والمستقر الذي يسمح بالتواصل (الخولي، 2005).

خصائص اللغة(Langue)

- **اجتماعية :**هي نتاج اتفاق ضمني بين أفراد المجتمع، ولا يمكن لفرد واحد أن ينشئها أو يغيرها بإرادته.
- **نظام مجرد :**هي مجموعة من القواعد والعلاقات الكامنة في ذهن كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية.
- **أساسية وجوهرية :**بدون وجود نظام اللغة المشترك، يصبح التواصل مستحيلاً.
- **متجانسة :**على عكس الكلام، يمكن دراستها كنظام متجانس ومنظم.

أما "الكلام(Parole) "، فهو الجانب الفردي من الظاهرة اللغوية. إنه التحقيق الفعلي والملموس للغة من خلال أفعال النطق والكتابة التي يقوم بها الأفراد. الكلام هو استخدام شخصي وإرادي لنظام اللغة في سياقات محددة. لذلك، يتسم الكلام بالتنوع والاختلاف والتغير المستمر، فهو يعتمد على المتكلم وظروفه النفسية والجسدية والسياق الذي يتحدث فيه .(Culler, 1986)

يشمل الكلام كل ما هو فردي وعرضي، مثل اختيار المفردات، وتركيب الجمل، ونبرة الصوت، والتردد، والأخطاء.

خصائص الكلام(Parole)

- **فردي** :هو فعل إرادي يقوم به المتكلم.
- **ملموس ومادي** :هو سلسلة من الأصوات المنطوقة أو الرموز المكتوبة.
- **عرضي وثانوي** :هو مجرد تحقيق لنظام اللغة الكامن.
- **غير متجانس** :يتضمن عناصر لغوية وغير لغوية (نفسية، فيزيولوجية) تجعل دراسته العلمية المنهجية صعبة.

لقد حسم سوسير قراره بأن موضوع علم اللغة يجب أن يكون "اللغة (Langue) "وليس "الكلام .(Parole) "فاللغة هي النظام المستقر والمتجانس الذي يمكن وصفه وتحليله علمياً، بينما الكلام متغير وفوضوي. يمكن تشبيه العلاقة بينهما بلعبة الشطرنج: "اللغة" هي قواعد اللعبة وقيمة كل قطعة، وهي ثابتة ومشتركة بين كل اللاعبين. أما "الكلام" فهو المباراة الفعلية التي يلعبها شخصان، وهي حدث فردي وملموس لا يتكرر بنفس الطريقة أبداً)دو سوسير، 1985 .(بهذا التمييز، حدد سوسير مجالاً واضحاً ومنهجياً للسانيات البنيوية.

3- الدال والمدلول(Signifiant et Signifié)

بعد تحديد "اللغة" كموضوع للدراسة، انتقل سوسير إلى تحليل وحدتها الأساسية، والتي أطلق عليها "العلامة اللسانية .(Le signe linguistique) "رفض سوسير الفكرة الشائعة التي ترى أن اللغة مجرد قائمة من الكلمات التي تشير إلى أشياء في العالم الخارجي (أي مجرد عملية تسمية). بدلاً من ذلك، أكد أن العلامة اللسانية هي كيان نفسي ذو وجهين، يربط بين مفهوم وصورة سمعية (دو سوسير، 1985).

هذان الوجهان لا ينفصلان، فهما كو-جهي العملة الواحدة. أطلق سوسير على هذين المكونين اسمين جديدين لتجنب الالتباس مع المصطلحات التقليدية:

1. **الدال :(Signifiant)** وهو الصورة السمعية أو الصوتية. من المهم التأكيد على أن الدال ليس الصوت المادي الفعلي، بل هو الأثر النفسي لهذا الصوت في الذهن، أي "الصورة الذهنية" للسلسلة الصوتية. على سبيل المثال، عند سماع كلمة "شَجَرَة"، فإن

الدال ليس هو الاهتزازات الصوتية في الهواء، بل هو الصورة الذهنية لتتابع الأصوات /ش/، /ج/، /ر/، /ة/ في ذهن المتكلم والمستمع.

2. **المدلول (Signifié):** وهو المفهوم أو الفكرة الذهنية التي يرتبط بها الدال. في مثالنا، المدلول هو المفهوم العام لـ "الشجرة" بكل خصائصها (جذع، أغصان، أوراق...)، وليس شجرة معينة ومحددة في الواقع الخارجي. المدلول هو تصور ذهني مجرد.

إذن، العلامة اللسانية = دال + مدلول. العلاقة بينهما علاقة تلازمية قوية، فاستدعاء أحدهما يستدعي الآخر تلقائياً في الذهن. يوضح سوسير أن "العلامة اللسانية لا توحد بين شيء واسم، بل بين مفهوم وصورة سمعية "(دو سوسير، 1985، ص. 98) هذا التعريف يضع اللغة بالكامل في حيز الذهن، ويبعدها عن الإحالة المباشرة إلى العالم المادي الخارجي، وهو ما كان له أثر عميق في الفلسفة والنقد الأدبي لاحقاً .(Culler, 1986)

لفهم طبيعة العلامة بشكل أعمق، يمكننا استخدام الرسم التوضيحي الذي قدمه سوسير نفسه، والذي يصور المدلول (المفهوم) في الأعلى والدال (الصورة السمعية) في الأسفل، مع سهمين متعاكسين يشيران إلى التلازم بينهما، ودائرة تحيط بهما لتؤكد على وحدتهما الكلية كعلامة.

المدلول (مفهوم "شجرة")

الدال (صورة صوتية "ش-ج-ر-ة")

إن أهم ما يميز نظام اللغة عند سوسير هو أنه نظام من "القيم .(Values) "فقيمة أي علامة لا تتحدد بشكل إيجابي من خلال محتواها الخاص، بل بشكل سلبي من خلال علاقاتها مع العلامات الأخرى في نفس النظام. على سبيل المثال، قيمة كلمة "خروف" في العربية لا تأتي فقط من ربطها بمفهوم حيوان معين، بل أيضاً من كونها ليست "نعجة" وليست "حَمَل" وليست "كبش". كل علامة تحددها العلامات الأخرى التي تجاورها وتعارضها. يقول سوسير: "في اللغة لا يوجد سوى الاختلافات... بدون مصطلحات إيجابية "(دو سوسير، 1985) هذا المفهوم للعلاقات السلبية هو جوهر الفكر البنيوي.

4- الاعتباطية(L'arbitraire du signe)

المبدأ الأول الذي يحكم العلامة اللسانية عند سوسير هو "اعتباطية العلامة". ويعني هذا المبدأ أن العلاقة التي تربط بين الدال (الصورة السمعية) والمدلول (المفهوم) هي علاقة اعتباطية، أي أنها غير معللة أو غير طبيعية. لا يوجد أي سبب منطقي أو طبيعي يجعل سلسلة الأصوات "ش-ج-ر-ة" تدل على مفهوم "الشجرة" دون غيره .(Harris, 1990) الدليل الأكبر على هذه الاعتباطية هو اختلاف اللغات. فالمفهوم الواحد (المدلول) يُعبَّر عنه بدوال مختلفة في لغات مختلفة. فمفهوم "أخت" يُعبَّر عنه بالدال "sister" في الإنجليزية، و "sœur"في الفرنسية، و "Schwester"في الألمانية. لو كانت العلاقة طبيعية أو ضرورية، لكان هناك دال واحد فقط للمدلول الواحد في جميع لغات العالم، وهذا غير صحيح (الخولي، 2005).

من المهم هنا توضيح نقطتين لتجنب سوء فهم مبدأ الاعتباطية:

1. **الاعتباطية لا تعني حرية الاختيار للفرد :**صحيح أن الرابط بين الدال والمدلول اعتباطي في الأصل، لكنه مفروض على أفراد الجماعة اللغوية. لا يستطيع أي متكلم أن يقرر من تلقاء نفسه تغيير دال معين أو استبداله بآخر. فاللغة نظام موروث وثابت بالنسبة للفرد. يقول سوسير إن العلامة "ثابتة" بالنسبة للمجتمع اللغوي الذي يستخدمها، لكنها "اعتباطية" من منظور مطلق. هذا التناقض الظاهري بين اعتباطية العلامة وثباتها هو أحد الجوانب العميقة في نظرية سوسير .(Culler, 1986)
2. **وجود درجات من الاعتباطية :**أقر سوسير نفسه بأن الاعتباطية ليست مطلقة في كل الحالات. هناك ما يمكن تسميته بـ "الاعتباطية النسبية". ففي حين أن علامات مثل "رجل" أو "بيت" هي اعتباطية بالكامل، فإن هناك علامات أخرى، خاصة الكلمات المركبة والمشتقة، تكون فيها درجة من التعليل. على سبيل المثال، كلمة "عشرون" قد تبدو اعتباطية، لكنها في الواقع مرتبطة بـ "عشرة". وكلمة "مَكتَب" مشتقة من الجذر "ك-ت-ب"، مما يجعلها أقل اعتباطية من كلمة "باب". ومع ذلك، يظل العنصر الأساسي في النظام (الجذور، الكلمات البسيطة) اعتباطياً بالكامل (الأنصاري، 2011).

الاستثناءات الظاهرية: المحاكاة الصوتية

قد يجادل البعض بأن الكلمات التي تحاكي الأصوات الطبيعية(Onomatopoeia) ، مثل "مواء" القط أو "نباح" الكلب، تشكل استثناءً لمبدأ الاعتباطية، لأن العلاقة بين الدال والمدلول تبدو طبيعية. لكن سوسير يرى أن هذه الحالات محدودة جداً في اللغة، وحتى هي نفسها تخضع للعرف اللغوي الخاص بكل لغة. فصوت الديك في العربية هو "صياح"، وفي الإنجليزية "cock-a-doodle-doo"، وفي الفرنسية ."cocorico" هذا الاختلاف يثبت أن حتى المحاكاة الصوتية ليست طبيعية بالكامل، بل هي تقليد تقريبي يخضع لنظام الأصوات الخاص بكل لغة، مما يؤكد مرة أخرى على سيادة مبدأ الاعتباطية .(Harris, 1990)

5- التزامن والتعاقب(Synchronie et Diachronie)

تُعد هذه الثنائية المنهجية من أهم مساهمات سوسير، حيث أعاد من خلالها توجيه مسار الدراسات اللغوية. قبل سوسير، كانت الدراسات اللغوية (الفيلولوجيا) تركز بشكل شبه حصري على البعد التاريخي للغة، أي تتبع تطور الكلمات والأصوات عبر الزمن. أطلق سوسير على هذا المنهج اسم "الدراسة التعاقبية.(Diachronique) "

في المقابل، دعا سوسير إلى ضرورة تبني منظور جديد هو "الدراسة التزامنية " (Synchronique)، والتي تعني دراسة اللغة كنظام متكامل في لحظة زمنية معينة، بغض النظر عن تاريخها وتطورها. لقد رأى أن المتكلمين يستخدمون اللغة كنظام آني وفعال للتواصل، وهم في الغالب لا يعون تاريخ الكلمات التي يستخدمونها. لذلك، فإن فهم اللغة كنظام وظيفي يتطلب دراستها بشكل وصفي في حالتها الراهنة (دو سوسير، 1985).

أ. الدراسة التزامنية (الآنية أو الوصفية)

هي دراسة العلاقات التي تربط بين عناصر اللغة المختلفة (أصوات، كلمات، تراكيب) في فترة زمنية محددة. إنها تنظر إلى اللغة كحالة مستقرة ونظام مغلق. على سبيل المثال، دراسة نظام الأفعال في اللغة العربية الفصحى المعاصرة، أو تحليل العلاقات النحوية بين مكونات الجملة، هي دراسة تزامنية. يرى سوسير أن هذا النوع من الدراسة هو الأجدر بأن يكون محور اهتمام علم اللغة، لأنه يتعامل مع اللغة كنظام من القيم المترابطة التي تشكل "اللغة " (Langue)كما يعرفها المتكلمون .(Culler, 1986)

المجلس العلمي لكلية اللغة العربية و آدابها واللغات الشرقية

شبه سوسير الدراسة التزامنية بالنظر إلى وضعية قطع الشطرنج على الرقعة في لحظة معينة من المباراة. لوصف هذه الوضعية، لا يهمنا كيف وصلت القطع إلى أماكنها الحالية (تاريخ المباراة)، بل ما يهمنا هو مواقعها وعلاقاتها ببعضها البعض في هذه اللحظة، لأن هذه العلاقات هي التي تحدد قيمة كل قطعة والحركات الممكنة التالية.

ب. الدراسة التعاقبية (التطورية أو التاريخية)

هي دراسة تطور عنصر لغوي واحد عبر الزمن. على سبيل المثال، تتبع التغيرات التي طرأت على صوت معين أو معنى كلمة معينة منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا. الدراسة التعاقبية لا تتعامل مع اللغة كنظام، بل تتعامل مع عناصر منعزلة تتغير عبر محور الزمن. التغيرات التي تحدث في فترة ما (مثل تحول صوت إلى آخر) لا تؤثر بالضرورة على النظام بأكمله بشكل فوري، بل هي أحداث فردية تقع على محور التعاقب (الأنصاري، 2011).

شبه سوسير الدراسة التعاقبية بتحريك قطعة واحدة في لعبة الشطرنج. هذا التحريك هو حدث يغير الوضعية السابقة، لكنه في حد ذاته ليس جزءاً من نظام العلاقات القائم على الرقعة قبل أو بعد الحركة. إنه حدث يقع على محور الزمن (تتابع الحركات).

أولوية التزامن على التعاقب

أكد سوسير على ضرورة الفصل التام بين المنهجين، وأعطى أولوية مطلقة للدراسة التزامنية. فمن وجهة نظره، لا يمكن فهم التغيرات التاريخية (التعاقبية) دون فهم النظام الذي طرأت عليه هذه التغيرات في كل مرحلة من مراحله (الدراسة التزامنية). فكل تغيير تعاقبي يؤدي إلى خلق نظام تزامني جديد. لذلك، يجب على اللساني أن يدرس أولاً الحالة الآنية للغة كنظام، ثم يمكنه بعد ذلك أن يدرس كيف تغيرت هذه الحالة عبر الزمن (دو سوسير، 1985).

لقد كان لهذا التمييز أثر هائل، حيث حرر اللسانيات من هيمنة المنهج التاريخي، وفتح المجال أمام الدراسات الوصفية والبنيوية التي ركزت على تحليل بنية اللغة كنظام متكامل، مما أدى إلى تطورات هائلة في مجالات مثل علم الأصوات (الفونولوجيا)، وعلم الصرف (المورفولوجيا)، وعلم النحو (التركيب).

6- خلاصة

شكلت أفكار فرديناند دو سوسير، التي قُدمت في "محاضرات في علم اللغة العام"، نقطة تحول جذرية في تاريخ الفكر اللغوي. من خلال تحديد "اللغة (Langue) "كموضوع علمي متميز عن "الكلام(Parole) "، ومن خلال تحليل وحدتها الأساسية "العلامة اللسانية" بمكونيها الدال والمدلول، استطاع سوسير أن يؤسس للسانيات كعلم مستقل له منهجه وموضوعه الخاص.

إن المبادئ التي أرساها، مثل اعتباطية العلامة، وأولوية الدراسة التزامنية على التعاقبية، ومفهوم اللغة كنظام من العلاقات والاختلافات، لم تؤثر في اللسانيات فحسب، بل امتد تأثيرها ليشمل مجمل العلوم الإنسانية في القرن العشرين، فكانت الأساس الذي قامت عليه الحركة البنيوية في النقد الأدبي والأنثروبولوجيا وعلم النفس. على الرغم من الانتقادات والتطورات اللاحقة التي شهدتها اللسانيات، تظل مفاهيم سوسير وثنائياته الشهيرة نقطة انطلاق أساسية لا غنى عنها لفهم مسار الفكر اللساني الحديث والمعاصر (الخولي، 2005).

7- أسئلة للمناقشة

1. لماذا فضل سوسير دراسة "اللغة (Langue) "على "الكلام(Parole) "؟ وما هي الآثار المنهجية لهذا الاختيار؟
2. اشرح بمثال من عندك مفهوم "العلامة اللسانية" بمكونيها (الدال والمدلول). كيف يختلف تعريف سوسير للعلامة عن الفهم التقليدي للكلمة؟
3. "في اللغة لا يوجد سوى الاختلافات". ناقش هذه المقولة لسوسير في ضوء مفهومه لقيمة العلامة اللسانية.
4. هل ترى أن مبدأ "اعتباطية العلامة" مطلق؟ قدم أمثلة تدعم أو تدحض هذا المبدأ، مع الإشارة إلى رأي سوسير في الاستثناءات الظاهرية كالمحاكاة الصوتية.
5. ما الفرق الجوهري بين الدراسة التزامنية والدراسة التعاقبية؟ ولماذا أعطى سوسير الأولوية للمنهج التزامني؟ هل يمكن للمنهجين أن يتكاملا؟
6. كيف أثرت أفكار سوسير على مجالات أخرى خارج نطاق اللسانيات، مثل النقد الأدبي؟

قائمة المراجع

- الأنصاري، أحمد. (2011). الثنائيات السوسيرية وأثرها في الفكر اللساني المعاصر. *مجلة اللسانيات العربية*، *25*(2)، 45-68.
- الخولي، محمد علي. (2005). *مدخل إلى علم اللغة الحديث*. دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- دو سوسير، فرديناند. (1985). *محاضرات في علم اللغة العام* (ترجمة يوئيل يوسف عزيز). دار آفاق عربية.
- Culler, J. (1986). *Ferdinand de Saussure*. Cornell University Press.
- Harris, R. (1990). Saussure and the arbitrariness of the sign. *Semiotica*, *80*(3-4), 379-389.

المحاضرة الخامسة: المدرسة البنيوية الأوروبية

1- تمهيد

شكلت بداية القرن العشرين نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفكر اللساني، حيث انتقل الدرس اللغوي من هيمنة المنهج التاريخي المقارن الذي ساد في القرن التاسع عشر إلى بروز رؤية جديدة تتناول اللغة بوصفها بنية متكاملة ومستقلة. يُعزى هذا التحول بشكل أساسي إلى محاضرات اللساني السويسري فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) التي جُمعت بعد وفاته ونُشرت في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة (**De Saussure, 1959**)". لقد أسست أفكار سوسير لما يُعرف بـ "المدرسة البنيوية(Structuralism)"، وهي مقاربة ثورية تنظر إلى اللغة كنظام من العلامات (System of Signs) التي تكتسب قيمتها من خلال علاقاتها المتبادلة داخل النظام نفسه، وليس من خلال علاقتها بالعالم الخارجي أو تطورها التاريخي.

رفضت البنيوية النظرة التجزيئية للغة التي كانت تركز على دراسة العناصر اللغوية بشكل معزول، واقترحت بدلاً من ذلك دراسة اللغة في حالتها الراهنة (الآنية أو السانكرونية)، بوصفها شبكة معقدة من العلاقات. يرى البنيويون أن أي عنصر لغوي، سواء كان صوتاً أو كلمة أو جملة، لا يمتلك معنى في حد ذاته، بل يستمد معناه وقيمته من خلال تمايزه واختلافه عن العناصر الأخرى في النظام.(**Culler, 1976**)

في هذه المحاضرة، سنتناول المبادئ الأساسية للمدرسة البنيوية الأوروبية، بدءاً من مفهوم "البنية" كما صاغه سوسير، مروراً بالعلاقات المحورية التي تحكم النظام اللغوي، وهي العلاقات التركيبية والاستبدالية. بعد ذلك، سننتقل إلى إحدى أهم المدارس التي طورت الفكر البنيوي، وهي "مدرسة براغ"، مع التركيز على إسهامات رومان ياكوبسون (Roman Jakobson) ونظريته الشهيرة حول وظائف اللغة، التي تمثل تطوراً مهماً من البنيوية الشكلية إلى البنيوية الوظيفية.

2- مفهوم البنية(The Concept of Structure)

يعد مفهوم "البنية (Structure) "حجر الزاوية في الفكر اللساني الحديث. قبل سوسير، كان يُنظر إلى اللغة على أنها مجرد "تسميات(Nomenclature) "، أي قائمة من الكلمات التي تشير إلى أشياء في العالم. جاء سوسير ليقلب هذا المفهوم رأساً على عقب، مؤكداً أن اللغة ليست مجموعة من العناصر المستقلة، بل هي "نظام تكون فيه كل العناصر مترابطة ويعتمد بعضها على بعض .(**De Saussure, 1959, p. 114**) "البنية إذن هي شبكة العلاقات الخفية التي تربط بين مكونات النظام اللغوي وتمنحها قيمتها ووظيفتها.

لتوضيح هذا المفهوم، قدم سوسير مجموعة من الثنائيات المنهجية التي شكلت أساس التحليل البنيوي:

- **اللغة والكلام :(Langue vs. Parole)** ميّز سوسير بين "اللغة (Langue) " بوصفها النظام الاجتماعي المجرد والمشترك بين أفراد الجماعة اللغوية (القواعد النحوية، المفردات، نظام الأصوات)، و"الكلام (Parole) "بوصفه التحقق الفعلي والفردي لهذا النظام في مواقف التواصل الحقيقية. يرى سوسير أن موضوع علم اللغة الحقيقي هو دراسة "اللغة (Langue) "كنظام بنيوي ثابت ومستقر (**الخولي، 2001**).
- **الآنية والزمانية :(Synchronic vs. Diachronic)** دعا سوسير إلى الفصل بين الدراسة الآنية (السانكرونية) التي تصف حالة اللغة في فترة زمنية محددة، والدراسة الزمانية (الدياكرونية) التي تتبع تطور عنصر لغوي عبر التاريخ. أعطت البنيوية الأولوية للدراسة الآنية لأنها وحدها الكفيلة بالكشف عن طبيعة النظام اللغوي كبنية متكاملة.(**Culler, 1976**)
- **الدال والمدلول :(Signifier and Signified)** تتكون العلامة اللغوية (Linguistic Sign)من عنصرين متحدين لا ينفصلان: "الدال(Signifier) "، وهو الصورة الصوتية أو الشكل المادي للكلمة (مثل تسلسل الأصوات /كِ-تَ-ا-ب/)، و"المدلول(Signified) "، وهو المفهوم الذهني أو الفكرة التي يرتبط بها الدال (فكرة "الكتاب"). العلاقة بينهما اعتباطية(arbitrary) ، أي لا يوجد سبب طبيعي أو منطقي لربط دال معين بمدلول معين.

إن أهم ما في هذا التصور هو أن قيمة العلامة اللغوية لا تنبع من علاقتها بالواقع، بل من علاقاتها السلبية التفاضلية مع العلامات الأخرى في النظام. فقيمة كلمة "حار" لا تكمن في ذاتها، بل في كونها ليست "بارد" وليست "دافئ" وليست "ساخن". وكما يقول سوسير: "في اللغة، لا يوجد سوى الاختلافات.(**De Saussure, 1959, p. 120**) "

3- العلاقات التركيبية والاستبدالية

لكي تعمل اللغة كنظام، لا بد من وجود محاور تنظم العلاقات بين وحداتها. حدد سوسير محورين أساسيين للعلاقات اللغوية، وهما اللذان يشكلان معاً هيكل البنية اللغوية: المحور التركيبي (Syntagmatic) والمحور الاستبدالي.(Paradigmatic)

3-1- العلاقات التركيبية(Syntagmatic Relations)

تقوم هذه العلاقات على مبدأ "التسلسل الخطي" للكلام. فالوحدات اللغوية لا تظهر دفعة واحدة، بل تتوالى الواحدة تلو الأخرى في سلسلة منطوقة أو مكتوبة. هذه العلاقات هي علاقات حضورية(in praesentia) ، حيث ترتبط كل وحدة بالوحدات التي تسبقها وتلك التي تليها في الجملة. على سبيل المثال، في جملة "الولدُ يقرأُ الكتابَ"، ترتبط كلمة "الولد" ارتباطاً تركيبياً بالفعل "يقرأ"، ويرتبط الفعل "يقرأ" ارتباطاً تركيبياً بالمفعول به "الكتاب."

تخضع هذه العلاقات لقواعد لغوية محددة تختلف من لغة إلى أخرى (قواعد النحو والتركيب). فلا يمكننا في اللغة العربية الفصحى أن نقول "الكتاب يقرأ الولد" بنفس المعنى، لأن النظام التركيبي يفرض ترتيباً معيناً للفاعل والفعل والمفعول به لتحقيق معنى محدد. هذه السلسلة الخطية هي ما يطلق عليه سوسير "المركب.(**De Saussure, 1959**) (Syntagm) "

3-2- العلاقات الاستبدالية(Paradigmatic Relations)

على عكس العلاقات التركيبية، فإن العلاقات الاستبدالية هي علاقات غيابية .(in absentia) إنها تربط بين وحدات لغوية يمكن أن تحل محل بعضها البعض في نفس الموقع داخل المركب. هذه الوحدات تشكل معاً "جدولاً" أو "فئة" افتراضية في ذهن المتكلم. على سبيل المثال، في جملة "الولدُ يقرأُ الكتابَ"، يمكننا استبدال كلمة "الولد" بكلمات أخرى مثل "الطالبُ"، "الرجلُ"، "أحمدُ". هذه الكلمات (الولد، الطالب، الرجل، أحمد) تشكل فيما بينها علاقة استبدالية، حيث إن اختيار إحداها يعني استبعاد الأخريات.(**Culler, 1976**)

وبالمثل، يمكن استبدال الفعل "يقرأ" بأفعال أخرى مثل "يكتبُ"، "يرسمُ"، "يأكلُ"، كما يمكن استبدال "الكتاب" بـ "القصةَ"، "الرسالةَ"، "الجريدةَ". هذه العلاقات هي التي تمنح المتكلم القدرة على الإبداع والتنويع، وهي التي تحدد قيمة كل عنصر من خلال تقابله مع العناصر الأخرى التي كان من الممكن أن تحل محله.

يمكن تشبيه هذين المحورين بالبناء المعماري: فالعلاقات التركيبية تشبه ترتيب الحجارة جنباً إلى جنب وفوق بعضها البعض لتشكيل جدار (علاقة خطية وحضورية). أما العلاقات الاستبدالية فتشبه اختيار نوع الحجر (جرانيت، رخام، حجر رملي) من بين عدة خيارات ممكنة لوضعه في مكان معين (علاقة اختيار واستبدال).

4- مدرسة براغ(The Prague School)

تأسست "حلقة براغ اللسانية (Prague Linguistic Circle) "في عام 1926، وتعتبر من أهم المدارس التي طورت وأغنت الفكر البنيوي السوسيري. ضمت الحلقة مجموعة من اللسانيين البارزين من التشيك وروسيا وغيرهم، مثل فيليم ماتيسيوس (Vilém Mathesius)، نيقولاي تروبتسكوي(Nikolai Trubetzkoy) ، ورومان ياكوبسون (Roman Jakobson).بينما ركز سوسير على البنية الساكنة والمجردة للغة(Langue) ، اهتم أعضاء مدرسة براغ بالجانب الوظيفي للغة، وسعوا إلى فهم كيف تخدم البنى اللغوية المختلفة أغراضاً تواصلية محددة. لذلك، يُطلق على منهجهم اسم "البنيوية الوظيفية " (Functional Structuralism).

كانت أبرز إسهاماتهم في مجال "علم الأصوات الوظيفي" أو "الفونولوجيا .(Phonology) " فقد فرقوا بشكل واضح بين "علم الأصوات العام (Phonetics) "الذي يدرس الخصائص الفيزيائية للأصوات اللغوية، و"الفونولوجيا" التي تدرس وظيفة الأصوات داخل النظام اللغوي. في هذا السياق، طور تروبتسكوي مفهوم "الفونيم (Phoneme) "بوصفه أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين المعاني (**الخولي، 2001**).

على سبيل المثال، في اللغة العربية، الصوتين /ب/ و /ت/ هما فونيمان مختلفان لأنهما يميزان بين كلمات مثل "تاب" و"باب". الفونيم ليس صوتاً في حد ذاته، بل هو حزمة من "السمات المميزة .(Distinctive Features) "فالفونيم /ب/ هو صوت شفوي، انفجاري، مجهور،

بينما الفونيم /ت/ هو صوت أسناني، انفجاري، مهموس. هذا التحليل بالسمات المميزة، الذي طوره ياكوبسون لاحقاً، سمح بوصف النظام الصوتي لأي لغة بشكل اقتصادي ودقيق، حيث يمكن وصف عدد كبير من الفونيمات باستخدام عدد محدود من السمات الثنائية (مثل مجهور/مهموس، أنفي/فموي).

لم يقتصر اهتمام مدرسة براغ على الأصوات، بل امتد ليشمل وظائف عناصر الجملة (مثل مفهوم "منظور الجملة الوظيفي") واللغة الشعرية. لقد رأوا أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير عن الفكر، بل هي أداة تواصلية متعددة الوظائف، وهو ما قاد ياكوبسون لاحقاً إلى تطوير نظريته الشاملة حول وظائف اللغة.(**Jakobson, 1960**)

1-4- إسهامات رومان ياكوبسون وتطور الفكر البنيوي

يُعد رومان ياكوبسون (1896-1982) أحد أكثر اللسانيين تأثيراً في القرن العشرين. بدأت مسيرته في روسيا ضمن حلقة موسكو اللسانية، ثم أصبح عضواً محورياً في حلقة براغ، وبعد هجرته إلى الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية، لعب دوراً كبيراً في نقل الأفكار البنيوية الأوروبية إلى الساحة الأمريكية والتأثير في مجالات متعددة تتجاوز اللسانيات، مثل الأنثروبولوجيا (بالتعاون مع كلود ليفي شتراوس) والنقد الأدبي.

طور ياكوبسون فكرة السمات المميزة في الفونولوجيا، مقترحاً أن جميع التقابلات الفونيمية في لغات العالم يمكن ردها إلى اثنتي عشرة سمة مميزة ثنائية (binary distinctive features). هذا المنهج لم يكن مجرد أداة وصفية، بل عكس رؤية بنيوية عميقة مفادها أن العقل البشري ينظم الواقع من خلال التقابلات الثنائية.

لكن الإسهام الأكثر شهرة لياكوبسون، والذي يمثل تتويجاً للبنيوية الوظيفية، هو نموذجه للتواصل اللغوي ووظائف اللغة. انطلق ياكوبسون من فكرة أن أي عملية تواصل لغوي تتضمن ستة عوامل أساسية لا غنى عنها. هذه العوامل هي التي تحدد، بحسب تركيز الرسالة على أي منها، الوظيفة المهيمنة للكلام. وقد عرض هذا النموذج في ورقته البحثية الشهيرة "اللسانيات والشعرية".(**Jakobson, 1960**) "

عوامل التواصل الستة عند ياكوبسون:

1. **المرسِل (Addresser):** الطرف الذي يصدر الرسالة.
2. **المرسَل إليه (Addressee):** الطرف الذي يستقبل الرسالة.
3. **السياق (Context):** الموضوع أو المرجع الذي تدور حوله الرسالة.
4. **الرسالة (Message):** شكل الرسالة نفسها، نصها وبنيتها.
5. **قناة الاتصال (Contact):** الوسيط المادي والنفسي الذي يربط بين المرسل والمرسل إليه (مثل الهواء، خط الهاتف، الانتباه المتبادل).
6. **السنن (Code):** النظام اللغوي المشترك (اللغة) الذي يسمح بتشفير الرسالة وفك تشفيرها.

انطلاقاً من هذه العوامل الستة، حدد ياكوبسون ست وظائف لغوية تقابلها، وهو ما سنفصله في القسم التالي. هذا النموذج يوضح كيف أن البنية اللغوية ليست غاية في ذاتها، بل هي أداة لتحقيق أغراض تواصلية متنوعة ومعقدة.(**Waugh, 1980**)

5- وظائف اللغة(Functions of Language)

بناءً على نموذج التواصل، يرى ياكوبسون أن كل عامل من العوامل الستة يرتبط بوظيفة لغوية محددة. على الرغم من أن أي رسالة قد تتضمن عدة وظائف في آن واحد، إلا أن هناك دائماً وظيفة واحدة تكون هي المهيمنة وتحدد الطبيعة العامة للرسالة. هذه الوظائف هي (**Jakobson, 1960**):

1. **الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية (Emotive/Expressive Function):** تتركز هذه الوظيفة حول **المرسِل**، وتهدف إلى التعبير المباشر عن موقفه أو مشاعره تجاه ما يتحدث عنه. تتجلى هذه الوظيفة في استخدام التعجبات (مثل "آه!"، "يا للروعة!")، ونبرة الصوت، والتعبيرات التي تكشف عن الحالة النفسية للمتكلم. مثال: "أنا سعيد جداً اليوم."!
2. **الوظيفة الإفهامية أو التوجيهية (Conative Function):** تتركز حول **المرسَل إليه**، وتهدف إلى التأثير فيه أو توجيه سلوكه. تتجلى بشكل واضح في صيغ الأمر والنداء. مثال: "أغلق الباب"، "انتبه من فضلك."!

3. **الوظيفة المرجعية (Referential Function):** تتركز حول **السياق** أو المرجع، وهي الوظيفة الأساسية في معظم الرسائل الإخبارية والعلمية. هدفها هو نقل معلومات موضوعية عن العالم الخارجي. مثال: "تبلغ درجة حرارة الماء 100 درجة مئوية عند الغليان."
4. **الوظيفة الشعرية (Poetic Function):** تتركز حول **الرسالة** ذاتها، أي على شكلها وبنيتها وجمالياتها. لا تقتصر هذه الوظيفة على الشعر، بل تظهر في الشعارات الإعلانية والأمثال الشعبية وكل أشكال التلاعب اللغوي. هدفها هو لفت الانتباه إلى الرسالة ككيان لغوي. تتجلى في استخدام الجناس، والسجع، والوزن، والاستعارة. يرى ياكوبسون أنها الوظيفة المهيمنة في الفن الأدبي .(**Waugh, 1980**) مثال: شعار I" like Ike"الذي استخدم في حملة أيزنهاور الانتخابية.
5. **الوظيفة الحفاظية أو الانتباهية (Phatic Function):** تتركز حول **قناة الاتصال**، وهدفها هو إنشاء الاتصال أو الحفاظ عليه أو قطعه. تتضمن عبارات مثل "ألو؟" في الهاتف، "هل تسمعني؟"، "صباح الخير"، أو حتى همهمات مثل "همم" لإظهار الاستماع.
6. **الوظيفة ما وراء اللغوية (Metalingual Function):** تتركز حول **السنن** (اللغة نفسها)، وتستخدم عندما يحتاج المتواصلون إلى التأكد من أنهم يستخدمون نفس الشفرة. هدفها هو الحديث عن اللغة باستخدام اللغة. مثال: "ماذا تقصد بكلمة 'بنيوية'؟"، "كلمة 'كتاب' اسم مذكر."

5-1- هيمنة الوظائف وتفاعلها

يؤكد ياكوبسون على أن هذه الوظائف نادراً ما تظهر منفصلة. في أي خطاب، تتواجد عدة وظائف معاً، لكن بنية الرسالة تتحدد بالوظيفة المهيمنة. على سبيل المثال، قد تحتوي قصيدة غنائية (الوظيفة الشعرية مهيمنة) على تعبيرات عن مشاعر الشاعر (وظيفة انفعالية) وقد تصف منظراً طبيعياً (وظيفة مرجعية). وبالمثل، قد يستخدم الإعلان (الوظيفة الإفهامية مهيمنة) لغة شعرية جذابة (وظيفة شعرية) للفت انتباه المستهلك.

إن تحليل هيمنة الوظائف وتفاعلها يفتح الباب أمام فهم أعمق لأنواع الخطاب المختلفة. فالخطاب العلمي تهيمن عليه الوظيفة المرجعية، والخطاب السياسي تهيمن عليه الوظيفة الإفهامية، والخطاب الأدبي تهيمن عليه الوظيفة الشعرية. لقد قدمت نظرية ياكوبسون إطاراً تحليلياً قوياً لا يزال يستخدم حتى اليوم في مجالات اللسانيات، والأسلوبية، والنقد الأدبي، وتحليل الخطاب.(**Jakobson, 1960**)

6- خلاصة

مثلت المدرسة البنيوية الأوروبية، انطلاقاً من أفكار سوسير الرائدة، ثورة حقيقية في دراسة اللغة. فقد حولت التركيز من التطور التاريخي للعناصر اللغوية إلى دراسة اللغة كنظام آني متكامل من العلاقات. لقد تعلمنا أن قيمة أي عنصر لغوي لا تكمن في ذاته، بل في شبكة الاختلافات والتقابلات التي تربطه ببقية عناصر النظام.

من خلال ثنائيات سوسير (اللغة/الكلام، آني/زماني، دال/مدلول) ومحوري العلاقات (التركيبي/الاستبدالي)، تم وضع الأسس لمنهج علمي صارم في تحليل اللغة. ثم جاءت مدرسة براغ، وعلى رأسها ياكوبسون، لتضيف بعداً وظيفياً لهذه البنيوية، حيث ربطت البنى اللغوية بالأغراض التواصلية التي تؤديها. إن نظرية وظائف اللغة لياكوبسون لا تزال حتى يومنا هذا أداة تحليلية لا غنى عنها لفهم كيف أن اللغة، في أبسط تجلياتها وأكثرها تعقيداً، هي نظام بنيوي ووظيفي في آن واحد. لقد مهدت البنيوية الطريق لظهور مدارس لسانية لاحقة، وتركت بصمة لا تُمحى على مجمل العلوم الإنسانية في القرن العشرين (**الخولي، 2001**).

7- أسئلة حول المحاضرة لمناقشتها مع الطلبة

1. اشرح بكلماتك الخاصة كيف أن قيمة الكلمة، وفقاً لسوسير، هي "سلبية وتفاضلية". قدم أمثلة من اللغة العربية لدعم شرحك.
2. اختر جملة بسيطة من حياتك اليومية (مثال: "أريد كوباً من القهوة"). حلل هذه الجملة من حيث العلاقات التركيبية بين كلماتها، ثم اقترح جداول استبدالية (علاقات استبدالية) لكل كلمة في الجملة.
3. ما هو الفرق الجوهري بين منهج سوسير في دراسة البنية ومنهج مدرسة براغ؟ كيف يمكن اعتبار منهج براغ "تطوراً" للفكر السوسيري وليس "نقضاً" له؟

4. حلل شعاراً إعلانياً تعرفه (مثلاً، من التلفزيون أو الإنترنت) باستخدام نموذج وظائف اللغة لياكوبسون. حدد الوظائف المختلفة الموجودة في الشعار، وركز على تحديد الوظيفة المهيمنة مع التعليل.
5. يقول ياكوبسون إن الوظيفة الشعرية تتركز على "الرسالة لذاتها". كيف يمكن لهذه الوظيفة أن تكون فعالة في التواصل اليومي العادي، وليس فقط في الشعر والأدب؟ قدم أمثلة.
6. ناقش مفهوم "اعتباطية العلامة اللغوية". هل هناك أي استثناءات لهذه القاعدة في اللغة؟ (فكر في الكلمات التي تحاكي الأصوات الطبيعية - المحاكاة الصوتية).
7. كيف يمكن تطبيق مفهوم "السمات المميزة" الثنائية الذي طوره ياكوبسون في الفونولوجيا على مجالات أخرى غير الأصوات، مثل تحليل المعنى (السمات الدلالية)؟

قائمة المراجع

- الخولي، محمد علي .(2001) *مدخل إلى علم اللغة* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- Culler, J. (1976). *Saussure*. Fontana.
- De Saussure, F. (1959). *Course in general linguistics* (W. Baskin, Trans.). Philosophical Library. (Original work published 1916).
- Jakobson, R. (1960). Linguistics and poetics. In T. A. Sebeok (Ed.), *Style in language* (pp. 350–377). MIT Press.
- Waugh, L. R. (1980). The poetic function and the nature of language. *Poetics Today, 2*(1a), 57–82. https://doi.org/10.2307/1772352

المحاضرة السادسة: البنيوية الأمريكية

تمهيد

تُعد المدرسة البنيوية الأمريكية تيارًا فكريًا ومنهجيًا مهيمنًا في علم اللغة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد بلغت ذروتها في الفترة الممتدة بين ثلاثينيات وخمسينيات القرن الماضي. نشأت هذه المدرسة في سياق علمي خاص، تمثل في الرغبة الملحة في دراسة لغات السكان الأصليين في أمريكا، وهي لغات غير مكتوبة وتختلف جذريًا في بنيتها عن اللغات الأوروبية المعروفة. هذا التحدي دفع اللغويين الأمريكيين الأوائل، مثل فرانز بواس وإدوارد سابير، إلى تطوير مناهج وصفية جديدة قادرة على التعامل مع هذه اللغات بموضوعية، بعيدًا عن قوالب النحو التقليدي الذي كان يركز على اللغات الهندية-الأوروبية.

قامت البنيوية الأمريكية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي شكلت قطيعة مع الدراسات اللغوية السابقة. كان أبرز هذه المبادئ هو التأكيد على الوصفية (Descriptivism)بدلًا من المعيارية(Prescriptivism) ، أي وصف اللغة كما هي مستخدمة بالفعل، لا كما يجب أن تكون. كما تبنت المنهج التجريبي الصارم(Empiricism) ، الذي يقتضي أن كل تحليل لغوي يجب أن يستند حصرًا إلى بيانات لغوية ملموسة وقابلة للملاحظة، وهي الكلام المنطوق. هذا التوجه أدى إلى رفض كل ما هو "ذهني" (Mentalistic)، أي كل ما يتعلق بالمعنى أو الحدس أو العمليات العقلية غير القابلة للملاحظة المباشرة، وهو ما شكل السمة الأبرز لهذه المدرسة، خاصة في مرحلتها المتأخرة مع ليونارد بلومفيلد.(Bloomfield, 1933)

تهدف هذه المحاضرة إلى استعراض الأسس الفكرية والمنهجية للبنيوية الأمريكية، مع التركيز على دور رائدها الأبرز ليونارد بلومفيلد. سنتناول بالتفصيل تأثير الفلسفة السلوكية على تحليله للغة، ثم ننتقل إلى شرح إجراءات الوصف الشكلي التي طورها البنيويون، مثل التحليل الفونيمي والمورفيمي وتحليل المكونات المباشرة. وأخيرًا، سنقوم بتقييم نقدي لهذه المدرسة، مبرزين حدودها التي مهدت الطريق لظهور الثورة التوليدية على يد نعوم تشومسكي في أواخر الخمسينيات.

ليونارد بلومفيلد

يُعتبر ليونارد بلومفيلد (1887-1949) الشخصية المحورية في تأسيس وتوطيد أركان المدرسة البنيوية الأمريكية. على الرغم من أن بواس وسابير قد مهدا الطريق قبله، إلا أن بلومفيلد هو الذي صاغ المبادئ المنهجية للمدرسة بشكل دقيق ومنظم، وجعل منها تيارًا مهيمنًا في اللسانيات الأمريكية لعقود. يُعد كتابه "اللغة(*Language*) "، الصادر عام 1933، بمثابة الإنجيل الذي اتبع تعاليمه جيل كامل من اللغويين، الذين عُرفوا بـ "ما بعد البلومفيلديين " (Post-Bloomfieldians)مثل تشارلز هوكيت وزيليج هاريس.

تكمن أهمية بلومفيلد في نقله لعلم اللغة من كونه مجالًا يعتمد على التأملات الفلسفية والحدس إلى علم تجريبي صارم. لقد أصر على أن علم اللغة، لكي يكون علمًا حقيقيًا، يجب أن يقتصر على دراسة الظواهر القابلة للملاحظة والقياس والتحقق. في نظره، الظاهرة اللغوية الوحيدة التي تستوفي هذا الشرط هي الكلام المنطوق .(Speech) أما المعنى والعمليات العقلية التي تقف وراء إنتاج الكلام وفهمه، فقد اعتبرها "ذهنية" وتقع خارج نطاق البحث اللغوي العلمي، لأنها غير قابلة للملاحظة المباشرة .(Bloomfield, 1933) هذا الموقف المناهض للذهنية (Anti-mentalism) هو السمة الفارقة لفكر بلومفيلد واللسانيات البنيوية الأمريكية بشكل عام.

لقد تأثر بلومفيلد بشدة بالتيارات الفلسفية والعلمية السائدة في عصره، وعلى رأسها الوضعية المنطقية (Logical Positivism) والمدرسة السلوكية (Behaviorism) في علم النفس. من الوضعية، استلهم فكرة ضرورة بناء العلم على أسس تجريبية متينة. ومن السلوكية، استعار نموذجًا لتفسير السلوك اللغوي دون الحاجة إلى افتراض وجود كيانات عقلية غامضة، وهو ما سنفصل فيه في القسم التالي.

السلوكية في تحليل اللغة

كان لتبني بلومفيلد للمدرسة السلوكية في علم النفس أثر حاسم في تشكيل منهجه اللغوي. السلوكية، كما طورها جون واطسون وب. ف. سكينر، ترى أن السلوك البشري (بما في ذلك اللغة) يمكن تفسيره بالكامل من خلال نموذج "المثير والاستجابة ,Stimulus-Response) "

(S-R، دون الحاجة إلى اللجوء إلى مفاهيم مثل العقل أو الوعي أو القصد. فالسلوك هو مجرد استجابات مكتسبة لمثيرات بيئية (السعيد، 2005).

طبق بلومفيلد هذا النموذج على اللغة من خلال مثاله الشهير عن "جاك وجيل". تخيل بلومفيلد الموقف التالي: جيل تشعر بالجوع) مثير غير لغوي، (Sفترى تفاحة على شجرة. هذه الرؤية تدفعها إلى إصدار استجابة لغوية(r) ، فتقول لجاك الذي يمر بجانبها: "أنا جائعة". كلام جيل هذا يمثل مثيرًا لغويًا (s) بالنسبة لجاك. يستجيب جاك لهذا المثير اللغوي باستجابة عملية (R)، فيتسلق الشجرة ويحضر التفاحة لجيل. يمكن تمثيل هذا الموقف بالصيغة التالية:

$$S \rightarrow r \ldots s \rightarrow R$$

وفقًا لبلومفيلد (1933)، فإن مهمة اللغوي تقتصر على دراسة الحدث الكلامي فقط، أي العلاقة بين (r) و .(s) أما المثير الأولي (S) والاستجابة النهائية(R) ، فهما يقعان خارج نطاق علم اللغة؛ فالأول من اختصاص علم وظائف الأعضاء أو علم النفس، والثاني يخص مختلف مجالات الحياة العملية. بهذا، تمكن بلومفيلد من إقصاء "المعنى" من دائرة التحليل اللغوي المباشر. فالمعنى، في هذا التصور، هو مجموع المثيرات التي تدفع المتكلم للكلام والاستجابات التي يثيرها كلامه لدى السامع، وهي أمور لا يمكن للغوي ملاحظتها أو دراستها بشكل علمي.

كان لهذا الموقف السلوكي نتائج منهجية بالغة الأهمية. فقد أصبح هدف التحليل اللغوي ليس فهم ما "تعنيه" الجمل، بل وصف "بنية" الجمل. أي وصف الأشكال اللغوية (الكلمات، المقاطع، الأصوات) وتوزيعها، أي المواقع التي يمكن أن تظهر فيها بالنسبة لبعضها البعض. هذا التركيز على التوزيع (Distribution) هو جوهر ما عُرف لاحقًا بـ "اللسانيات التوزيعية"، التي طورها تلامذة بلومفيلد، وعلى رأسهم زيليج هاريس.(Harris, 1951)

الوصف الشكلي للغة

انطلاقًا من مبادئ التجريبية والسلوكية، طور البنيويون الأمريكيون مجموعة من "إجراءات الكشف (Discovery Procedures) "الصارمة. كان الهدف من هذه الإجراءات هو تمكين اللغوي من الانتقال من البيانات الخام (الكلام المنطوق) إلى وصف منظم لبنية اللغة، وذلك بطريقة موضوعية وميكانيكية قدر الإمكان، وبأقل اعتماد ممكن على المعنى أو الحدس.

يتبع هذا الوصف مسارًا تصاعديًا(bottom-up) ، يبدأ من أصغر الوحدات (الأصوات) وينتهي بأكبرها (الجمل).

1- التحليل الفونيمي(Phonemic Analysis)

المستوى الأول من التحليل هو التمييز بين "الفون (Phone) "و"الفونيم " (Phoneme).الفون هو أي صوت لغوي يمكن نطقه وقياسه فيزيائيًا، وهو وحدة فيزيائية ملموسة. أما الفونيم، فهو وحدة صوتية مجردة ووظيفية، قادرة على التمييز بين المعاني في لغة معينة. على سبيل المثال، في اللغة الإنجليزية، الصوتين [p] في كلمة "pin" و [p^h] (المنفجر) في كلمة "spin" هما فونان مختلفان من الناحية الفيزيائية، لكنهما ينتميان إلى نفس الفونيم /p/ لأنهما لا يميزان بين كلمتين مختلفتين.

لتحديد قائمة الفونيمات في لغة ما، استخدم البنيويون أداتين رئيسيتين. الأداة الأولى هي "الأزواج الصغرى(Minimal Pairs) "، وهي عبارة عن زوج من الكلمات تختلفان في صوت واحد فقط وفي معنى مختلف، مثل (pin) و (bin) في الإنجليزية، مما يثبت أن /p/ و /b/ هما فونيمان مستقلان. الأداة الثانية هي "التوزيع التكاملي (Complementary Distribution)، ويعني أن صوتين لا يظهران أبدًا في نفس البيئة الصوتية، مما يشير إلى أنهما "ألوفونات (Allophones) "أو تنويعات لنفس الفونيم. على سبيل المثال، في الإنجليزية، يظهر الفون [p^h] المنفجر في بداية الكلمات، بينما يظهر الفون [p] غير المنفجر في مواضع أخرى. بما أنهما في توزيع تكاملي، فإنهما يعتبران تحقيقين مختلفين لنفس الفونيم /p/.لقد كان الهدف هو بناء قائمة فونيمات اللغة دون اللجوء الصريح للمعنى، على الرغم من أن استخدام الأزواج الصغرى يتضمن ضمنيًا الاعتماد على اختلاف المعنى، وهو ما شكل تناقضًا داخليًا في المنهج.(Hockett, 1948)

2- التحليل المورفيمي(Morphemic Analysis)

بعد تحديد الفونيمات، ينتقل التحليل إلى المستوى المورفولوجي (الصرفي). المورفيم هو أصغر وحدة لغوية تحمل معنى أو وظيفة نحوية. على سبيل المثال، كلمة "unfriendliness"يمكن تحليلها إلى أربعة مورفيمات) `{un-}` :بادئة للنفي(،) `{friend}`جذر(، `{-li}`(لاحقة لتكوين الصفة)، و) `{-ness}` لاحقة لتكوين الاسم.(

كانت مهمة اللغوي البنيوي هي تقطيع الكلمات إلى مورفيماتها المكونة لها. اعتمدت هذه العملية بشكل أساسي على مقارنة الأشكال اللغوية المختلفة وتحديد الأجزاء المتكررة. على سبيل المثال، بمقارنة كلمات مثل`untrue`, `unhappy`, `unkind` ، يمكن استخلاص المورفيم `{un-}` كعنصر متكرر يحمل معنى النفي. وكما في التحليل الفونيمي، ميز البنيويون بين "المورفيم (Morpheme) "كوحدة مجردة، و"المورف (Morph) "كتحقيق صوتي له، و"الألومورف (Allomorph) "كتنويعات مختلفة لنفس المورفيم. على سبيل المثال، مورفيم الجمع في الإنجليزية له عدة ألومورفات، مثل /s/ في`cats` ، و /z/ في `dogs`، و /ɪz/ في `horses`. يتم تحديد هذه الألومورفات بناءً على توزيعها الذي تحدده البيئة الصوتية.(Harris, 1951)

3- تحليل المكونات المباشرة(Immediate Constituent Analysis)

على مستوى النحو(Syntax) ، كانت الأداة الرئيسية للبنيويين هي "تحليل المكونات المباشرة .(IC Analysis) "هذا الإجراء يهدف إلى الكشف عن البنية الهرمية للجملة عن طريق تقطيعها بشكل متكرر إلى مكوناتها الأساسية المباشرة. تقوم الفكرة على أن الجملة ليست مجرد سلسلة خطية من الكلمات، بل هي بنية تتألف من مجموعات من الكلمات (مركبات) ترتبط ببعضها البعض.

لنأخذ الجملة الشهيرة ."The old man saw the young girl" التقسيم الأول يكون بين المكونين الرئيسيين للجملة: المركب الاسمي الفاعلي والمركب الفعلي.

[The old man] | [saw the young girl]

ثم يتم تحليل كل مكون مباشر بدوره. المركب الاسمي `[The old man]` يُقسم إلى `[The]`و `[old man]`. والمركب الفعلي `[saw the young girl]` يُقسم إلى `[saw]` و `[the young girl]`. تستمر هذه العملية حتى نصل إلى المكونات النهائية، وهي الكلمات المفردة. كان هذا التحليل يمثل طريقة شكلية بحتة لوصف بنية الجملة دون الرجوع إلى العلاقات المنطقية أو الدلالية التقليدية (مثل فاعل، مفعول به)، بل بالاعتماد على "فئات الاستبدال(substitution classes) "، أي مجموعة الكلمات أو المركبات التي يمكن أن تحل محل بعضها البعض في نفس الموقع التركيبي.

حدود البنيوية الأمريكية

على الرغم من الإسهامات الكبيرة التي قدمتها البنيوية الأمريكية في تطوير علم اللغة، إلا أن مبادئها الصارمة وإجراءاتها المنهجية كشفت عن عدد من القيود والعيوب الجوهرية. هذه القيود هي التي أدت في النهاية إلى تراجع هيمنتها وظهور ما يُعرف بـ "الثورة التوليدية" بقيادة نعوم تشومسكي في أواخر الخمسينيات.

1- مشكلة المعنى

كانت النقطة الأكثر إثارة للجدل في المنهج البنيوي هي محاولته إقصاء المعنى من التحليل اللغوي. ففي حين أعلن بلومفيلد وتلامذته أن المعنى لا يمكن دراسته علميًا، إلا أنهم كانوا يعتمدون عليه بشكل ضمني في ممارساتهم التحليلية. على سبيل المثال، لا يمكن تحديد الفونيمات باستخدام "الأزواج الصغرى" إلا إذا عرف اللغوي أن الكلمتين) مثل `pin` و `bin`) لهما معنيان مختلفان. وبالمثل، لا يمكن تحديد المورفيمات دون افتراض أن لها معنى ثابتًا أو وظيفة ثابتة. هذا التناقض بين النظرية والتطبيق جعل الموقف المناهض للذهنية يبدو غير واقعي وغير قابل للاستمرار. ففي النهاية، اللغة أداة للتواصل ونقل المعاني، وأي نظرية تتجاهل هذه الوظيفة الأساسية ستكون بالضرورة نظرية ناقصة (الجابري، 2010).

2- قصور تحليل المكونات المباشرة

أظهر تحليل المكونات المباشرة (IC Analysis) قصورًا واضحًا في التعامل مع بعض الظواهر اللغوية الهامة. من أبرز هذه المشاكل:

أ. اللبس التركيبي (Structural Ambiguity): يعجز تحليل المكونات المباشرة عن تفسير الجمل التي لها أكثر من معنى بسبب بنيتها. على سبيل المثال، جملة مثل "American history teacher"يمكن أن تعني "مدرس تاريخ أمريكي الجنسية" أو "مدرس للتاريخ الأمريكي". تحليل المكونات المباشرة ينتج بنية واحدة فقط لهذه العبارة، ولا يستطيع أن يمثل المعنيين المختلفين بشكل منهجي.

ب. العلاقات بين الجمل :يفشل هذا التحليل في الربط بين الجمل التي تبدو مختلفة سطحيًا ولكنها مرتبطة دلاليًا بشكل وثيق، مثل الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية للمجهول "The boy hit the ball")و ."The ball was hit by the boy" ففي تحليل المكونات

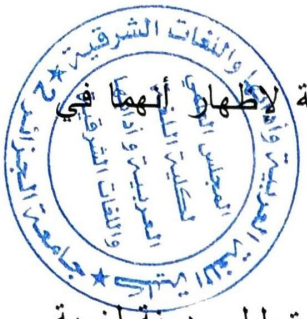

المباشرة، لكل من هاتين الجملتين بنية مختلفة تمامًا، ولا توجد طريقة لإظهار أنهما في جوهرهما تعبران عن نفس الحدث.

3- محدودية الاعتماد على مدونة لغوية(Corpus)

كان المنهج البنيوي يهدف إلى وصف بنية لغة معينة بناءً على تحليل مدونة لغوية محدودة، أي مجموعة من الجمل التي تم جمعها وتسجيلها من متحدثين أصليين. هذا يعني أن القواعد التي يتم استخلاصها هي قواعد تصف هذه المدونة فقط، ولا تصف اللغة ككل. لقد أغفل البنيويون السمة الأساسية للغة، وهي "الإبداعية (Creativity) "أو "الإنتاجية " (Productivity)، أي قدرة المتكلم الأصلي على إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل الجديدة التي لم يسمعها أو يقلها من قبل. إن أي قواعد تقتصر على وصف مجموعة محدودة من الجمل المسجلة ستكون عاجزة عن تفسير هذه القدرة الإبداعية (الجابري، 2010).

4- وهم "إجراءات الكشف"

كان البنيويون يعتقدون أنه من الممكن تطوير مجموعة من الإجراءات الميكانيكية التي إذا طُبقت على البيانات اللغوية الخام، فإنها ستؤدي حتمًا إلى "اكتشاف" القواعد الصحيحة للغة. لكن تشومسكي أوضح لاحقًا أن هذا الهدف مبالغ فيه وغير واقعي. فلا توجد خوارزمية بسيطة يمكنها استنتاج بنية لغة معقدة من مجرد بيانات كلامية. بدلًا من ذلك، اقترح تشومسكي أن هدف اللسانيات يجب أن يكون تطوير "إجراءات تقييم(Evaluation Procedures) "، أي معايير تسمح لنا بالمفاضلة بين عدة قواعد نحوية محتملة واختيار أفضلها وأبسطها وأكثرها قدرة على التفسير. هذا التحول من "الاكتشاف" إلى "التقييم" كان أحد التحولات الجوهرية في الثورة التوليدية.

5- المنهج التصنيفي

أخيرًا، وُجه النقد إلى البنيوية الأمريكية بأنها كانت في جوهرها مجرد منهج "تصنيفي " .(Taxonomic)أي أن جل اهتمامها كان منصبًا على جمع البيانات، وتقطيعها إلى وحدات (فونيمات، مورفيمات)، ثم تصنيف هذه الوحدات في جداول وقوائم. لقد نجحت في الإجابة على سؤال "ماذا؟" (ما هي بنية الجملة؟)، لكنها أهملت الإجابة على سؤال "الماذا؟" (لماذا تكون بنية اللغة على هذا النحو وليس على نحو آخر؟). لقد افتقرت إلى العمق التفسيري،

واكتفت بالوصف السطحي، وهو ما جعلها تبدو كعلم يجمع الفراشات ويدبسها في صناديق دون أن يسأل عن طبيعة الطيران أو قوانينه.(Hockett, 1948)

6- خلاصة

مثلت البنيوية الأمريكية، بقيادة رائدها ليونارد بلومفيلد، مرحلة حاسمة في تاريخ علم اللغة الحديث. لقد نجحت في تحويل اللسانيات إلى تخصص علمي مستقل، قائم على الملاحظة التجريبية والمنهجية الصارمة. من خلال تركيزها على وصف اللغات غير المكتوبة بموضوعية، وتطويرها لإجراءات تحليلية دقيقة مثل التحليل الفونيمي والمورفيمي وتحليل المكونات المباشرة، قدمت البنيوية أدوات لا تزال ذات قيمة حتى اليوم في العمل اللغوي الميداني وفي بعض فروع اللسانيات التطبيقية. إن إصرارها على أن اللغة نظام بنيوي يمكن وصفه بشكل شكلي ومستقل عن العوامل الخارجية كان إسهامًا ثوريًا في وقته (Bloomfield, 1933).

ومع ذلك، فإن نقاط القوة التي ميزت البنيوية كانت هي نفسها مصدر ضعفها. فالتزامها الصارم بالسلوكية ومناهضة الذهنية، ومحاولتها إقصاء المعنى، واعتمادها على مدونات لغوية محدودة، وقصور أدواتها التحليلية عن تفسير ظواهر مثل الإبداعية واللبس التركيبي، كل ذلك جعلها عرضة لنقد شديد. لقد مهدت هذه الحدود الطريق لظهور نحو تشومسكي التوليدي، الذي نقل بؤرة الاهتمام من وصف السلوك اللغوي الظاهري إلى تفسير "الكفاءة" اللغوية الداخلية لدى المتكلم. على الرغم من أن اللسانيات التوليدية قد حلت محل البنيوية كنموذج مهيمن، إلا أن إرث البنيوية الأمريكية المتمثل في الدقة المنهجية والتحليل القائم على البيانات لا يزال جزءًا لا يتجزأ من هوية علم اللغة المعاصر.

7- أسئلة حول المحاضرة لمناقشتها مع الطلبة

1. إلى أي مدى يمكن اعتبار محاولة بلومفيلد لتحويل اللسانيات إلى علم تجريبي صارم خطوة ناجحة؟ وما هي التنازلات التي اضطر لتقديمها في سبيل تحقيق هذا الهدف؟
2. ناقش مثال "جاك وجيل". كيف يعكس هذا المثال المبادئ الأساسية للسلوكية، وكيف استخدمه بلومفيلد لتحديد نطاق البحث اللغوي؟

3. هل من الممكن حقًا تحليل لغة ما دون الاعتماد على المعنى؟ قدم أمثلة من إجراءات التحليل البنيوي (الفونيمي، المورفيمي) تدعم أو تدحض هذا الادعاء.
4. قارن بين أهداف "إجراءات الكشف" في اللسانيات البنيوية وأهداف "إجراءات التقييم" في اللسانيات التوليدية. ماذا يخبرنا هذا التحول عن تطور الفكر اللغوي؟
5. ما هو الإرث الأهم للبنيوية الأمريكية في علم اللغة اليوم؟ هل لا تزال مبادئها أو أدواتها مستخدمة في أي من فروع اللسانيات الحديثة؟

8- قائمة المراجع

- الجابري، علي. (2010). مراجعة نقدية للبنيوية الأمريكية: من الوصفية إلى التوليدية. *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية*، *5*(1)، 110-135.
- السعيد، محمد. (2005). الأثر السلوكي في اللسانيات التوزيعية: دراسة في فكر بلومفيلد. *مجلة اللسانيات العربية*، *12*(2)، 45-68.
- Bloomfield, L. (1933). *Language*. Henry Holt and Company.
- Harris, Z. S. (1951). *Methods in structural linguistics*. University of Chicago Press.
- Hockett, C. F. (1948). A note on structure. *International Journal of American Linguistics*, *14*(4), 269-271.

المحاضرة السابعة: النحو التوليدي التحويلي (نعوم تشومسكي – المرحلة الأولى)

1- تمهيد

شكل ظهور نظرية النحو التوليدي التحويلي في منتصف القرن العشرين منعطفًا حاسمًا في تاريخ الفكر اللساني الحديث، بل وفي تاريخ العلوم المعرفية برمتها. فبعد عقود من هيمنة المدرسة البنيوية، التي ركزت على وصف اللغات وتصنيف وحداتها الصوتية والصرفية والتركيبية بشكل خارجي ومادي، جاء نعوم تشومسكي ليقترح نموذجًا جديدًا جذريًا يهدف إلى "تفسير" قدرة الإنسان على إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل لم يسمعها من قبل. لقد كانت هذه الثورة، التي أطلق شرارتها كتاب تشومسكي التأسيسي "البنى التركيبية Syntactic) " (Structuresعام 1957، بمثابة نقلة نوعية من دراسة "اللغة" كمنتج خارجي إلى دراسة "القدرة اللغوية" كملكة فطرية في العقل البشري.(Chomsky, 1957)

لم تكن نظرية تشومسكي مجرد تطوير للمناهج السابقة، بل كانت قطيعة معرفية معها. ففي حين انشغل البنيويون، وخاصة في نسختهم الأمريكية التوزيعية، بجمع المدونات اللغوية وتحليلها وفق إجراءات اكتشاف (Discovery Procedures) صارمة، رأى تشومسكي أن هذا المنهج قاصر عن الإجابة على السؤال الجوهري: كيف تعمل اللغة؟ وكيف يكتسب الطفل لغته الأم بهذه السرعة والكفاءة رغم محدودية البيانات التي يتعرض لها؟ للإجابة على هذه الأسئلة، اقترح تشومسكي أن الهدف من النظرية اللسانية يجب أن يكون بناء "قواعد " (Grammar)قادرة على توليد جميع الجمل النحوية في لغة ما، واستبعاد جميع الجمل غير النحوية. هذه القواعد، في نظره، ليست مجرد أداة وصفية، بل هي تمثيل افتراضي للمعرفة اللغوية الضمنية الموجودة في عقل المتكلم الأصلي.(Lyons, 1970)

انطلقت هذه الثورة من خلال نقد لاذع للمدرستين المهيمنتين آنذاك: البنيوية في اللسانيات، والسلوكية في علم النفس. فمن خلال تفكيك أسس هاتين المدرستين، مهد تشومسكي الطريق لنموذج جديد يضع العقل وقدراته الفطرية في مركز الاهتمام، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في الأقسام التالية من هذه المحاضرة.

2- نقد السلوكية

كان أحد أهم الأعمدة التي قامت عليها ثورة تشومسكي هو هجومه المنهجي على المدرسة السلوكية في علم النفس، والتي كانت ترى أن السلوك البشري، بما في ذلك اللغة، يمكن تفسيره بالكامل من خلال ثنائية "المثير والاستجابة (Stimulus-Response) "والتعزيز. وقد تجلى هذا النقد بأوضح صوره في مراجعته النقدية الشهيرة لكتاب "السلوك اللفظي (Verbal Behavior)" لعالم النفس السلوكي ب. ف. سكينر (Skinner, 1957). في هذه المراجعة، التي نُشرت عام 1959، لم يكتفِ تشومسكي بتفنيد حجج سكينر فحسب، بل قدم رؤية بديلة للسلوك اللغوي تضعه ضمن إطار بيولوجي-عقلي فطري.

ركز نقد تشومسكي على عدة نقاط جوهرية. أولاً، "إبداعية اللغة (Creativity of Language)" ، حيث أشار إلى أن المتكلمين قادرون باستمرار على إنتاج وفهم جمل جديدة تمامًا لم يصادفوها من قبل. هذه القدرة الإبداعية لا يمكن تفسيرها بنموذج يعتمد على التقليد والتعزيز، لأن معظم ما نقوله ونسمعه هو جديد وفريد. يرى تشومسكي أن السلوك اللغوي ليس مجرد مجموعة من الاستجابات المكتسبة، بل هو سلوك محكوم بقواعد داخلية تسمح بتوليد لا نهائي (الخولي، 2001، ص. 78).

ثانيًا، قدم تشومسكي حجة "فقر المثير .(Poverty of the Stimulus) "ومفاد هذه الحجة أن المعطيات اللغوية التي يتعرض لها الطفل (المثير) هي معطيات محدودة، مجزأة، وغالبًا ما تحتوي على أخطاء وزلات لسان وجمل غير مكتملة. ورغم "فقر" هذه المدخلات، يتمكن الطفل في فترة زمنية قصيرة من اكتساب نظام لغوي معقد وغني (القواعد النحوية) يسمح له بإنتاج جمل صحيحة نحويًا. يستنتج تشومسكي أن هذه الفجوة بين المدخلات الفقيرة والمخرجات الغنية لا يمكن سدها إلا بافتراض وجود بنى لغوية فطرية مبرمجة في العقل البشري، أطلق عليها لاحقًا اسم "القواعد الكلية.(Universal Grammar) "

"إن فكرة أن اللغة مجرد عادة مكتسبة، وأنها تخضع لنفس قوانين التعلم التي تخضع لها سلوكيات أخرى مثل ضغط الفئران على رافعة للحصول على الطعام، هي فكرة تبسيطية بشكل صارخ وتتجاهل تعقيد وطبيعة النظام اللغوي البشري" (مقتبس بتصرف من أفكار تشومسكي في نقده لسكينر).

3- الكفاية والأداء(Competence and Performance)

في سعيه لوضع اللسانيات على أسس علمية أكثر صرامة، استعار تشومسكي تمييزًا مشابهًا لما طرحه دي سوسير بين "اللغة (Langue) "و"الكلام(Parole) "، لكنه أعاد صياغته في إطار عقلي-نفسي. هذا التمييز هو بين "الكفاية اللغوية (Linguistic Competence)" و"الأداء اللغوي.(Linguistic Performance) "

"الكفاية اللغوية" هي المعرفة الضمنية وغير الواعية التي يمتلكها المتكلم-السامع المثالي بلغته. إنها نظام القواعد والمبادئ التي تجعل من الممكن إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل. هذه الكفاية هي نظام مثالي، متجانس، ومجرد من العوامل الخارجية. إنها، بعبارة أخرى، القدرة العقلية الكامنة التي تمثل موضوع الدراسة الحقيقي لعلم اللسانيات، حسب تشومسكي (Chomsky, 1965, *Aspects of the Theory of Syntax*).هدف اللساني هو بناء نموذج صوري (قواعد) لهذه الكفاية.

أما "الأداء اللغوي"، فهو الاستخدام الفعلي للغة في مواقف حقيقية وملموسة. الأداء هو ما نقوله ونسمعه بالفعل، وهو يخضع لمجموعة واسعة من العوامل غير اللغوية مثل قيود الذاكرة، والتعب، ودرجة الانتباه، وزلات اللسان، والتأتأة، والسياق الاجتماعي. لذلك، فإن الأداء لا يعكس الكفاية اللغوية بشكل مباشر أو كامل. على سبيل المثال، قد يعرف متكلم ما قواعد بناء جملة معقدة جدًا (كفايته تسمح بذلك)، لكنه قد يفشل في إنتاجها بشكل صحيح في محادثة فعلية بسبب طولها وصعوبة تذكر أجزائها (قصور في الأداء).

يرى تشومسكي أن الخلط بين الكفاية والأداء كان من الأخطاء الرئيسية للمدارس اللسانية السابقة، التي بنت تحليلاتها على بيانات الأداء الفعلية (المدونات) بكل ما تحمله من "ضجيج" وعوامل مشتتة. من خلال هذا التمييز، تمكن تشومسكي من تبرير دراسة اللغة كنظام عقلي مجرد، معتبراً أن بيانات الأداء يمكن استخدامها كدليل للوصول إلى الكفاية الكامنة، ولكنها ليست موضوع الدراسة في حد ذاتها .(Lyons, 1970, p. 45) هذا التركيز على الكفاية هو ما جعل اللسانيات التوليدية علمًا نظريًا وتفسيريًا، وليس مجرد علم وصفي تجميعي.

4- البنية العميقة والبنية السطحية(Deep and Surface Structure)

لعل أبرز المفاهيم التي قدمتها النظرية التوليدية في مرحلتها الأولى (المعروفة بالنظرية المعيارية) هو التمييز بين مستويين من التمثيل النحوي: "البنية العميقة" و"البنية السطحية". هذا التمييز كان ضروريًا لتفسير مجموعة من الظواهر اللغوية المحيرة التي لم تستطع النماذج البنيوية التعامل معها بفعالية.

"البنية السطحية (Surface Structure) "هي البنية الظاهرة للجملة، أي الشكل الذي تُنطق به أو تُكتب. إنها قريبة من التنظيم النحوي التقليدي للجملة (فعل، فاعل، مفعول به)، وتحدد كيفية نطق الجملة من خلال المكون الصوتي. على سبيل المثال، جملة "الولدُ أكل التفاحةَ" لها بنية سطحية واضحة ومباشرة.

أما "البنية العميقة(Deep Structure) "، فهي تمثيل نحوي أكثر تجريدًا، وهي المستوى الذي يتم فيه تحديد المعنى الأساسي للجملة والعلاقات الدلالية بين مكوناتها (من قام بالفعل، على من وقع الفعل، إلخ). يتم توليد البنية العميقة بواسطة "قواعد المكون الأساسي (Base Component)"، والتي تتكون من قواعد إعادة الكتابة (Phrase Structure Rules) ومعجم .(Lexicon) هذه البنية العميقة هي المدخل للمكون الدلالي الذي يفسر معنى الجملة (الخولي، 2001، ص. 88).

العلاقة بين البنيتين ليست دائمًا علاقة تطابق. وهنا تكمن أهمية هذا التمييز. فهو يسمح بتفسير ظواهر مثل:

1. **اللبس التركيبي :(Structural Ambiguity)** جملة واحدة لها بنية سطحية واحدة ولكنها تحتمل معنيين مختلفين، لأنها يمكن أن تُشتق من بنيتين عميقتين مختلفتين. المثال الكلاسيكي هو "رأيت الرجل بالمنظار". هذه الجملة يمكن أن تعني "استخدمت المنظار لرؤية الرجل" أو "رأيت الرجل الذي يحمل منظارًا". كل معنى من هذين المعنيين يقابله بنية عميقة مختلفة.
2. **الترادف التركيبي :(Structural Synonymy)** جملتان أو أكثر لهما بنيتان سطحيتان مختلفتان ولكنهما تشتركان في نفس المعنى الأساسي، لأنهما تُشتقان من بنية عميقة واحدة. المثال الأوضح هو العلاقة بين الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية

للمجهول: "أكل الولدُ التفاحةَ" و "أُكِلَت التفاحةُ (من قبل الولد)". كلتا الجملتين تعبران عن نفس الحدث وتشتركان في نفس البنية العميقة، لكنهما تختلفان في بنيتهما السطحية (Chomsky, 1957).

مكونات النموذج النحوي في النظرية المعيارية

لتوضيح العلاقة بين البنيتين، يمكن تصور النموذج النحوي الذي اقترحه تشومسكي في كتاب "جوانب من نظرية النحو (Aspects of the Theory of Syntax, 1965) "على النحو التالي:

1. **المكون الأساسي (Base Component):** وظيفته توليد البنى العميقة. ويتألف من:
   - **قواعد البنية التركيبية (Phrase Structure Rules):** مثل: (ج ← م ف + م ز)، (م ف ← اسم)، (م ز ← فعل + م ف). هذه القواعد تولد الهيكل الشجري الأساسي للجملة.
   - **المعجم (Lexicon):** يحتوي على الكلمات مع معلوماتها الصوتية والدلالية والتركيبية. يتم إدراج الكلمات من المعجم في المواقع النهائية للهيكل الشجري الذي تولده قواعد البنية التركيبية.
2. **البنية العميقة (Deep Structure):** هي ناتج المكون الأساسي. وهي مدخل لكل من المكون الدلالي والمكون التحويلي.
3. **المكون الدلالي (Semantic Component):** يأخذ البنية العميقة كمدخل ويقوم بتأويلها دلاليًا لتحديد معنى الجملة.
4. **المكون التحويلي (Transformational Component):** يأخذ البنية العميقة كمدخل ويطبق عليها سلسلة من "قواعد التحويل" لتحويلها إلى بنية سطحية.
5. **البنية السطحية (Surface Structure):** هي ناتج المكون التحويلي. وهي مدخل للمكون الصوتي.
6. **المكون الصوتي (Phonological Component):** يأخذ البنية السطحية كمدخل ويطبق عليها القواعد الصوتية لتحويلها إلى تمثيل صوتي (الشكل المنطوق للجملة).

هذا النموذج المتكامل يوضح كيف أن القواعد النحوية ليست مجرد وصف سطحي، بل هي نظام معقد من المستويات والقواعد التي تربط المعنى بالصوت بطريقة منهجية وإبداعية.

5- قواعد التحويل(Transformational Rules)

تشكل "قواعد التحويل" الجسر الذي يربط بين البنية العميقة المجردة والبنية السطحية الملموسة. إذا كانت قواعد المكون الأساسي مسؤولة عن توليد الهيكل الدلالي الأولي للجملة، فإن قواعد التحويل مسؤولة عن إعادة ترتيب هذا الهيكل، أو حذفه، أو إضافة عناصر إليه، لإنتاج التنوع الهائل من الأشكال الجملية التي نجدها في اللغة الفعلية. لقد استلهم تشومسكي فكرة التحويلات من أستاذه زليج هاريس(Harris, 1951) ، لكنه طورها بشكل جذري لتخدم أهدافًا تفسيرية داخل نموذج عقلي، بدلاً من كونها مجرد أداة وصفية لتصنيف الجمل كما كانت عند هاريس.

تعمل قواعد التحويل على بنية شجرية كاملة (ناتج قواعد البنية التركيبية) وليس على سلسلة من الكلمات. وهي عمليات صورية دقيقة يمكن أن تقوم بوظائف مختلفة، منها:

- **النقل (Movement):** نقل مكون من مكانه الأصلي في البنية العميقة إلى مكان آخر في البنية السطحية. مثال على ذلك تحويل الاستفهام، حيث يتم نقل أداة الاستفهام (مثل "ماذا") من موقعها الأصلي كمفعول به إلى بداية الجملة.
  البنية العميقة :[الولد أكل **ماذا**] ← *البنية السطحية* :[**ماذا** أكل الولد؟]
- **الحذف (Deletion):** حذف مكون من البنية. مثال ذلك في جمل الأمر، حيث يتم حذف الفاعل "أنت" الذي يكون موجودًا في البنية العميقة.
  البنية العميقة :[**أنت** تفتح الباب] ← *البنية السطحية* :[افتح الباب].
- **الإضافة (Addition):** إضافة عناصر (غالبًا عناصر وظيفية مثل الأفعال المساعدة أو حروف الجر) لم تكن موجودة في البنية العميقة.

من أشهر الأمثلة على عمل قواعد التحويل هو "تحويل المبني للمجهول (Passive Transformation)" لنأخذ الجملة "قرأ الطالبُ الكتابَ."

1. **البنية العميقة (تقريبية) :**[فاعل: الطالب] [فعل: قرأ] [مفعول به: الكتاب].
2. **تطبيق تحويل المبني للمجهول:**
   - ينتقل المفعول به "الكتاب" إلى موقع الفاعل.
   - ينتقل الفاعل الأصلي "الطالب" إلى جملة جر اختيارية (بواسطة الطالب).
   - يتغير شكل الفعل ويُضاف فعل مساعد إذا لزم الأمر (قُرِئَ).
3. **البنية السطحية" :**قُرِئَ الكتابُ (بواسطة الطالب)."

بهذه الطريقة، تمكنت قواعد التحويل من الربط بين جمل مختلفة سطحيًا ولكنها متحدة دلاليًا، مما قدم قوة تفسيرية هائلة للنظرية .(Lyons, 1970) لقد أظهرت أن تعقيد السطح اللغوي يمكن اختزاله إلى مجموعة محدودة من القواعد الأساسية ومجموعة من قواعد التحويل التي تعمل عليها.

6- خلاصة

مثلت المرحلة الأولى من النحو التوليدي التحويلي، التي تبلورت في أعمال تشومسكي بين عامي 1957 و1965، ثورة حقيقية في دراسة اللغة. يمكن تلخيص إسهاماتها الجوهرية في عدة نقاط محورية. أولاً، لقد أعادت توجيه هدف البحث اللساني من مجرد "الوصف" الخارجي للغة كمنتج، إلى "تفسير" القدرة اللغوية كملكة عقلية فطرية. هذا التحول من المنهج التجريبي السلوكي إلى المنهج العقلي-الافتراضي فتح الباب أمام تأسيس العلوم المعرفية الحديثة.

ثانيًا، من خلال نقده الحاسم للسلوكية، أثبت تشومسكي أن النماذج القائمة على المثير والاستجابة والتعزيز عاجزة تمامًا عن تفسير السمات الأساسية للغة البشرية، وعلى رأسها الإبداعية وحقيقة اكتساب اللغة رغم فقر المثير. وقد أدى ذلك إلى إحياء فكرة "الفطرية " (Nativism)، أي أن الإنسان يولد وهو مزود بجهاز لغوي متخصص (LAD) أو قواعد كلية (UG) توجه عملية اكتساب اللغة.

ثالثًا، قدمت النظرية أدوات تحليلية صورية ومفاهيمية بالغة القوة، مثل التمييز بين الكفاية والأداء، الذي سمح بتجريد موضوع الدراسة من العوامل الخارجية المشوشة. والأهم من ذلك، التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية، الذي قدم تفسيرًا أنيقًا لظواهر اللبس والترادف

التركيبي. وقد تم الربط بين هذين المستويين عبر قواعد التحويل، التي أظهرت كيف يمكن لمجموعة محدودة من القواعد أن تولد التنوع اللامتناهي للبنى السطحية.

على الرغم من أن هذه النظرية (المعروفة بالنظرية المعيارية) خضعت لتعديلات جذرية في المراحل اللاحقة من فكر تشومسكي (مثل النظرية المعيارية الموسعة، ونظرية الحكومة والربط، وبرنامج الحد الأدنى)، إلا أن المفاهيم الأساسية التي طرحتها في هذه المرحلة الأولى ظلت حجر الزاوية في الفكر اللساني المعاصر. لقد غيرت الأسئلة التي يطرحها اللسانيون، والأدوات التي يستخدمونها للإجابة عليها، ووضعت دراسة اللغة في قلب دراسة العقل البشري.

7- أسئلة حول المحاضرة للمناقشة

- ما الفرق الجوهري بين هدف اللسانيات البنيوية (كما وصفها هاريس) وهدف اللسانيات التوليدية (كما طرحها تشومسكي)؟ وكيف أثر هذا الاختلاف في المنهج المتبع في كل منهما؟
- اشرح حجة "فقر المثير" بكلماتك الخاصة. لماذا تعتبر هذه الحجة أساسية في دعم فكرة فطرية اللغة؟ وهل ترى أي نقاط ضعف في هذه الحجة؟
- "الأداء اللغوي هو مجرد انعكاس مشوه للكفاية اللغوية". ناقش هذه العبارة، موضحًا كيف يبرر هذا التمييز منهج تشومسكي في التركيز على "المتكلم-السامع المثالي" وتجاهل بيانات الكلام الفعلية المليئة بالأخطاء.
- اختر جملة عربية تحتمل لبسًا تركيبيًا (أكثر من معنى نحوي)، وحاول أن توضح كيف يمكن للتمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية أن يفسر هذا اللبس.
- ما الدور الذي تلعبه قواعد التحويل في النموذج التوليدي؟ هل هي مجرد أداة لإعادة الترتيب، أم أن لها وظيفة أعمق؟ وكيف تطورت فكرة التحويلات من هاريس إلى تشومسكي؟
- يرى البعض أن تركيز تشومسكي على التركيب (النحو) وإهماله النسبي للمعنى والسياق في المرحلة الأولى كان نقطة ضعف في نظريته. إلى أي مدى تتفق مع هذا الرأي؟ وكيف حاول النموذج المعياري دمج المعنى من خلال "المكون الدلالي"؟

8- قائمة المراجع

- الخولي، محمد علي. (2001). *مدارس اللسانيات الحديثة*. دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- Chomsky, N. (1957). *Syntactic structures*. Mouton de Gruyter.
- Harris, Z. S. (1951). *Methods in structural linguistics*. University of Chicago Press.
- Lyons, J. (1970). *Noam Chomsky*. Fontana/Collins.
- Skinner, B. F. (1957). *Verbal behavior*. Copley Publishing Group.

المحاضرة الثامنة: تطور النحو التوليدي (البرنامج الأدنى)

1- تمهيد

يمثل النحو التوليدي، الذي أسس له نعوم تشومسكي في منتصف القرن العشرين، ثورة حقيقية في دراسة اللغة البشرية. لم يعد يُنظر إلى اللغة على أنها مجرد مجموعة من السلوكيات المكتسبة، بل كقدرة فطرية متجذرة في العقل البشري. على مدار العقود، تطورت هذه النظرية عبر مراحل متعددة، بدءًا من "النظرية المعيارية(Standard Theory) "، مرورًا بـ "النظرية المعيارية الموسعة(Extended Standard Theory) "، وصولًا إلى نظرية "التحكم والربط (Government and Binding Theory - GB) "في الثمانينيات. كل مرحلة كانت تسعى لتقديم تفسير أدق وأشمل للقدرة اللغوية الإنسانية.

في أوائل التسعينيات، بدأ تشومسكي مرحلة جديدة من البحث تمثل تحولًا جذريًا في الأسئلة والأهداف، وهي ما يُعرف بـ "البرنامج الأدنى .(The Minimalist Program) "لا يُعتبر البرنامج الأدنى نظرية مكتملة بقدر ما هو برنامج بحثي يهدف إلى تبسيط الجهاز النظري للنحو التوليدي إلى أقصى حد ممكن. ينطلق هذا البرنامج من سؤال جوهري: إلى أي مدى يمكن اعتبار اللغة نظامًا "مثاليًا" أو "متقن التصميم"؟ .(**Chomsky, 1995**) يفترض البرنامج الأدنى أن ملكة اللغة البشرية هي حل أمثل (optimal solution) للمتطلبات التي تفرضها الأنظمة الأخرى للعقل/الدماغ التي تتفاعل معها. تسعى هذه المحاضرة إلى استكشاف الأسس الفكرية لهذا التحول، بدءًا من المرحلة التي سبقته مباشرة، وهي نظرية المبادئ والمعلمات، وصولًا إلى المفاهيم الأساسية للبرنامج الأدنى مثل الاقتصاد في اللغة والكليات اللغوية في إطارها الجديد.

2- نظرية المبادئ والمعلمات(Principles and Parameters)

قبل الخوض في تفاصيل البرنامج الأدنى، من الضروري فهم الإطار النظري الذي انبثق منه، وهو نظرية "المبادئ والمعلمات(P&P) "، التي سادت في الثمانينيات وكانت تُعرف أيضًا بنظرية "التحكم والربط .(GB) "قدم هذا النموذج تفسيرًا قويًا للتوازن الدقيق بين ما هو

مشترك بين جميع اللغات البشرية وما هو مختلف بينها. الفكرة الأساسية هي أن النحو الكلي (Universal Grammar - UG)يتكون من شقين رئيسيين:

- **المبادئ :(Principles)** وهي مجموعة من القواعد والقوانين الكلية الثابتة التي تنطبق على جميع اللغات الطبيعية دون استثناء. هذه المبادئ فطرية وجزء من التكوين البيولوجي للإنسان. من أمثلة المبادئ "مبدأ الاعتماد على البنية (Structure Dependency)، الذي ينص على أن العمليات النحوية (مثل تكوين السؤال) تعتمد على البنية الهرمية للجملة وليس على الترتيب الخطي للكلمات.
- **المعلمات :(Parameters)** وهي نقاط اختلاف محدودة بين اللغات، يمكن تشبيهها بمفاتيح ثنائية الخيار .(on/off) يكتسب الطفل لغته الأم عن طريق تثبيت قيم هذه المعلمات بناءً على البيانات اللغوية التي يتعرض لها في بيئته. يرى **Radford (2004)**أن هذا النموذج يحل "معضلة أفلاطون" في اكتساب اللغة، حيث يفسر كيف يمكن للطفل اكتساب نظام لغوي معقد جدًا من خلال التعرض لبيانات لغوية محدودة وغير مكتملة في كثير من الأحيان.

على سبيل المثال، "معلمة الرأس (Head Parameter) "تحدد موقع الرأس (مثل الفعل أو حرف الجر) بالنسبة لمكمله. في لغات مثل الإنجليزية، يأتي الرأس أولاً(Head-initial) ، فنقول "ate the apple" (الفعل يسبق المفعول به). أما في لغات مثل اليابانية، فيأتي الرأس آخراً .(Head-final) الطفل الذي ينشأ في بيئة إنجليزية يثبت المعلمة على خيار "الرأس أولاً"، بينما يثبتها الطفل الياباني على خيار "الرأس آخراً."

أمثلة إضافية على المبادئ والمعلمات

من الأمثلة الشهيرة الأخرى "معلمة الفاعل المحذوف .(Pro-drop Parameter) "تسمح بعض اللغات، مثل العربية والإيطالية والإسبانية، بحذف ضمير الفاعل من الجملة لأن تصريف الفعل يحتوي على معلومات كافية لتحديده (مثلاً، في العربية نقول "أكلتُ التفاحة" بدلاً من "أنا أكلتُ التفاحة"). هذه اللغات توصف بأنها .(pro-drop) في المقابل، لغات أخرى مثل الإنجليزية والفرنسية لا تسمح بذلك وتتطلب وجود فاعل ظاهر إجباريًا .(*Ate the apple)

يرى **محمد (2010)** أن نظام الإعراب الغني في اللغة العربية وتصريفات الأفعال الواضحة هما ما يسمحان بتثبيت هذه المعلمة على القيمة الموجبة.(pro-drop)

أما نظرية الربط(Binding Theory) ، فهي مثال ممتاز على المبادئ الكلية. تتكون هذه النظرية من ثلاثة مبادئ (A, B, C) تحكم تفسير الضمائر الانعكاسية (نفسه)، والضمائر العادية (هو)، والأسماء الصريحة (علي).

- **المبدأ (أ) :**يجب أن يُربط الضمير الانعكاسي (anaphor) ضمن نطاق محلي (مثلاً، داخل الجملة البسيطة التي يرد فيها). نقول: "عليٌ جرح نفسه"، ولا نقول: "*عليٌ يعتقد أن أحمد جرح نفسه."
- **المبدأ (ب) :**يجب أن يكون الضمير العادي (pronominal) حراً (غير مربوط) في نطاقه المحلي. نقول: "عليٌ يعتقد أن أحمد يحترمه"، حيث "ه" تعود على "علي" (خارج النطاق المحلي).
- **المبدأ (ج) :**يجب أن يكون التعبير المرجعي (R-expression) حراً في كل مكان. لا يمكن أن نقول: "*هو يحب عليًا" إذا كان "هو" يشير إلى "علي."

رغم نجاح نموذج المبادئ والمعلمات في تفسير الكثير من الظواهر اللغوية، إلا أنه أدى إلى تراكم عدد كبير من المبادئ والمعلمات الفرعية، مما جعل الجهاز النظري معقدًا وبعيدًا عن البساطة المأمولة. هذا التعقيد المتزايد كان أحد الدوافع الرئيسية لظهور البرنامج الأدنى، الذي سعى إلى "تنظيف" النظرية من كل ما هو غير ضروري من الناحية المفاهيمية (**Adger, 2003**).

3- البرنامج الأدنى(The Minimalist Program)

مع نشر كتابه "البرنامج الأدنى" عام 1995، دشّن تشومسكي مرحلة جديدة من البحث اللساني. لم تكن هذه المرحلة مجرد تعديل لنظرية التحكم والربط، بل كانت إعادة نظر جذرية في طبيعة الأسئلة التي يجب على اللسانيات الإجابة عنها. السؤال المحوري، كما ذكرنا، هو: إلى أي مدى يُعد تصميم اللغة "مثاليًا"؟ (**Chomsky, 1995**). المثالية هنا تعني أن بنية اللغة ليست اعتباطية، بل هي نتاج قيود مفروضة من الأنظمة التي تتفاعل معها.

يفترض البرنامج الأدنى أن ملكة اللغة هي عضو ذهني (mental organ) وظيفته ربط الصوت بالمعنى. ولكي تؤدي هذه الوظيفة، يجب أن تتفاعل مع نظامين أدائيين آخرين في الذهن:

1. **النظام الصوتي-الإدراكي (Articulatory-Perceptual, A-P):** وهو المسؤول عن نطق الأصوات وإدراكها.
2. **النظام المفهومي-القصدي (Conceptual-Intentional, C-I):** وهو المسؤول عن بناء الأفكار والمفاهيم والتخطيط.

وفقًا لـ "الفرضية الأدنوية القوية(Strong Minimalist Thesis) "، فإن اللغة مصممة على النحو الأمثل لتلبية متطلبات هذين النظامين الطرفيين (interfaces) فقط. أي أن الخصائص التي نجدها في اللغة موجودة لأنها ضرورية لتلبية شروط الواجهتين، وأي شيء آخر يعتبر "زوائد" غير ضرورية يجب التخلص منها في النظرية .(**Boeckx, 2006**) هذا يعني أن النظام الحوسبي للغة (Computational System for Human Language - CHL) يجب أن يكون بسيطًا قدر الإمكان.

بناءً على ذلك، تم التخلي عن مستويات التمثيل المتعددة التي كانت موجودة في نظرية التحكم والربط، مثل البنية العميقة (D-Structure) والبنية السطحية .(S-Structure) في البرنامج الأدنى، لا يوجد سوى مستويين للتمثيل لهما حقيقة لغوية، وهما المستويان الطرفيان:

- **الشكل المنطقي (Logical Form, LF):** وهو التمثيل الذي يرسل إلى النظام المفهومي-القصدي (C-I) لتفسيره دلاليًا.
- **الشكل الصوتي (Phonetic Form, PF):** وهو التمثيل الذي يرسل إلى النظام الصوتي-الإدراكي (A-P) لتحويله إلى أصوات منطوقة.

العمليات الحوسبية الأساسية في البرنامج الأدنى

إذا كان النظام الحوسبي للغة (CHL) بسيطًا إلى هذا الحد، فما هي العمليات التي يستخدمها لبناء التراكيب اللغوية من الوحدات المعجمية؟ يقترح البرنامج الأدنى أن هناك عملية أساسية واحدة، وهي أبسط عملية يمكن تصورها للدمج بين عنصرين، وتُسمى **الدمج.(Merge)**

الدمج (Merge): هي عملية تأخذ عنصرين نحويين (أ، ب) وتدمجهما لتكوين عنصر جديد غير مرتب {أ، ب}. هذه العملية هي أساس القدرة الإنسانية على توليد عدد لا نهائي من الجمل من عدد محدود من الكلمات، وهي الخاصية التي تُعرف بـ "اللانهاية المنفصلة (discrete infinity)". يشير **Radford (2004)** إلى أن عملية الدمج هي المحرك الأساسي لكل البنى النحوية.

هناك نوعان من عملية الدمج:

- **الدمج الخارجي (External Merge):** يتم فيه دمج عنصرين من المعجم (أو من مجموعة العناصر التي تم بناؤها مسبقًا). على سبيل المثال، دمج الفعل "يقرأ" مع الاسم "الكتاب" لتكوين المركب الفعلي {يقرأ، الكتاب}.
- **الدمج الداخلي (Internal Merge):** وهو ما كان يُعرف سابقًا بعملية "النقل " (Move). في هذا النوع، يتم أخذ عنصر موجود بالفعل داخل البنية النحوية وإعادة دمجه في موقع أعلى في البنية. على سبيل المثال، في جملة الاستفهام "ماذا قرأ الولد؟"، يتم دمج "ماذا" أولاً كمكمل للفعل "قرأ"، ثم يتم نقلها (عبر الدمج الداخلي) إلى بداية الجملة.

لكن لماذا تحدث عملية النقل (الدمج الداخلي)؟ يجيب البرنامج الأدنى بأن النقل ليس اختياريًا، بل هو عملية تفرضها الحاجة إلى "مضاهاة السمات (Feature Checking)". فالعناصر المعجمية (الكلمات) تدخل في الاشتقاق وهي تحمل سمات (features) معينة، بعضها قابل للتأويل (interpretable) مثل سمة [مفرد] على الاسم، وبعضها غير قابل للتأويل (uninterpretable) مثل سمة [استفهام] على الرأس المتمم (C). يجب شطب السمات غير القابلة للتأويل قبل إرسال الاشتقاق إلى الواجهات، وعملية النقل هي الآلية التي تسمح بمضاهاة هذه السمات وشطبها. **(Chomsky, 1995)**

4- الاقتصاد في اللغة (Economy in Language)

مبدأ الاقتصاد هو أحد الركائز الأساسية للبرنامج الأدنى، وهو انعكاس مباشر للسعي نحو "التصميم المثالي". الفكرة هي أن العمليات والتمثيلات النحوية تخضع لشروط اقتصادية صارمة، بحيث يتم دائمًا اختيار الخيار الأبسط والأقصر والأكثر كفاءة. يرى **Boeckx**

(2006)أن مبادئ الاقتصاد ليست مجرد إضافات للنظرية، بل هي جوهرها الذي يوجه عمل النظام الحوسبي بأكمله. يمكن تقسيم هذه المبادئ إلى فئتين رئيسيتين:

أ. اقتصاد الاشتقاق(Economy of Derivation)

تتعلق هذه الفئة بكفاءة العمليات الحوسبية نفسها. الهدف هو الوصول إلى تمثيل نحوي سليم بأقل عدد ممكن من الخطوات وأقصرها. من أهم مبادئ هذه الفئة:

- **النقل الأقصر :(Shortest Move)** ينص هذا المبدأ على أن العنصر الذي يحتاج إلى النقل يجب أن ينتقل إلى أقرب موقع هبوط (landing site) ممكن يمكنه من مضاهاة سماته. لا يمكن للعنصر أن "يقفز" فوق موقع وسيط مناسب. على سبيل المثال، في جملة "يبدو أن عليًا مريض"، يرتفع الفاعل "علي" من جملته الأصلية (أن عليًا مريض) إلى موقع الفاعل في الجملة الرئيسية، وهذا هو أقصر انتقال ممكن.
- **الملاذ الأخير :(Last Resort)** لا تحدث أي عملية، خاصة عملية النقل (الدمج الداخلي)، إلا إذا كانت ضرورية للغاية لتلبية متطلب نحوي، وهو عادةً مضاهاة سمة غير قابلة للتأويل. النقل ليس اختياريًا أو لأغراض أسلوبية، بل هو "الملاذ الأخير" لإنقاذ الاشتقاق من الانهيار (crash) عند الواجهات.(Chomsky, 1995)

ب. اقتصاد التمثيل(Economy of Representation)

تتعلق هذه الفئة ببنية التمثيلات النحوية نفسها. يجب أن تكون هذه التمثيلات خالية من أي معلومات زائدة عن الحاجة. المبدأ الأساسي هنا هو:

- **التأويل الكامل :(Full Interpretation - FI)** ينص هذا المبدأ على أن كل عنصر في التمثيل النهائي) عند واجهتي LF و PF يجب أن يكون له تأويل أو تفسير. العناصر التي لا يمكن تفسيرها، مثل السمات غير القابلة للتأويل، يجب أن تُمحى خلال عملية الاشتقاق. إذا وصل عنصر غير قابل للتأويل إلى إحدى الواجهتين، فإن الاشتقاق ينهار ويعتبر غير نحوي. هذا المبدأ هو القوة الدافعة وراء عملية مضاهاة السمات.

إن السعي نحو الاقتصاد في التمثيل هو ما أدى إلى التخلي عن مستويات البنية العميقة والسطحية. ففي نموذج التحكم والربط، كانت البنية العميقة تمثل "المعنى النقي" قبل أي عمليات نقل، بينما كانت البنية السطحية تمثل "الشكل النهائي" قبل إرساله إلى الشكل الصوتي.

وجد تشومسكي أن هذه المستويات الوسيطة هي مجرد "تحف أثرية (artifacts) "من تاريخ النظرية ولا تفرضها الضرورة المفاهيمية .(**Chomsky, 1995**) في البرنامج الأدنى، الاشتقاق هو عملية بناء مستمرة تبدأ من المعجم وتنتهي عند الواجهتين LF و PF دون أي محطات توقف وسيطة. هذا التصور أبسط وأكثر اقتصادًا.

كما أدى هذا التوجه إلى تبسيط نظرية التركيب المقولي .(X-bar Theory) فبدلاً من البنية الثلاثية (X, X', XP) التي كانت مفترضة، يقترح البرنامج الأدنى "نظرية التركيب المقولي المجردة .(Bare Phrase Structure) "في هذا التصور، عندما تدمج عملية الدمج عنصرين (أ، ب)، فإن أحدهما (الرأس) يسقط خصائصه على المركب الجديد. لا توجد مستويات وسطية مثل (X') إلا إذا كانت ضرورية لعملية اشتقاقية لاحقة. البنية هي نتاج مباشر لعملية الدمج، وهي أبسط ما يمكن أن تكون.(**Adger, 2003**)

5- الكليات اللغوية (Linguistic Universals) في البرنامج الأدنى

لقد كان البحث عن الكليات اللغوية (السمات المشتركة بين جميع اللغات) هدفًا مركزيًا للنحو التوليدي منذ نشأته. في نموذج المبادئ والمعلمات، كانت الكليات تتمثل في مجموعة ثابتة من المبادئ، بينما كان الاختلاف يرجع إلى المعلمات. أما البرنامج الأدنى، فيقدم رؤية أكثر جذرية وبساطة للكليات اللغوية.

فبدلاً من افتراض قائمة طويلة من المبادئ الكلية، يقترح البرنامج الأدنى أن الكليات الحقيقية هي المكونات الأساسية لتصميم اللغة نفسها:

1. **الواجهات :(Interfaces)** وجود واجهتين، واحدة للمعنى (C-I) وأخرى للصوت (A-P)، هو حقيقة بيولوجية مفروضة على أي نظام لغوي. هذا كلي بالضرورة.
2. **العمليات الحوسبية :**عملية الدمج (Merge) باعتبارها أبسط عملية تركيبية ممكنة، هي العملية الكلية الأساسية التي تولد البنى الهرمية.
3. **مبادئ الاقتصاد :**الشروط مثل "النقل الأقصر" و"الملاذ الأخير" ليست مبادئ لغوية خاصة، بل قد تكون انعكاسًا لمبادئ كفاءة حوسبية أعم تنطبق على أنظمة معرفية أخرى أيضًا.

مصدر التنوع اللغوي في البرنامج الأدنى

إذا كانت المكونات الأساسية للنظام الحوسبي كلية، فمن أين يأتي التنوع الهائل الذي نراه بين اللغات؟ ينقل البرنامج الأدنى مصدر التنوع بشكل شبه كامل من "النحو (Syntax) "إلى "المعجم .(Lexicon) "فالاختلافات بين اللغات لا تكمن في وجود عمليات نحوية مختلفة (فالجميع يستخدم "الدمج")، ولا في وجود مبادئ مختلفة، بل تكمن في خصائص الوحدات المعجمية في كل لغة.(**Chomsky, 1995**)

تحديدًا، يكمن التنوع في جانبين من المعجم:

- **السمات الصوتية للوحدات المعجمية :**فكلمة "كتاب" في العربية لها شكل صوتي يختلف عن "book" في الإنجليزية و "livre" في الفرنسية. هذا هو الجزء الأكثر سطحية ووضوحًا من التنوع.
- **السمات الصورية (Formal Features) للوحدات المعجمية :**هذا هو المصدر الأعمق للتنوع النحوي. قد تحتوي الكلمات في لغات مختلفة على سمات صورية مختلفة، أو قد تختلف "قوة (strength) "هذه السمات. على سبيل المثال، في اللغة الإنجليزية، توصف سمات التصريف على الرأس (T) بأنها "ضعيفة(weak) "، مما يعني أن الفعل الرئيسي لا يرتفع إلى (T) في الجمل الخبرية *John *likes not* Mary).أما في الفرنسية، فتوصف هذه السمات بأنها "قوية(strong) "، مما يجبر الفعل على الارتفاع.(Jean *n'aime pas* Marie)

هذا التحول في تحديد مصدر التنوع له آثار عميقة. فهو يبسط النحو الكلي (UG) إلى أقصى حد، ويجعل عملية اكتساب اللغة عملية تعلم لخصائص المعجم في لغة معينة، بدلاً من تثبيت مجموعة كبيرة من المعلمات النحوية. يرى **محمد (2010)** أن هذا المنظور يوفر إطارًا أكثر دقة لتحليل الظواهر الخاصة باللغة العربية، مثل نظام الإعراب وحركة الفعل، من خلال ربطها بسمات صورية محددة على الوحدات المعجمية العربية، بدلاً من افتراض معلمات خاصة.

بهذا المعنى، يعيد البرنامج الأدنى تعريف الكليات اللغوية. فالكلي ليس قائمة من القواعد، بل هو الآلية الحوسبية البسيطة نفسها (الدمج) والقيود الاقتصادية المفروضة عليها، بينما يتركز التنوع في الخصائص القابلة للتعلم للكلمات الفردية في كل لغة.

6- خلاصة

يمثل البرنامج الأدنى تحولًا نموذجيًا في مسار النحو التوليدي. فبعد عقود من بناء نظريات متزايدة التعقيد لوصف الظواهر اللغوية (مثل نظرية التحكم والربط)، جاء البرنامج الأدنى ليعيد توجيه البحث نحو أسئلة أكثر جوهرية حول طبيعة التصميم اللغوي. من خلال الانطلاق من فرضية أن اللغة نظام "مثالي" أو "أدنى"، يسعى البرنامج إلى تجريد النظرية من كل ما هو غير ضروري من الناحية المفاهيمية.

لقد رأينا كيف أدى هذا التوجه إلى تبسيط هائل في الجهاز النظري: تم استبدال مستويات التمثيل المتعددة بواجهتين فقط (LF وPF)، وتم اختزال العمليات النحوية في عملية أساسية واحدة هي "الدمج(Merge) "، وأصبحت مبادئ "الاقتصاد" هي الموجه الرئيسي لعمل النظام الحوسبي. كما تم نقل عبء تفسير التنوع اللغوي من النحو إلى المعجم، وتحديدًا إلى السمات الصورية للوحدات المعجمية.

في نهاية المطاف، البرنامج الأدنى ليس نظرية نهائية، بل هو "برنامج بحث" مفتوح يطرح أسئلة أكثر مما يقدم إجابات. إنه يدعو اللسانيين إلى إعادة فحص كل افتراض نظري وتساءل: هل هو ضروري حقًا؟ هل يمكن اشتقاقه من مبادئ أبسط وأكثر عمومية؟ وبهذا، يظل البرنامج الأدنى المجال الأكثر حيوية وتطورًا في اللسانيات التوليدية اليوم، ويوجه الأبحاث نحو فهم أعمق لما يجعل اللغة البشرية ممكنة وفريدة من نوعها.

7- أسئلة للمناقشة

1. كيف يختلف مفهوم "الاقتصاد" في البرنامج الأدنى عن مفهوم "البساطة" العام في المنهج العلمي؟
2. هل تعتقد أن عملية "الدمج (Merge) "وحدها كافية لتفسير كل تعقيدات البنية النحوية في اللغات البشرية؟ لماذا؟
3. قارن بين طريقة نموذج "المبادئ والمعلمات" في تفسير التنوع اللغوي وطريقة "البرنامج الأدنى". أيهما تجده أكثر إقناعًا؟
4. ما هي، في رأيك، أبرز التحديات التي تواجه البرنامج الأدنى في صورته الحالية؟

5. كيف يمكن لمفاهيم البرنامج الأدنى (مثل مضاهاة السمات والدمج الداخلي) أن تساعد في تفسير ظواهر نحوية محددة في اللغة العربية (مثل المطابقة أو ترتيب الكلمات)؟
6. إذا كانت اللغة نظامًا "مثاليًا"، فكيف نفسر وجود التراكيب الغامضة أو الجمل التي تبدو "غير متقنة" في الاستخدام اليومي؟

8- قائمة المراجع

- Adger, D. (2003). *Core Syntax: A Minimalist Approach*. Oxford University Press.
- Boeckx, C. (2006). *Linguistic Minimalism: Origins, Concepts, Methods, and Aims*. Oxford University Press.
- Chomsky, N. (1995). *The Minimalist Program*. MIT Press.
- Radford, A. (2004). *Minimalist Syntax: Exploring the Structure of English*. Cambridge University Press.
- محمد، علي. (2010). "أثر البرنامج الأدنى في دراسة التراكيب العربية: دراسة تطبيقية ." *مجلة اللسانيات العربية*، 25(2)، 45-70.

المحاضرة التاسعة: النظريات الوظيفية في اللغة

1- تمهيد

شهد القرن العشرون تحولات جذرية في دراسة اللغة، حيث انتقل التركيز من المناهج التاريخية والمقارنة التي سادت في القرن التاسع عشر إلى مناهج بنيوية شكلية، كان أبرزها ما قدمه نعوم تشومسكي في منتصف القرن. غير أن هذا التركيز المفرط على البنية الداخلية للغة بمعزل عن سياقها الاجتماعي والتواصلي أدى إلى ظهور اتجاه مضاد، وهو الاتجاه الوظيفي. تمثل النظريات الوظيفية في اللغة نقلة نوعية في الفكر اللساني، إذ تعيد الاعتبار للوظيفة التواصلية للغة، وتنظر إليها ليس بوصفها نظامًا مجردًا من القواعد الصورية، بل كأداة اجتماعية ديناميكية تتشكل وتتطور استجابة لحاجات مستخدميها.

ترى الوظيفية أن بنية اللغة ليست اعتباطية، بل هي انعكاس مباشر للوظائف التي تؤديها. فكل عنصر في النظام اللغوي، من الصوت إلى النص، يوجد لسبب وظيفي معين. هذا المنظور يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين الشكل والمعنى، وبين اللغة والمجتمع، وبين القواعد اللغوية والاستعمال الفعلي. على عكس النحو التوليدي الذي يسعى إلى تحديد "الكفاءة " (Competence)اللغوية للمتكلم المثالي، تهتم الوظيفية بـ "الأداء (Performance) "الفعلي في سياقات حقيقية، معتبرة أن اللغة لا يمكن فهمها فهمًا حقيقيًا إلا من خلال دراسة استخدامها (Halliday, 1985).

2- اللغة بوصفها أداة تواصل

إن المبدأ الأساسي الذي تنطلق منه جميع النظريات الوظيفية هو أن الوظيفة الأولية والجوهرية للغة هي التواصل. هذا المفهوم، على بساطته الظاهرية، يحمل في طياته تبعات عميقة على كيفية تحليل اللغة ووصفها. فإذا كانت اللغة أداة للتواصل، فإن بنيتها لا بد أن تكون مصممة لتحقيق هذا الغرض بأكبر قدر من الفعالية. هذا يعني أن القواعد النحوية، والمفردات، والتراكيب ليست مجرد قيود شكلية، بل هي موارد يستخدمها المتكلمون لتحقيق أهداف تواصلية محددة: لنقل المعلومات، وبناء العلاقات الاجتماعية، والتأثير في الآخرين، وتنظيم الخطاب.

من هذا المنطلق، يصبح "السياق (Context) "مفهومًا مركزيًا في التحليل الوظيفي. فالمعنى لا يكمن في الجملة بحد ذاتها، بل يتشكل من خلال تفاعل النص مع سياقه. ويميز الوظيفيون، وعلى رأسهم هاليداي، بين نوعين من السياق: سياق الموقف (Context of Situation) وسياق الثقافة (Context of Culture). يشير سياق الموقف إلى البيئة المباشرة التي يحدث فيها الخطاب، ويتضمن ثلاثة متغيرات رئيسية: الحقل (Field) أي موضوع الخطاب، والعلاقات (Tenor) أي العلاقة بين المشاركين، والصيغة (Mode) أي قناة التواصل ودور اللغة في الموقف (Eggins, 2004). أما سياق الثقافة، فيشير إلى الإطار الأوسع من المعتقدات والقيم والأعراف الاجتماعية التي تشكل الخلفية التي يُفهم من خلالها أي نص.

إن فهم اللغة كأداة تواصلية يقودنا حتمًا إلى تحليل الوظائف المحددة التي تؤديها. وقد حاول العديد من اللسانيين والفلاسفة تصنيف هذه الوظائف. من أبرز المحاولات المبكرة والمؤثرة ما قدمته حلقة براغ اللسانية، وخصوصًا رومان ياكبسون. اقترح ياكبسون نموذجًا سداسيًا لوظائف اللغة، يربط كل وظيفة بأحد عناصر عملية التواصل الستة (المرسِل، المرسَل إليه، الرسالة، السياق، القناة، الشفرة). هذه الوظائف هي:

- **الوظيفة التعبيرية (Emotive):** تتركز حول المرسِل، وتهدف إلى التعبير عن مشاعره ومواقفه الشخصية (مثال: "أنا سعيد جدًا اليوم!").
- **الوظيفة الإفهامية (Conative):** تتركز حول المرسَل إليه، وتهدف إلى التأثير فيه أو توجيهه (مثال: "افتح الباب من فضلك").
- **الوظيفة المرجعية (Referential):** تتركز حول السياق، وتهدف إلى نقل معلومات موضوعية عن العالم الخارجي (مثال: "الشمس تشرق من الشرق").
- **الوظيفة الشعرية (Poetic):** تتركز حول الرسالة ذاتها، وتهدف إلى لفت الانتباه إلى شكلها وجمالياتها (مثال: الشعر، الشعارات الإعلانية).
- **الوظيفة الحفاظية (Phatic):** تتركز حول القناة، وتهدف إلى فتح قناة التواصل أو الحفاظ عليها (مثال: "ألو؟"، "كيف حالك؟").

- **الوظيفة ما وراء اللغوية :(Metalingual)** تتركز حول الشفرة (اللغة نفسها)، وتهدف إلى الحديث عن اللغة وتوضيحها (مثال: "ماذا تعني كلمة 'وظيفي'؟").

3- نظرية الوظائف اللغوية

على الرغم من أهمية نموذج ياكبسون، إلا أنه يميل إلى ربط كل وظيفة بنوع معين من التعبيرات اللغوية. أما النظريات الوظيفية الأكثر تطورًا، مثل نحو هاليداي، فترى أن معظم التعبيرات اللغوية متعددة الوظائف بطبيعتها. أي أن الجملة الواحدة يمكن أن تؤدي عدة وظائف في آن واحد. على سبيل المثال، جملة "الجو حار هنا، أليس كذلك؟" قد تؤدي وظيفة مرجعية (وصف حالة الطقس)، ووظيفة شخصية (التعبير عن الانزعاج)، ووظيفة إفهامية (طلب ضمني لفتح نافذة أو تشغيل مكيف الهواء)، ووظيفة حفاظية (بدء محادثة).

يؤكد هذا التعدد الوظيفي على الطبيعة المعقدة والمتشابكة للاستخدام اللغوي. فاللغة ليست مجرد مجموعة من الأدوات المنفصلة، بل هي نظام متكامل تتضافر فيه الموارد النحوية والمعجمية لتحقيق أغراض تواصلية مركبة. وقد بنى اللساني البريطاني مايكل هاليداي نظريته الكاملة حول هذا المفهوم، مقترحًا أن النظام اللغوي بأكمله منظم حول عدد قليل من "الوظائف الكبرى" أو "الوظائف الماورائية (Metafunctions) "التي سنناقشها بالتفصيل لاحقًا (Thompson, 2014).هذا الانتقال من قائمة من الوظائف إلى نظام متكامل من الوظائف الماورائية يمثل تطورًا رئيسيًا في الفكر الوظيفي.

4- مايكل هاليداي(Michael Halliday)

يعد مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي (1925-2018) أحد أبرز اللسانيين في القرن العشرين، والمؤسس الفعلي لما يعرف اليوم بـ "النحو الوظيفي النظامي (Systemic Functional Grammar - SFG)." ولد هاليداي في إنجلترا، وتأثر في بداية مسيرته بأستاذه ج. ر. فيرث (J. R. Firth) الذي أكد على أهمية السياق في دراسة المعنى، وبحلقة براغ اللسانية التي ركزت على التنظيم الوظيفي للجملة. كما درس اللغة الصينية، وأتاحت له دراسة لغة غير أوروبية ذات بنية مختلفة تمامًا رؤية ثاقبة حول الطرق المتنوعة التي يمكن للغات أن تنظم بها المعنى.

انتقد هاليداي بشدة الاتجاه الشكلي في اللسانيات، الذي يمثله تشومسكي، معتبرًا أنه يقدم رؤية ضيقة ومختزلة للغة. فبينما يرى تشومسكي أن جوهر اللغة هو "النحو (Syntax) " بمعزل عن المعنى والاستخدام، يرى هاليداي أن جوهر اللغة هو "علم الدلالة " (Semantics)الاجتماعي، أي كيف يستخدم الناس اللغة لصناعة المعنى في سياقات اجتماعية. بالنسبة لهاليداي، اللغة ظاهرة "اجتماعية-دلالية (socio-semantic) "في المقام الأول. وبالتالي، فإن السؤال الأساسي للسانيات لا ينبغي أن يكون "ما هي القواعد التي تحكم هذه اللغة؟"، بل "كيف تمكننا هذه اللغة من فعل ما نفعله بها؟.(Halliday, 1985) "

طور هاليداي نظريته على مدى عقود من البحث، مطبقًا إياها على مجموعة واسعة من الظواهر اللغوية، من نحو الجملة إلى تحليل الخطاب، ومن اكتساب اللغة عند الأطفال إلى دراسة النصوص الأدبية والعلمية. تتميز نظريته بأنها ليست مجرد نظرية في النحو، بل هي نظرية شاملة في اللغة كنظام اجتماعي، مما جعلها ذات تأثير كبير في مجالات متنوعة مثل التربية (خاصة تعليم القراءة والكتابة)، والترجمة، وتحليل الخطاب النقدي، والذكاء الاصطناعي.

من الأفكار المحورية في فكر هاليداي أن اللغة هي "إمكانية لصناعة المعنى " .(meaning potential)فالمتكلم لا يطبق قواعد مجردة، بل يختار من بين شبكة واسعة من الخيارات المتاحة له في اللغة ليصنع المعنى الذي يناسب الموقف التواصلي. هذا التركيز على "الاختيار" هو أساس الجزء "النظامي (Systemic) "من نظريته، بينما التركيز على "الغرض" من هذه الاختيارات هو أساس الجزء "الوظيفي (Functional) "منها (الخولي، 2001).

5- النحو الوظيفي النظامي(Systemic Functional Grammar)

النحو الوظيفي النظامي (SFG) هو نظرية لغوية ونموذج وصفي متكامل طوره مايكل هاليداي. يهدف هذا النموذج إلى تفسير كيف يتم تنظيم اللغة لتحقيق وظائفها التواصلية. يقوم النموذج على فكرتين أساسيتين، كما يتضح من اسمه: "نظامي" و "وظيفي."

أولاً: اللغة كنظام :(Systemic) يرى هاليداي أن نحو اللغة ليس مجموعة من القواعد (rules)، بل هو شبكة من الأنظمة .(system networks) كل نظام يمثل نقطة اختيار

(choice point)متاحة للمتكلم. على سبيل المثال، عند بناء جملة فعلية في اللغة الإنجليزية أو العربية، يواجه المتكلم نظام "الصيغة(Mood) "، حيث يجب أن يختار بين صيغة خبرية (لإعطاء معلومة)، أو استفهامية (لطرح سؤال)، أو أمرية (لإعطاء توجيه). كل اختيار من هذه الخيارات يفتح بدوره أنظمة أخرى من الخيارات الأكثر تحديدًا. هذا التصور للغة كشبكة من الخيارات المترابطة يجعل التحليل اللغوي عملية ديناميكية تتبع مسار صناعة المعنى، بدلاً من مجرد فحص المنتج النهائي.(Fontaine, 2012)

ثانياً: اللغة كوظيفة :(Functional) يرى هاليداي أن هذه الشبكة المعقدة من الخيارات ليست عشوائية، بل هي منظمة حول ثلاث وظائف كبرى متزامنة، أطلق عليها اسم "الوظائف الماورائية" أو "الوظائف الكلية .(Metafunctions) "هذه الوظائف الثلاث هي:

1. **الوظيفة التصويرية :(Ideational Metafunction)** وظيفة اللغة في تمثيل الواقع وتصوير خبراتنا عن العالم الخارجي والداخلي. إنها اللغة بوصفها أداة للتفكير والتعبير عن "المحتوى."
2. **الوظيفة الشخصية :(Interpersonal Metafunction)** وظيفة اللغة في بناء العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين. إنها اللغة بوصفها أداة للفعل الاجتماعي.
3. **الوظيفة النصية :(Textual Metafunction)** وظيفة اللغة في تنظيم الرسالة وجعلها نصًا متماسكًا وملائمًا للسياق. إنها اللغة بوصفها أداة لتنظيم الخطاب.

الأمر الحاسم في نظرية هاليداي هو أن كل جملة أو عبارة في اللغة تحقق هذه الوظائف الثلاث في وقت واحد. فكل جملة هي تمثيل للواقع، وفعل اجتماعي، ورسالة منظمة. وبالتالي، فإن تحليل أي جملة يتطلب النظر إليها من هذه الزوايا الثلاث المتكاملة .(Eggins, 2004) في الصفحات التالية، سنتناول كل وظيفة من هذه الوظائف الماورائية بمزيد من التفصيل.

5-1- الوظيفة التصويرية(Ideational Metafunction)

تُعنى الوظيفة التصويرية بكيفية استخدام اللغة لتمثيل "ما يحدث" في العالم. إنها الطريقة التي نصور بها خبراتنا وتجاربنا. يقسم هاليداي هذه الوظيفة إلى قسمين فرعيين: الوظيفة التجريبية (Experiential) والوظيفة المنطقية.(Logical)

الوظيفة التجريبية (Experiential Function): تركز على الجملة بوصفها تمثيلاً للخبرة. يحلل النحو الوظيفي الجملة من هذه الزاوية من خلال نظام "المحمولية" (Transitivity). يصف هذا النظام الخبرة من خلال ثلاثة مكونات أساسية:

- **العمليات (Processes):** وهي الأفعال التي تعبر عن أنواع مختلفة من الأحداث (مادية، عقلية، علائقية، لفظية، سلوكية، وجودية). على سبيل المثال، "ركل" هي عملية مادية، "فكر" هي عملية عقلية، "يكون" هي عملية علائقية.
- **المشاركون (Participants):** وهم الأشخاص أو الأشياء المشاركة في العملية. تختلف أدوار المشاركين باختلاف نوع العملية (مثلاً: الفاعل، الهدف في العمليات المادية؛ والمُدرِك، والمُدرَك في العمليات العقلية).
- **الظروف (Circumstances):** وهي المعلومات الإضافية التي تحدد سياق العملية (متى، أين، كيف، لماذا، إلخ).

على سبيل المثال، في جملة "قرأ الطالب الكتاب بتمعن في المكتبة"، يمكن تحليلها وظيفيًا كالتالي: "الطالب" هو مشارك (فاعل/مُدرِك)، "قرأ" هي عملية (عقلية/سلوكية)، "الكتاب" هو مشارك (هدف/مُدرَك)، "بتمعن" هو ظرف (كيفية)، و"في المكتبة" هو ظرف (مكان). يوضح هذا التحليل كيف تبني اللغة صورة مصغرة عن حدث في الواقع (Thompson, 2014).

الوظيفة المنطقية (Logical Function): تركز على كيفية ربط الجمل (أو العبارات) معًا لتكوين وحدات أكبر وأكثر تعقيدًا. إنها تتعلق بالروابط المنطقية-الدلالية مثل الإضافة (و)، والسبب (لأن)، والشرط (إذا)، والتناقض (لكن). يتيح هذا الجانب من الوظيفة التصويرية بناء الحجج، وسرد القصص، وشرح المفاهيم المعقدة من خلال ربط الخبرات المختلفة في علاقات منطقية.

2-5- الوظيفة الشخصية(Interpersonal Metafunction)

تُعنى الوظيفة الشخصية بكيفية استخدام اللغة للتفاعل مع الآخرين، وبناء العلاقات الاجتماعية، والتعبير عن المواقف والآراء. إنها اللغة بوصفها "فعلًا (action)" وليس مجرد "انعكاس (reflection)". "عندما نتحدث، فإننا لا نصف العالم فحسب، بل نفعل أشياء: نسأل،

نأمر، نقترح، نعد، نعتذر. هذا الجانب من المعنى يتحقق بشكل أساسي من خلال نظام "الصيغة.(Mood) "

يتكون نظام الصيغة من مكونين رئيسيين:

- **المبتدأ :(Subject)** وهو ليس مجرد الفاعل النحوي، بل هو العنصر الذي تقع عليه مسؤولية صحة الجملة، والذي يتمحور حوله النقاش (مثلاً، في السؤال "هل **أنت** قادم؟"، "أنت" هو المبتدأ).
- **الفعل المحدود :(Finite)** وهو جزء من الفعل يحمل الزمن (ماض/مضارع) والقطبية (إيجاب/نفي). ترتيب المبتدأ والفعل المحدود هو ما يحدد الصيغة الأساسية للجملة (خبرية، استفهامية).

على سبيل المثال، جملة "الطلاب يكتبون الواجب" هي جملة خبرية (المبتدأ + الفعل المحدود)، وهي تؤدي فعل "الإخبار". أما جملة "هل يكتب الطلاب الواجب؟" فهي جملة استفهامية (الفعل المحدود + المبتدأ)، وتؤدي فعل "السؤال". وجملة "اكتبوا الواجب" هي جملة أمرية (تفتقر إلى المبتدأ والفعل المحدود الصريحين)، وتؤدي فعل "الأمر". هذه الاختيارات في بنية الصيغة ليست مجرد اختلافات شكلية، بل هي اختيارات في الأدوار التفاعلية التي يتبناها المتكلم ويفرضها على المستمع.(Halliday, 1985)

بالإضافة إلى نظام الصيغة، تشمل الوظيفة الشخصية أيضًا "الجهة(Modality) "، وهي الموارد اللغوية التي نستخدمها للتعبير عن درجة اليقين (مثل: بالتأكيد، ربما، قد)، والالتزام (مثل: يجب، يمكن، ينبغي)، والتكرار (مثل: دائمًا، أحيانًا). هذه العناصر تسمح للمتكلمين بالتعبير عن مواقفهم الشخصية وتكييف رسائلهم بدقة لتناسب السياق الاجتماعي (Fontaine, 2012).

3-5- الوظيفة النصية(Textual Metafunction)

تُعنى الوظيفة النصية بكيفية تنظيم اللغة لإنشاء رسالة متماسكة ومنظمة، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة. إنها الوظيفة التي "تمكّن" الوظيفتين الأخريين من التحقق، فهي تحول الأفكار والأفعال إلى نص مترابط. بدون الوظيفة النصية، سنحصل على مجموعة من الجمل

غير المترابطة بدلاً من خطاب ذي معنى. المفهومان الأساسيان في هذه الوظيفة هما "البنية الموضوعية (Thematic Structure) "و"التماسك.(Cohesion) "

البنية الموضوعية :(Thematic Structure) يقسم هاليداي كل جملة إلى جزأين:

- **الموضوع :(Theme)** وهو نقطة انطلاق الرسالة، أو "ما تدور حوله الجملة". في اللغة العربية والإنجليزية، يكون الموضوع عادة هو العنصر الأول في الجملة.
- **الخبر :(Rheme)** وهو بقية الجملة، أي "ما يقال عن الموضوع". إنه يقدم المعلومة الجديدة أو يطور الموضوع.

على سبيل المثال، في جملة" **اللغةُ** أداةٌ للتواصل"، "اللغة" هي الموضوع، و"أداة للتواصل" هي الخبر. يمكن للمتكلم أن يغير الموضوع لتحقيق تأثيرات مختلفة. قارن الجملة السابقة بجملة" **في القرن العشرين**، شهدت دراسة اللغة تحولات جذرية". هنا، الظرف "في القرن العشرين" هو الموضوع، مما يضع إطارًا زمنيًا للرسالة منذ البداية. إن نمط اختيار الموضوعات وتطويرها عبر النص هو ما يمنحه تدفقه وتوجهه.(Eggins, 2004)

التماسك :(Cohesion) يشير إلى الروابط النحوية والمعجمية التي تربط أجزاء النص معًا لتجعله وحدة واحدة. تشمل آليات التماسك الرئيسية:

- **الإحالة :(Reference)** استخدام الضمائر (هو، هي، هم) وأسماء الإشارة (هذا، تلك) للإشارة إلى عناصر مذكورة سابقًا في النص.
- **الاستبدال والحذف :(Substitution and Ellipsis)** استبدال كلمة أو عبارة بكلمة أخرى (مثل "آخر") أو حذفها تمامًا لتجنب التكرار.
- **الربط :(Conjunction)** استخدام أدوات الربط (مثل: و، لكن، لذلك، ثم) لتوضيح العلاقات المنطقية بين الجمل.
- **التماسك المعجمي :(Lexical Cohesion)** تكرار الكلمات، أو استخدام مرادفاتها، أو كلمات من نفس الحقل الدلالي لربط أجزاء النص.

تُظهر هذه الآليات كيف أن النص ليس مجرد سلسلة من الجمل، بل هو نسيج لغوي محكم، حيث تساهم كل كلمة وكل جملة في بناء المعنى الكلي (الخولي، 2001).

6- خلاصة

تقدم النظريات الوظيفية، وبشكل خاص النحو الوظيفي النظامي لهاليداي، منظورًا شاملاً ومتكاملاً للغة. فبدلاً من النظر إلى اللغة كنظام صوري مجرد، تعيد هذه النظريات اللغة إلى بيئتها الطبيعية: السياق الاجتماعي والتواصلي. من خلال التركيز على "لماذا" اللغة كما هي، وليس فقط "كيف" هي، يفتح التحليل الوظيفي الباب أمام فهم أعمق للعلاقة بين البنية اللغوية والوظيفة الاجتماعية.

إن مفهوم الوظائف الماورائية الثلاث (التصويرية، الشخصية، النصية) يوفر إطارًا تحليليًا قويًا يوضح كيف أن كل تعبير لغوي هو في آن واحد تمثيل للخبرة، وفعل اجتماعي، ورسالة منظمة. هذا المنظور المتعدد الأبعاد يسمح لنا بتجاوز التحليل النحوي التقليدي وكشف طبقات المعنى الدقيقة التي يبنيها مستخدمو اللغة في تفاعلاتهم اليومية. لقد أثبتت الوظيفية أنها ليست مجرد نظرية لسانية، بل هي أداة تحليلية قوية يمكن تطبيقها في مجالات متنوعة، من تعليم اللغات وتحليل الخطاب إلى دراسات الترجمة والإعلام، مما يؤكد على حيوية وأهمية دراسة اللغة في سياق استخدامها الفعلي.

7- أسئلة للمناقشة

1. ما هو الفرق الجوهري بين المنظور الوظيفي والمنظور الشكلي (التوليدي) في دراسة اللغة؟ وكيف يؤثر هذا الفرق على أهداف التحليل اللساني في كل منهما؟
2. اختر نصًا قصيرًا (فقرة من جريدة، إعلان، أو محادثة قصيرة) وحاول تحليله باستخدام مفهوم الوظائف الماورائية الثلاث لهاليداي. ما الذي يكشفه هذا التحليل عن كيفية بناء المعنى في النص؟
3. ناقش أهمية مفهوم "السياق" في التحليل الوظيفي. كيف يساعدنا التمييز بين سياق الموقف وسياق الثقافة في فهم النصوص بشكل أعمق؟ قدم أمثلة.
4. كيف يمكن تطبيق مبادئ النحو الوظيفي في مجال تعليم اللغة (الأم أو الأجنبية)؟ ما هي الفوائد المحتملة لتدريس القواعد من منظور وظيفي بدلاً من منظور وصفي بحت؟
5. يرى هاليداي أن اللغة "إمكانية لصناعة المعنى". اشرح ما يعنيه هذا القول، وكيف يرتبط بمفهوم "شبكات الأنظمة (System Networks)" في النحو الوظيفي النظامي.

8- قائمة المراجع

الخولي، محمد علي .(2001) *مدخل إلى علم اللغة الوظيفي* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.

Eggins, S. (2004). *An introduction to systemic functional linguistics* (2nd ed.). Continuum.

Fontaine, L. (2012). *Analysing English grammar: A systemic functional introduction*. Cambridge University Press.

Halliday, M. A. K. (1985). *An introduction to functional grammar*. Edward Arnold.

Thompson, G. (2014). *Introducing functional grammar* (3rd ed.). Routledge.

المحاضرة العاشرة: التداولية (Pragmatics)

1- تمهيد

في دراستنا للغة، غالبًا ما نركز على بنيتها الصورية، من أصوات ومفردات وقواعد تركيبية. هذا المستوى من التحليل، الذي يُعرف باللسانيات البنيوية، يقدم لنا فهمًا عميقًا لكيفية بناء الجمل الصحيحة في لغة ما. لكن اللغة ليست مجرد نظام مجرد من الرموز؛ إنها أداة حية نستخدمها للتواصل في سياقات حقيقية ومتغيرة. عندما نقول جملة مثل "الجو حار هنا"، قد لا نكون فقط نصف حالة الطقس، بل قد نطلب ضمنيًا من شخص ما أن يفتح النافذة أو يشغل المكيف. هذا المعنى الإضافي، الذي يتجاوز المعنى الحرفي للكلمات، هو جوهر ما تدرسه "التداولية."

لقد أدرك اللسانيون والفلاسفة أن هناك فجوة بين "معنى الجملة (Sentence Meaning) " و"معنى المتكلم .(Speaker Meaning) "فمعنى الجملة هو المعنى الدلالي (Semantic) المجرد الذي تحمله الكلمات والتركيب النحوي، بينما معنى المتكلم هو ما يقصده المتحدث فعليًا عند نطقه بتلك الجملة في سياق معين .**(Yule, 1996)**التداولية هي العلم الذي يهتم بسد هذه الفجوة، فهي تدرس كيفية استخدام اللغة في التواصل، وكيف يتمكن المستمعون من فهم المقاصد غير المصرح بها، وكيف يؤثر السياق بشكل حاسم في تفسير الكلام.

تنتقل بنا التداولية من سؤال "ماذا تعني هذه الكلمات؟" إلى سؤال أعمق: "ماذا تفعل بهذه الكلمات؟" و"ماذا تقصد بقولها؟". إنها تنظر إلى اللغة بوصفها فعلاً (action) وسلوكًا اجتماعيًا، لا مجرد وسيلة لوصف العالم. في هذه المحاضرة، سنستكشف المبادئ الأساسية لهذا الحقل اللساني الثري، بدءًا من تعريفه، مرورًا بنظريات أفعال الكلام عند أوستين وسيرل، ثم مبدأ التعاون والاستلزام الحواري عند غرايس، لنصل في النهاية إلى فهم أعمق لكيفية نجاحنا في التواصل رغم كل الغموض والتعقيد الذي يكتنف لغتنا اليومية.

2- مفهوم التداولية

يمكن تعريف التداولية (Pragmatics) بأنها "دراسة المعنى كما يتم توصيله من قبل المتكلم (أو الكاتب) وتفسيره من قبل المستمع (أو القارئ) .**(Yule, 1996, p. 3)** "هذا التعريف يركز على أن التداولية معنية بتحليل ما يقصده الناس بأقوالهم أكثر من اهتمامها بالمعنى

الحرفي للكلمات أو الجمل التي يستخدمونها. إنها دراسة المعنى غير المرئي، أو كيفية إدراكنا لما هو مقصود حتى لو لم يُقل صراحة.

للتفريق بشكل أوضح، يمكن مقارنة التداولية بعلم الدلالة .(Semantics) يهتم علم الدلالة بالعلاقة بين الكلمات والعالم، أي المعنى الحرفي والموضوعي المستقل عن السياق. أما التداولية، فتهتم بالعلاقة بين العلامات اللغوية ومستخدميها، أي كيف يضفي السياق والمقاصد معنى على الأقوال. على سبيل المثال، جملة "لدي سيارة فيراري" لها معنى دلالي واحد وواضح. لكن تداوليًا، قد تكون هذه الجملة تفاخرًا، أو عرضًا للمساعدة في التوصيل، أو جوابًا على سؤال "كيف ستصل إلى المطار؟". السياق هو الذي يحدد القصد الفعلي.

المفاهيم الأساسية في التداولية:

- **السياق :(Context)** هو المفهوم الأكثر مركزية في التداولية. لا يمكن فهم المعنى التداولي دون الرجوع إلى السياق الذي يشمل: السياق المادي (المكان والزمان)، والسياق المعرفي (المعرفة المشتركة بين المتحدث والمستمع)، والسياق اللغوي (ما قيل سابقًا في المحادثة)، والسياق الاجتماعي (العلاقة بين المتحاورين).
- **القصد :(Intention)** تهتم التداولية بقصد المتكلم، أي الهدف الذي يسعى لتحقيقه من خلال كلامه. فهم القصد هو مفتاح التفسير التداولي الصحيح.
- **الاستدلال :(Inference)** هو العملية الذهنية التي يقوم بها المستمع للوصول إلى قصد المتكلم بناءً على ما قيل والسياق المحيط. الاستدلال يملأ الفجوات بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود.

وقد أشار فلاسفة اللغة الأوائل مثل تشارلز موريس إلى أن دراسة العلامات (السيميوطيقا) تنقسم إلى ثلاثة فروع: التركيب(Syntax) ، والدلالة(Semantics) ، والتداولية (Pragmatics).وقد تطور هذا الفرع الأخير ليصبح حقلاً لسانيًا مستقلاً بفضل أعمال فلاسفة مثل لودفيغ فيتغنشتاين، ثم بشكل منهجي على يد جون أوستين، وجون سيرل، وبول غرايس، الذين سنناقش نظرياتهم بالتفصيل. وقد وجدت هذه النظريات تطبيقات مهمة في تحليل الخطاب العربي، حيث البلاغة العربية التقليدية غنية بالمفاهيم التي تتقاطع مع التداولية الحديثة **(الفاسي الفهري، 1999).**

3- أفعال الكلام(Speech Acts)

تُعد نظرية أفعال الكلام، التي طورها فيلسوف اللغة البريطاني جون لانجشو أوستين (J. L. Austin) في سلسلة محاضرات ألقاها في هارفارد عام 1955 ونُشرت بعد وفاته في كتاب "كيف ننجز الأشياء بالكلمات(**Austin, 1962**) "، حجر الزاوية في التداولية الحديثة. كانت الفكرة الثورية التي طرحها أوستين هي أننا لا نستخدم اللغة لوصف العالم فقط، بل نستخدمها أيضًا لأداء أفعال.

3-1- الأقوال الإخبارية والأقوال الإنجازية

بدأ أوستين بالتمييز بين نوعين من الأقوال:

- **الأقوال الإخبارية :(Constative Utterances)** هي الجمل التي تصف حالة معينة من الأشياء ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. مثال: "القطة على السجادة."
- **الأقوال الإنجازية :(Performative Utterances)** هي الجمل التي لا تصف فعلاً بل هي بحد ذاتها إنجاز للفعل. لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب، بل بالنجاح أو الفشل (أو الصحة والبطلان). أمثلة: "أعدك بأن أكون هناك"، "أعتذر عن تأخري"، "أعلنكما زوجًا وزوجة". عند قول هذه الجمل في سياق مناسب، فإنك تنجز فعل الوعد أو الاعتذار أو إعلان الزواج.

لكن أوستين سرعان ما أدرك أن هذا التمييز غير كافٍ، لأن كل الأقوال، حتى الإخبارية منها، يمكن اعتبارها أفعالاً (فعل الإخبار، فعل التأكيد). قاده هذا إلى تطوير نظرية أكثر شمولاً ترى أن أي قول هو في الحقيقة إنجاز لثلاثة أفعال متزامنة.

3-2- مستويات فعل الكلام الثلاثة

وفقًا لأوستين **(1962)**، يتكون كل فعل كلامي من ثلاثة جوانب:

1. **الفعل اللفظي :(Locutionary Act)** هو فعل النطق بكلمات وجمل ذات معنى وتركيب نحوي سليم. إنه الجانب الحرفي للقول.
2. **الفعل الإنجازي :(Illocutionary Act)** هو القصد أو الوظيفة التي يؤديها القول. إنه الفعل الذي ننجزه "في" القول(in saying something) ، مثل الأمر، أو السؤال، أو الوعد، أو التحذير. هذا هو جوهر نظرية أفعال الكلام.

3. **الفعل التأثيري (Perlocutionary Act):** هو التأثير الفعلي الذي يحدثه القول في المستمع (أفكاره، مشاعره، أو أفعاله). إنه الفعل الذي ننجزه "بواسطة" القول (by saying something)، مثل إقناع شخص ما، أو إخافته، أو إزعاجه.

على سبيل المثال، إذا قال شخص ما "هناك ثور خلفك!"، فإن الفعل اللفظي هو نطق هذه الجملة بمعناها الحرفي. والفعل الإنجازي هو "التحذير". أما الفعل التأثيري المحتمل فهو "إخافة" المستمع وجعله يهرب.

3-3- تطوير جون سيرل لنظرية أفعال الكلام

قام الفيلسوف الأمريكي جون سيرل(John Searle) ، وهو تلميذ أوستين، بتطوير وتنظيم نظرية أفعال الكلام بشكل منهجي في كتابه "أفعال الكلام .**(Searle, 1969)** "ركز سيرل بشكل أساسي على الفعل الإنجازي، معتبراً إياه الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي. من أبرز إسهاماته تصنيفه للأفعال الإنجازية إلى خمس فئات رئيسية بناءً على "الغرض الإنجازي " (Illocutionary Point):

1. **التقريريات (Representatives/Assertives):** يلتزم فيها المتكلم بصدق القضية التي يعبر عنها. الهدف هو تمثيل حالة من العالم. تشمل أفعالاً مثل: الإخبار، التأكيد، الادعاء، الوصف. مثال: "الأرض تدور حول الشمس."
2. **التوجيهيات (Directives):** يحاول المتكلم من خلالها دفع المستمع للقيام بفعل ما. الهدف هو جعل العالم يتوافق مع الكلمات. تشمل أفعالاً مثل: الأمر، الطلب، السؤال، النصيحة. مثال: "أغلق الباب من فضلك."
3. **التعهديات (Commissives):** يلتزم فيها المتكلم بالقيام بفعل مستقبلي. الهدف هو جعل العالم يتوافق مع الكلمات (بفعل من المتكلم). تشمل أفعالاً مثل: الوعد، العرض، التهديد، القسم. مثال: "سأعيد لك الكتاب غدًا."
4. **التعبيرات (Expressives):** يعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية أو شعوره تجاه حالة معينة. الهدف هو التعبير عن مشاعر. تشمل أفعالاً مثل: الشكر، الاعتذار، التهنئة، التعزية. مثال: "أنا آسف لسماع ذلك."

5. **الإعلانيات :(Declarations)** تؤدي إلى تغيير فوري في الواقع المؤسسي بمجرد النطق بها بنجاح. الكلمات تغير العالم. تشمل أفعالاً مثل: إعلان الحرب، التسمية، الطرد من العمل، الحكم في المحكمة. مثال: "أحكم عليك بالسجن لمدة عام."

هذا التصنيف الذي قدمه سيرل **(1969)** يوفر إطارًا تحليليًا قويًا لفهم الوظائف المتنوعة التي يمكن أن تؤديها اللغة في التفاعل البشري.

4- مبدأ التعاون(The Cooperative Principle)

إذا كانت نظرية أفعال الكلام تشرح "ماذا نفعل بالكلمات"، فإن نظرية الفيلسوف بول غرايس (Paul Grice)تشرح "كيف نفهم ما لا يُقال". في ورقته البحثية المؤثرة "المنطق والمحادثة**(Grice, 1975)** "، تساءل غرايس كيف يتمكن المتحاورون من فهم المعاني الضمنية التي تتجاوز ما يُقال حرفيًا. كانت إجابته هي أن المحادثة ليست مجرد سلسلة من الملاحظات غير المترابطة، بل هي جهد تعاوني يفترض فيه المشاركون أن كل طرف يساهم بشكل مناسب في الحوار.

صاغ غرايس هذا الافتراض في "مبدأ التعاون(Cooperative Principle) "، الذي ينص على ما يلي: "اجعل مساهمتك في الحوار كما هو مطلوب، في المرحلة التي يحدث فيها، وبالغرض أو الاتجاه المقبول للتبادل الحواري الذي تشارك فيه .**(Grice, 1975, p. 45)** " هذا المبدأ ليس قاعدة أخلاقية، بل هو افتراض أساسي يمكن للمستمعين الاعتماد عليه لتفسير أقوال المتكلمين.

لدعم هذا المبدأ العام، اقترح غرايس أربع قواعد أو "مسلّمات حوارية (Conversational Maxims) " يتوقع المتحاورون (بوعي أو بغير وعي) أن يلتزم بها بعضهم البعض:

4-1- مسلّمات غرايس الحوارية

- **مسلّمة الكم:(Maxim of Quantity)**

1. اجعل مساهمتك غنية بالمعلومات قدر ما هو مطلوب (للأغراض الحالية للتبادل).
2. لا تجعل مساهمتك أغنى بالمعلومات من المطلوب. (أي: قل ما يكفي، ولا تقل أكثر من اللازم).

- **مسلّمة الكيف:(Maxim of Quality)**

حاول أن تكون مساهمتك صادقة.

1. لا تقل ما تعتقد أنه كذب.
2. لا تقل ما ليس لديك دليل كافٍ عليه.

)أي: قل الحقيقة.(

- **مسلّمة الصلة:(Maxim of Relation/Relevance)**

لتكن مساهمتك ذات صلة بالموضوع.

)أي: ابق في صلب الموضوع.(

- **مسلّمة الطريقة:(Maxim of Manner)**

كن واضحًا.

1. تجنب الغموض في التعبير.
2. تجنب الإبهام.
3. كن موجزًا (تجنب الإطناب غير الضروري).
4. كن مرتبًا.

من المهم أن نفهم أن الناس لا يتبعون هذه المسلّمات دائمًا بشكل صارم. في الواقع، فإن خرق هذه المسلّمات أو استغلالها بشكل متعمد هو ما يولد المعاني الضمنية، وهو ما يقودنا إلى مفهوم "الاستلزام الحواري."

5- الاستلزام الحواري(Conversational Implicature)

الاستلزام الحواري هو المفهوم المركزي في نظرية غرايس، وهو يشير إلى المعنى الذي يقصده المتكلم ضمنيًا دون أن يصرح به حرفيًا. ينشأ هذا المعنى عندما يفترض المستمع أن المتكلم، على الرغم من خرقه الظاهري لإحدى المسلّمات، لا يزال متعاونًا على مستوى أعمق. هذا الافتراض يدفع المستمع للبحث عن تفسير يجعل قول المتكلم متوافقًا مع مبدأ التعاون.

وفقًا لغرايس **(1975)**، عندما يخرق المتكلم إحدى المسلّمات بشكل واضح ومتعمد) وهو ما يسمى(flouting a maxim ، فإنه يرسل إشارة للمستمع بأن هناك معنى إضافيًا يجب استنتاجه. لنأخذ بعض الأمثلة:

- **خرق مسلّمة الكم:**

أ: "أين يسكن علي؟"

ب: "في مكان ما في شمال المدينة".

هنا، إجابة (ب) أقل إفادة مما هو مطلوب. يفترض (أ) أن (ب) متعاون ولكنه لا يعرف العنوان الدقيق، أو أنه لا يريد الكشف عنه. الاستلزام هو: "أنا لا أعرف بالضبط" أو "لا أستطيع أن أخبرك."

- **خرق مسلّمة الكيف (السخرية):**

)بعد أن تعثر صديقك وسقط بشكل مضحك(

أنت: "يا لك من رشيق"!

من الواضح أنك تقول شيئًا تعتقد أنه كاذب. المستمع يدرك هذا الخرق الصارخ ويستنتج المعنى المعاكس (الاستلزام): "أنت أخرق جدًا."

- **خرق مسلّمة الصلة:**

أ: "هل ستأتي إلى الحفلة الليلة؟"

ب: "لدي امتحان غدًا".

ظاهريًا، إجابة (ب) لا علاقة لها بالسؤال. لكن بافتراض التعاون، يستنتج (أ) أن وجود امتحان هو سبب لعدم المجيء إلى الحفلة. الاستلزام هو: "لا، لن آتي إلى الحفلة."

- **خرق مسلّمة الطريقة:**

أ: "ما رأيك في أداء المغنية؟"

ب: "لقد أصدرت سلسلة من الأصوات المتوافقة بشكل كبير مع النوتة الموسيقية للأغنية".

يستخدم (ب) لغة معقدة ومطولة بشكل غير ضروري لوصف الغناء. هذا الخرق لمسلّمة "كن موجزًا" يستلزم أن (ب) لا يريد أن يقول رأيه بصراحة (ربما لأنه سلبي)، فيلجأ إلى هذا الأسلوب المتحفظ. الاستلزام هو: "أداؤها كان جيدًا من الناحية التقنية ولكنه يفتقر إلى الإحساس."

توضح هذه الأمثلة كيف أن مبدأ التعاون ومسلّماته لا تصف فقط كيف نتحدث، بل توفر إطارًا لكيفية تفسيرنا للمعاني التي تكمن تحت سطح الكلمات .**(Yule, 1996)**

6- خلاصة

تمثل التداولية نقلة نوعية في الدراسات اللسانية، حيث حولت التركيز من بنية اللغة المجردة إلى استخدامها الفعلي في سياقات التواصل الحية. لقد رأينا كيف أن المعنى ليس مجرد خاصية كامنة في الكلمات، بل هو نتاج تفاعل معقد بين القول اللفظي، وقصد المتكلم، وسياق الموقف، والعمليات الاستدلالية التي يقوم بها المستمع.

بدأنا رحلتنا مع نظرية أفعال الكلام لجون أوستين، التي كشفت أننا "نفعل أشياء بالكلمات". لقد تعلمنا أن كل قول هو فعل ثلاثي الأبعاد: فعل لفظي، وفعل إنجازي، وفعل تأثيري **(Austin, 1962)**. ثم رأينا كيف قام جون سيرل بتطوير هذه النظرية، مقدمًا تصنيفًا منهجيًا للأفعال الإنجازية التي تشكل جوهر التواصل .**(Searle, 1969)** هذا الإطار التحليلي يسمح لنا بفهم الوظائف المتعددة التي تؤديها اللغة، من الإخبار والوعد إلى الأمر والاعتذار.

بعد ذلك، انتقلنا إلى مساهمة بول غرايس الحاسمة، المتمثلة في مبدأ التعاون والمسلّمات الحوارية. أوضحت نظرية غرايس الآلية التي نتمكن من خلالها من فهم المعاني الضمنية وغير المصرح بها، أو ما أسماه "الاستلزام الحواري .**(Grice, 1975)** "لقد أدركنا أن خرق المسلّمات الحوارية ليس فشلاً في التواصل، بل هو في كثير من الأحيان استراتيجية مقصودة لتوصيل معانٍ إضافية، مثل السخرية، أو التلميح، أو مراعاة مشاعر الآخرين.

في الختام، تقدم لنا التداولية الأدوات اللازمة لتحليل الطبقات العميقة من المعنى في تفاعلاتنا اليومية. إنها تذكرنا بأن اللغة ليست مجرد نظام من القواعد، بل هي نشاط إنساني اجتماعي هادف. من خلال فهم مبادئ التداولية، نصبح أكثر قدرة على تفسير مقاصد الآخرين، والتعبير عن مقاصدنا بفعالية أكبر، وتقدير الثراء والتعقيد المذهلين للتواصل البشري.

7- أسئلة للمناقشة

1. اشرح بكلماتك الخاصة الفرق بين علم الدلالة (Semantics) وعلم التداولية (Pragmatics)، مع تقديم مثال أصلي يوضح هذا الفرق.

2. حلل القول التالي: "هل يمكنك أن تناولني الملح؟" باستخدام نظرية أفعال الكلام. حدد الفعل اللفظي، والفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر، والفعل التأثيري المحتمل.
3. تخيل أنك سألت صديقك: "هل أعجبك الفيلم؟" فأجاب: "المؤثرات البصرية كانت مذهلة". باستخدام نظرية غرايس، أي مسلّمة حوارية تم خرقها هنا؟ وما هو الاستلزام الحواري الذي يمكنك استنتاجه من هذه الإجابة؟
4. قدم مثالاً على كل فئة من فئات أفعال الكلام الخمسة عند سيرل (التقريريات، التوجيهيات، التعهديات، التعبيرات، الإعلانيات). تأكد من أن أمثلتك تختلف عن تلك المذكورة في المحاضرة.
5. لماذا يلجأ الناس إلى استخدام أفعال الكلام غير المباشرة (مثل الطلب بصيغة سؤال) والاستلزام الحواري في تواصلهم اليومي بدلاً من التحدث بشكل مباشر وصريح دائمًا؟ اربط إجابتك بمفاهيم مثل الأدب وحفظ ماء الوجه (Politeness and Face-saving).
6. هل يمكن تطبيق مبدأ التعاون ومسلّمات غرايس على أشكال التواصل غير اللفظي (مثل لغة الجسد)؟ ناقش ذلك مع تقديم أمثلة.
7. ابحث عن أمثلة من البلاغة العربية (مثل الكناية أو التعريض) وقارنها بمفهوم الاستلزام الحواري. ما هي أوجه التشابه والاختلاف؟ (يمكن الاستعانة بمصدر مثل **الفاسي الفهري، 1999**).

8- قائمة المراجع

- الفاسي الفهري، عبد القادر. (1999). *اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية*. دار توبقال للنشر.
- Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford University Press.
- Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), *Syntax and semantics, Vol. 3: Speech acts* (pp. 41–58). Academic Press.

- Searle, J. R. (1969). *Speech acts: An essay in the philosophy of language*. Cambridge University Press.
- Yule, G. (1996). *Pragmatics*. Oxford University Press.

المحاضرة الحادية عشرة: اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

1- تمهيد

شهدت الدراسات اللسانية في النصف الثاني من القرن العشرين تحولًا منهجيًا ومعرفيًا عميقًا، تمثل في الانتقال من دراسة "الجملة" بوصفها الوحدة الكبرى للتحليل اللغوي، إلى دراسة "النص" أو "الخطاب" بوصفه الوحدة الفعلية للتواصل الإنساني. لقد أدرك اللسانيون أن المعنى لا يكتمل داخل حدود الجملة المعزولة، وأن التواصل الفعال لا يتحقق بمجرد رصف جمل صحيحة نحويًا بعضها فوق بعض. فاللغة في استخدامها الواقعي تتجاوز البنى الصورية لتصبح حدثًا تواصليًا متكاملًا، له مقاصده وسياقاته وأطرافه الفاعلة.

من رحم هذا التحول، وُلد فرعان معرفيان متكاملان هما "اللسانيات النصية (Text Linguistics)" و"تحليل الخطاب (Discourse Analysis)". سعى هذان الحقلان إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية مثل: ما الذي يجعل سلسلة من الجمل نصًا مترابطًا وليس مجرد كلام مفكك؟ وكيف نفهم الرسائل الضمنية التي تتجاوز ما هو مذكور صراحة؟ وكيف تُستخدم اللغة لتحقيق أهداف اجتماعية وتفاعلية معينة؟ لقد أصبح النص، بوصفه "حدثًا تواصليًا (De Beaugrande & Dressler, 1981)"، هو ميدان البحث الأساسي.

تهدف هذه المحاضرة إلى تقديم مدخل شامل لهذين المجالين الحيويين. سنبدأ بتحديد مفهوم "النص" في المنظور اللساني الحديث، ثم ننتقل إلى استعراض "معايير النصية" السبعة التي وضعها دي بوغراند ودريسلر، والتي تُعد الإطار النظري الأشهر لتحديد خصائص أي نص. بعد ذلك، سنتناول "تحليل الخطاب" كممارسة تطبيقية تدرس اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي. وسنخصص جزءًا مهما لمناقشة مفهومي "التماسك" و"الانسجام" باعتبارهما حجر الزاوية في بناء النصوص. وأخيرًا، سنختتم بخلاصة شاملة ومجموعة من الأسئلة التي تهدف إلى تعميق الفهم وإثارة النقاش.

2- مفهوم النص

إن أول خطوة نحو فهم اللسانيات النصية تكمن في تعريف وحدتها الأساسية: "النص". يتجاوز المفهوم اللساني للنص الفهم الشائع الذي يحصره في كونه شيئًا مكتوبًا. فالنص، من منظور لسانيات النص وتحليل الخطاب، هو أي مقطع لغوي، منطوقًا كان أم مكتوبًا، يشكل وحدة دلالية وتداولية متكاملة. يمكن أن يكون النص كتابًا كاملًا، أو قصيدة، أو محادثة يومية، أو خطبة سياسية، أو حتى إشارة مرور تحمل كلمة "قف". فالعبرة ليست بالحجم، بل بالوظيفة التواصلية التي يؤديها.

يُعرّف روبرت دي بوغراند وفولفغانغ دريسلر النص بأنه "حدث تواصلي تتحقق فيه سبعة معايير للنصية (**De Beaugrande & Dressler, 1981, p. 3**). "هذا التعريف يركز على الطبيعة الديناميكية والوظيفية للنص، فهو ليس مجرد بنية لغوية ساكنة، بل هو عملية تفاعلية تحدث في سياق معين بين منتج (متكلم/كاتب) ومستقبل (سامع/قارئ). وبهذا، ينتقل التركيز من "ما هو النص؟" إلى "متى وكيف يصبح الكلام نصًا؟."

من جهته، يرى الخولي (**2005**) أن النص هو "وحدة لغوية كبرى تتجاوز الجملة، وتتميز بالترابط الشكلي والدلالي، وتؤدي وظيفة تواصلية محددة في مقام معين" (ص. 23). يبرز هذا التعريف أهمية السياق أو "المقام" في تحديد نصية الملفوظ، فما قد يُعد نصًا في سياق معين قد لا يكون كذلك في سياق آخر. على سبيل المثال، قائمة مشتريات هي نص وظيفي في سياق التسوق، لكنها قد تفقد هذه الصفة إذا قُرئت في سياق مختلف دون غرض واضح.

وبناءً على ذلك، يمكن التمييز بين "النص (Text) "و"اللانص .(Non-text) "فاللانص هو مجموعة من الجمل التي قد تكون صحيحة نحويًا كل على حدة، لكنها تفتقر إلى الروابط الشكلية والمعنوية التي تجعل منها كلاً متكاملاً. على سبيل المثال، الجملتان: "الجو مشمس اليوم. ولد نيوتن عام 1643" لا تشكلان نصًا لغياب أي رابط منطقي أو دلالي بينهما، على الرغم من صحتهما النحوية. إن السمة الجوهرية للنص هي وحدته وتماسكه، وهو ما تقيسه معايير النصية التي سنناقشها تاليًا.

المجلس العلمي لكلية اللغة العربية وآدابها

3- معايير النصية (عند دي بوغراند ودريسلر)

لتحديد ما إذا كانت قطعة لغوية ما تشكل "نصًا" أم لا، اقترح دي بوغراند ودريسلر (1981) إطارًا نظريًا مكونًا من سبعة معايير أساسية. يجب أن تتوافر هذه المعايير بدرجة ما حتى يمكن اعتبار ملفوظ ما نصًا. تنقسم هذه المعايير إلى مجموعتين: معايير مرتبطة بالنص نفسه (السبك والانسجام)، ومعايير مرتبطة بمستخدمي النص (القصدية، المقبولية، الإعلامية، المقامية، التناص).

3-1- السبك أو التماسك الشكلي(Cohesion)

يشير السبك إلى مجموع العلاقات النحوية والمعجمية التي تربط بين مكونات النص السطحية (الكلمات والجمل). إنه "الغراء" الذي يربط أجزاء النص معًا على المستوى الشكلي ليجعلها تبدو كوحدة متصلة. وقد كانت دراسات هاليداي وحسن (1976) رائدة في تحديد آليات السبك، والتي تشمل:

- **الإحالة :(Reference)** استخدام الضمائر (هو، هي، هم)، وأسماء الإشارة (هذا، تلك)، وأدوات المقارنة للإشارة إلى عناصر مذكورة سابقًا (إحالة قبلية) أو لاحقًا (إحالة بعدية) في النص. مثال: "قرأتُ الكتاب .إنه مفيد جدًا."
- **الاستبدال :(Substitution)** إحلال كلمة (مثل: فعل، آخر) محل كلمة أو عبارة أخرى لتجنب التكرار. مثال: "هل تريد هذا القلم؟ لا، أريد واحدًا آخر."
- **الحذف :(Ellipsis)** حذف أجزاء من الجملة يمكن فهمها من السياق. مثال: "كم كتابًا قرأت؟ - ثلاثة) "الأصل: قرأت ثلاثة كتب.(
- **الربط :(Conjunction)** استخدام أدوات الربط (مثل: و، ف، ثم، لكن، لأن) لتوضيح العلاقة المنطقية بين الجمل (إضافة، سبب، نتيجة، تعارض).
- **التماسك المعجمي :(Lexical Cohesion)** ويتحقق عبر تكرار نفس اللفظة، أو استخدام مرادفاتها، أو أضدادها، أو كلمات تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي.

3-2- الحبك أو الانسجام الدلالي(Coherence)

إذا كان السبك يتعلق بالبنية السطحية، فإن الانسجام يتعلق بالبنية العميقة للنص، أي بعالم المعنى والمفاهيم. الانسجام هو ما يجعل النص "منطقيًا" ومفهومًا للقارئ أو السامع. إنه يعتمد

على الترابط المنطقي للأفكار وتسلسلها، وعلى قدرة المتلقي على ربط معلومات النص بمعرفته الخلفية عن العالم. قد يكون النص متماسكًا شكليًا (Cohesive) لكنه غير منسجم دلاليًا (Incoherent). على سبيل المثال: "اشتريت سيارة زرقاء. اللون الأزرق من الألوان الباردة. برودة الطقس تؤثر على المحاصيل الزراعية". هذا الكلام متماسك شكليًا (تكرار كلمة أزرق، برودة)، لكنه يفتقر إلى الانسجام لأنه يقفز بين موضوعات لا رابط بينها.

3-3- القصدية(Intentionality)

يتعلق هذا المعيار بهدف منتج النص (الكاتب/المتكلم). فالقصدية هي "عزم المنتج على إنشاء نص متماسك ومنسجم لتحقيق هدف تواصلي معين (De Beaugrande & Dressler, 1981, p. 7)". هذه الأهداف قد تكون متنوعة: الإخبار، الإقناع، التوجيه، التعبير عن المشاعر، وغيرها. بدون قصدية واضحة، قد يبدو الكلام عشوائيًا أو غير هادف، وبالتالي يفشل في أن يكون نصًا تواصليًا ناجحًا.

3-4- المقبولية(Acceptability)

المقبولية هي المعيار الموازي للقصدية، لكن من وجهة نظر متلقي النص. وتشير إلى "توقع المتلقي بأن ما يقرأه أو يسمعه هو نص متماسك ومنسجم وله فائدة أو صلة به (De Beaugrande & Dressler, 1981, p. 7)". إذا وجد القارئ أن النص غامض جدًا، أو مفكك، أو غير ذي صلة، فقد يرفضه ويرفض بذل الجهد الذهني اللازم لفهمه، مما يؤدي إلى فشل عملية التواصل.

3-5- الإعلامية أو الإخبارية(Informativity)

يقيس هذا المعيار درجة الجدة أو عدم المتوقع في معلومات النص. النص ذو الإعلامية المنخفضة جدًا (يحتوي على معلومات معروفة بالكامل) يكون مملًا وغير مفيد. والنص ذو الإعلامية المرتفعة جدًا (يحتوي على معلومات جديدة ومعقدة بالكامل) يكون صعب الفهم. النص الناجح هو الذي يوازن بين المعلومات المعروفة (التي تربطه بخبرة المتلقي) والمعلومات الجديدة (التي تقدم له إضافة معرفية).

3-6- المقامية(Situationality)

تشير المقامية إلى مدى ملاءمة النص للموقف أو السياق الذي أُنتج فيه. فلكل موقف تواصلي (محاضرة، محادثة عائلية، كتابة تقرير عمل) متطلباته اللغوية والأسلوبية. على سبيل المثال، استخدام لغة عامية في بحث علمي، أو لغة أكاديمية معقدة في حديث مع طفل، يجعل النص غير ملائم للمقام، وبالتالي يخل بنصيته. يؤكد الخولي (2005) أن المقام هو الذي يمنح النص معناه الكامل ويحدد طريقة تفسيره.

3-7- التناص(Intertextuality)

يعني التناص أن "فهم نص معين يعتمد على معرفة المتلقي بنصوص أخرى سابقة (De Beaugrande & Dressler, 1981, p. 10)." لا يوجد نص ينشأ من فراغ؛ فكل نص هو حلقة في سلسلة لا نهائية من النصوص. يتجلى التناص بشكل صريح في الاقتباس والإشارة، وبشكل ضمني في المحاكاة الساخرة، أو استعارة الأساليب، أو التلميح إلى أعمال معروفة. فهم قصيدة حديثة، على سبيل المثال، قد يتطلب معرفة سابقة بالتراث الشعري القديم الذي تتحاور معه.

4- تحليل الخطاب(Discourse Analysis)

تحليل الخطاب هو حقل دراسي أوسع من لسانيات النص، على الرغم من التداخل الكبير بينهما. فبينما تركز لسانيات النص بشكل كبير على البنية الداخلية للنص وآليات ترابطه (السبك والانسجام)، يهتم تحليل الخطاب بدراسة "اللغة قيد الاستعمال (language in use) "في سياقاتها الاجتماعية والتفاعلية الحقيقية. يعرّفه براون ويول (1983) بأنه "تحليل اللغة في الاستعمال(p. 1) "، وهو ما يعني أنه لا يكتفي بوصف البنى اللغوية، بل يسعى إلى فهم كيفية استخدام الناس للغة لتحقيق أغراض معينة، وبناء العلاقات، والتعبير عن الهويات، وممارسة السلطة.

يمكن القول إن تحليل الخطاب يطرح أسئلة "لماذا" و"كيف" الاجتماعية، بينما قد تميل لسانيات النص إلى التركيز على أسئلة "ماذا" البنيوية. فمحلل الخطاب لا يسأل فقط "ما هي أدوات الربط في هذا النص؟"، بل يسأل أيضًا: "لماذا اختار المتكلم أداة الربط 'لكن' بدلًا من 'و' في هذا السياق تحديدًا؟ وما الأثر الإقناعي أو الأيديولوجي لهذا الاختيار؟."

يتسم تحليل الخطاب بتعدد مناهجه وتنوعها، حيث يستعير أدواته من مجالات معرفية مختلفة كعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والدراسات الثقافية. ومن أبرز اتجاهاته:

- **نظرية أفعال الكلام (Speech Act Theory):** التي ترى أننا حين نتكلم لا نصف العالم فقط، بل ننجز أفعالًا (نعد، نأمر، نعتذر، نسأل).
- **تحليل المحادثة (Conversation Analysis):** وهو منهج دقيق يدرس بنية الحوار الطبيعي، مثل آليات أخذ الدور في الكلام، وكيفية بدء المحادثات وإنهائها.
- **التحليل النقدي للخطاب (Critical Discourse Analysis - CDA):** وهو اتجاه لا يكتفي بالوصف، بل يهدف إلى كشف علاقات القوة والهيمنة واللامساواة الاجتماعية كما تتجلى وتُعاد إنتاجها من خلال الخطاب. يحلل هذا الاتجاه، على سبيل المثال، خطاب وسائل الإعلام أو السياسيين لكشف الأيديولوجيات الخفية التي يروجون لها.

على سبيل المثال، عند تحليل خطاب سياسي، لا يكتفي محلل الخطاب بتحديد عناصره اللغوية، بل يبحث في كيفية بناء صورة "نحن" مقابل "هم"، وكيفية استخدام الاستعارات لتمرير رسائل معينة، وكيفية توظيف ضمائر المتكلم والمخاطب لخلق علاقة محددة مع الجمهور .(**Brown & Yule, 1983**) وبالمثل، يمكن لتحليل الخطاب أن يكشف عن آليات الانسجام الخفية في نص شعري، كما فعل سعيد (**2018**) في دراسته حول الشعر العربي الحديث، حيث بيّن كيف يخلق الشاعر انسجامًا لا يعتمد فقط على الأدوات اللغوية، بل على استدعاء رموز ثقافية وتاريخية مشتركة مع القارئ.

5- التماسك (السبك) والانسجام (الحبك): تفصيل وتوضيح

نظرًا للأهمية المركزية لمفهومي التماسك والانسجام في بناء أي نص، نجد من الضروري تخصيص هذا الجزء لمزيد من التفصيل والتوضيح. فهما يمثلان العمود الفقري للنص، أحدهما على المستوى الشكلي الظاهر (التماسك)، والآخر على المستوى الدلالي العميق (الانسجام).

5-1- آليات التماسك الشكلي (السبك)

كما ذكرنا سابقًا، التماسك هو مجموعة الوسائل اللغوية التي تستخدم لربط الجمل ببعضها البعض، مما يخلق نسيجًا لغويًا متصلًا. استنادًا إلى الإطار الذي وضعه هاليداي وحسن (**1976**)، يمكن تفصيل هذه الآليات مع أمثلة توضيحية:

المجلس العلمي لكلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
جامعة الجزائر

- **الإحالة :(Reference)** هي أبرز أدوات التماسك.
  - إحالة قبلية" :وصل المدير .كان هو أول الحاضرين". (الضمير "هو" يحيل إلى "المدير").
  - إحالة بعدية" :سأخبرك بهذا :النجاح يتطلب جهدًا". (اسم الإشارة "هذا" يحيل إلى الجملة اللاحقة).
- **الاستبدال (Substitution) والحذف :(Ellipsis)** وسيلتان اقتصاديتان لتجنب التكرار الممل.
  - استبدال" :لدي سيارة سريعة، وأخي لديه واحدة أبطأ". ("واحدة" تستبدل "سيارة").
  - حذف" :هل أنهيت واجبك؟ - نعم، أنهيت) ."حذف المفعول به "واجبي" المفهوم من السياق).
- **الربط :(Conjunction)** يوضح العلاقات المنطقية بين أجزاء النص.
  - إضافة" :درس الطالب بجد، وحصل على درجة عالية."
  - سببية" :لم يأتِ لأنه كان مريضًا."
  - تعارض" :الطقس بارد، لكنه مشمس."
- **التماسك المعجمي :(Lexical Cohesion)** يتحقق عبر شبكة المفردات في النص.
  - تكرار" :العلم نور. وبالعلم ترتقي الأمم."
  - مرادفات" :بدأ الدرس .كانت المحاضرة شيقة."
  - تضاد" :الفرق بين الليل والنهار واضح."
  - حقل دلالي" :دخل المريض إلى المستشفى، ففحصه الطبيب وأعطاه الدواء .")كلمات تنتمي لحقل الطب).

5-2- بناء الانسجام الدلالي (الحبك)

الانسجام، على عكس التماسك، ليس شيئًا موجودًا في النص بحد ذاته، بل هو شيء "يبنيه" القارئ في ذهنه أثناء عملية التلقي. إنه نتيجة التفاعل بين معلومات النص والمعرفة الخلفية للقارئ. يتحقق الانسجام من خلال:

- **وحدة الموضوع** :دوران النص حول فكرة محورية واحدة.
- **التسلسل المنطقي** :ترتيب الأفكار بشكل منطقي (زمني، سببي، من العام إلى الخاص، إلخ).
- **المعلومات المشتركة** :اعتماد النص على معرفة يفترض الكاتب أن القارئ يمتلكها.
- **السيناريوهات الذهنية** :(Schemas/Frames) وهي بنى معرفية نمطية في ذهننا عن المواقف والأحداث (مثل سيناريو "الذهاب إلى مطعم"). النص المنسجم يستدعي هذه السيناريوهات ويسير وفقها أو يكسرها بشكل هادف.

للتفريق بينهما، تخيل النص التالي: "فتحت الثلاجة. كان المصباح مضيئًا. نيوتن هو مكتشف الجاذبية". هذا النص متماسك شكليًا (إحالة بالضمير في "مصباحها" لو افترضنا، وتكرار)، لكنه غير منسجم تمامًا لغياب الوحدة الموضوعية والمنطقية. الانسجام هو ما يجعلنا نشعر بأن النص "له معنى" ككل.

6- خلاصة

في ختام هذه المحاضرة، يمكننا القول إن ظهور لسانيات النص وتحليل الخطاب يمثل نقلة نوعية في مسار الدراسات اللغوية، حيث تم تجاوز النظرة التجزيئية للغة المتمثلة في الجملة، إلى نظرة شمولية ترى اللغة في سياقها التواصلي الفعلي. لقد تعلمنا أن "النص" ليس مجرد مجموعة من الجمل، بل هو حدث تواصلي معقد، تتحكم في إنتاجه وتلقيه مجموعة من المعايير الدقيقة.

لقد استعرضنا الإطار النظري الذي قدمه دي بوغراند ودريسلر(**1981**) ، والذي يحدد سبعة معايير للنصية: السبك (التماسك الشكلي)، والحبك (الانسجام الدلالي)، والقصدية، والمقبولية، والإعلامية، والمقامية، والتناص. هذه المعايير مجتمعة هي التي تحول سلسلة من العلامات اللغوية إلى نص حي وفعال.

كما ميّزنا بين لسانيات النص، التي تهتم بالبنية الداخلية للنص وعوامل تماسكه، وتحليل الخطاب، الذي يتخذ منظورًا أوسع ليدرس اللغة كفعل اجتماعي، ويكشف عن علاقتها بالسلطة والهوية والأيديولوجيا .(**Brown & Yule, 1983**) ورأينا كيف أن المفهومين الأساسيين، التماسك والانسجام، يمثلان وجهين لعملة واحدة؛ فالتماسك هو الهيكل العظمي الشكلي للنص

الذي نراه ونلمسه عبر أدوات الربط والإحالة، بينما الانسجام هو الروح التي تسري في هذا الهيكل، والتي نبنيها في أذهاننا عبر الربط المنطقي والاستعانة بخبراتنا عن العالم (Halliday & Hasan, 1976; الخولي، 2005).

إن فهم هذه المفاهيم لا يساعدنا فقط على تحليل النصوص الموجودة بشكل أعمق، بل يمنحنا أيضًا الأدوات اللازمة لنكون منتجين أفضل للنصوص، سواء في كتاباتنا الأكاديمية، أو تواصلنا اليومي. فمعرفة آليات بناء النص المترابط والمنسجم هي جوهر الكفاءة التواصلية التي نسعى جميعًا لتحقيقها.

7- أسئلة للمناقشة

فيما يلي مجموعة من الأسئلة التي تهدف إلى تعميق النقاش حول موضوعات المحاضرة وتطبيقها عمليًا:

1. هل يمكن اعتبار محادثة قصيرة عبر تطبيق واتساب "نصًا" وفقًا لمعايير النصية السبعة؟ ناقش كل معيار على حدة (السبك، الحبك، القصدية، المقبولية، إلخ) في هذا السياق.
2. ابحث عن فقرة من مقال صحفي، وحلل أدوات التماسك (Cohesion) المستخدمة فيها (الإحالة، الربط، التكرار المعجمي، إلخ). ما هو الدور الذي تلعبه هذه الأدوات في ربط أفكار الفقرة؟
3. "يمكن لنص أن يكون متماسكًا (cohesive) دون أن يكون منسجمًا (coherent)". اشرح هذه العبارة وقدم مثالًا أصليًا (غير مذكور في المحاضرة) لتوضيح الفكرة.
4. اختر إعلانًا تجاريًا (مطبوعًا أو مرئيًا). كيف يطبق هذا الإعلان معيار "المقامية " (Situationality)و"القصدية (Intentionality) "للوصول إلى الجمهور المستهدف؟
5. ما الفرق الجوهري بين الطريقة التي قد يحلل بها لسانيٌّ نصيٌّ قصيدة شعرية، والطريقة التي قد يحللها بها محلل الخطاب النقدي(CDA) ؟

6. ناقش مفهوم "التناص (Intertextuality)." كيف يمكن لمعرفتك المسبقة بالقرآن الكريم أو الشعر الجاهلي أن تؤثر على فهمك وتفسيرك لقصيدة عربية حديثة؟ أعط أمثلة.

7. كيف يمكن للمعلمين الاستفادة من مفاهيم التماسك والانسجام لمساعدة الطلاب على تحسين مهاراتهم في الكتابة والتعبير؟

8- قائمة المراجع

- الخولي، محمد علي. (2005). *علم اللغة النصي: مدخل تطبيقي*. دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- سعيد، أحمد. (2018). آليات الانسجام في الخطاب الشعري العربي الحديث. *مجلة اللسانيات العربية*، *25*(2)، 45-78.
- Brown, G., & Yule, G. (1983). *Discourse analysis*. Cambridge University Press.
- De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981). *Introduction to text linguistics*. Longman.
- Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. Longman.

المحاضرة الثانية عشرة: اللسانيات الاجتماعية

تمهيد

تُعدّ اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics) فرعًا حيويًا من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة الجدلية والتفاعلية بين اللغة والمجتمع. ينطلق هذا العلم من فرضية أساسية مفادها أن اللغة ليست مجرد نظام مجرد من الرموز والقواعد، بل هي ظاهرة اجتماعية بامتياز، تتأثر بالبنى الاجتماعية وتؤثر فيها في آن واحد (مزياني، 2017). إنها مرآة تعكس ثقافة المجتمع، وعاداته، وتقاليده، وتفاوتاته الطبقية، وتغيراته التاريخية. لا يمكن تصور وجود لغة خارج سياقها الاجتماعي، فلكي توجد اللغة لا بد من مجموعة ناطقة بها، تتخذها وسيلة للتواصل والتعبير عن هويتها الجمعية (مومينون، 2021).

يعالج علم اللغة الاجتماعي الظواهر اللغوية بطريقة تكشف عن الروابط التي تجمعها بمختلف الظواهر الاجتماعية الأخرى. فهو يهتم بدراسة كيف ولماذا يتحدث الناس بشكل مختلف في سياقات اجتماعية متنوعة، وكيف يعبرون عن هوياتهم وانتماءاتهم من خلال اختياراتهم اللغوية. كما يهدف إلى تتبع تأثيرات التنوعات اللغوية فيما بينها، وكشف القواعد والأنماط المجتمعية التي تقيد السلوك اللغوي (مومينون، 2021). في هذه المحاضرة، سنتناول عددًا من المباحث الرئيسية في حقل اللسانيات الاجتماعية، بدءًا من العلاقة التأسيسية بين اللغة والمجتمع، مرورًا بمفاهيم التنوع اللغوي والازدواجية اللغوية التي تميز العديد من المجتمعات، وانتهاءً بدراسة آليات التغير اللغوي الاجتماعي ودوافعه.

1- اللغة والمجتمع

العلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة تكاملية وتأثير متبادل؛ فهما وجهان لعملة واحدة، إذ لا يوجد مجتمع دون لغة، ولا لغة دون مجتمع (مزياني، 2017). اللغة هي الوعاء الذي يحفظ ثقافة الأمة وتراثها، وهي الأداة التي تنقل المعارف والقيم والعادات والتقاليد عبر الأجيال. وفي المقابل، فإن البنية الاجتماعية تؤثر بشكل مباشر في البنية اللغوية والسلوك اللغوي للأفراد.

1-1- تأثير المجتمع في اللغة

يتجلى تأثير المجتمع في اللغة من خلال المتغيرات الاجتماعية التي تشكل السلوك اللغوي للأفراد. يدرس علماء اللغة الاجتماعيون كيف ترتبط الاختلافات اللغوية بعوامل اجتماعية محددة. وقد أثبتت الدراسات أن التنوعات اللغوية التي يستعملها المتكلمون تعكس أمورًا مثل الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو العرقي (جامعة بابل، د.ت.). من أبرز هذه العوامل:

- **الطبقة الاجتماعية :**غالبًا ما تستخدم الطبقات الاجتماعية المختلفة متغيرات لغوية مميزة، سواء على مستوى المفردات أو النطق أو التراكيب النحوية.
- **العمر :**تظهر اختلافات واضحة بين لغة الأجيال المختلفة. فالشباب يميلون إلى استخدام مفردات ومصطلحات جديدة (لغة الشباب) تعكس ثقافتهم الخاصة، والتي قد تختلف عن لغة كبار السن (جامعة بابل، د.ت.).
- **الجنس :(Gender)** أظهرت العديد من الدراسات وجود فروق بين كلام الرجال والنساء في مجتمعات مختلفة، حيث قد تميل النساء إلى استخدام صيغ لغوية تعتبر أكثر تهذيبًا أو أقرب إلى اللغة المعيارية في سياقات معينة، بينما قد يرتبط كلام الرجال بسمات أخرى.(Schroeder et al., 2017)
- **السياق الاجتماعي :**يغير المتكلمون طريقة كلامهم بناءً على الموقف التواصلي، مثل التحدث بشكل رسمي في مقابلة عمل، وبشكل غير رسمي مع الأصدقاء والعائلة.

1-2- تأثير اللغة في المجتمع (فرضية سابير-وورف)

لا يقتصر التأثير على اتجاه واحد، فاللغة بدورها تشكل المجتمع وتؤثر في رؤية أفراده للعالم. تُعرف هذه الفكرة بـ "فرضية النسبية اللغوية" أو "فرضية سابير-وورف". تنص النسخة القوية من هذه الفرضية (الحتمية اللغوية) على أن اللغة تحدد الفكر بشكل كامل، وأن الناس لا يمكنهم التفكير إلا ضمن حدود لغتهم. أما النسخة الضعيفة (النسبية اللغوية)، وهي الأكثر قبولًا اليوم، فتقترح أن اللغة تؤثر في طريقة تفكيرنا وتصورنا للواقع وتوجه انتباهنا إلى جوانب معينة من التجربة دون غيرها (ريال ساينسز، 2019). على سبيل المثال، اللغة التي تحتوي على مفردات غنية لوصف الألوان قد تجعل المتحدثين بها أكثر قدرة على تمييز درجات لونية دقيقة. وبذلك، لا تكون اللغة مجرد أداة لوصف الواقع، بل هي أداة لتشكيله وبنائه في أذهاننا.

2- التنوع اللغوي

يعد التنوع اللغوي سمة أساسية للمجتمعات البشرية، حيث يصعب الحديث عن أي مجتمع أحادي اللغة بشكل مطلق. يشير مصطلح التنوع اللغوي إلى "تعدد الصيغ المختلفة في لغة من اللغات" (عباد، 2024، ص. 55)، أو وجود لغات ولهجات متعددة داخل مجتمع واحد. وقد ساهمت عوامل عديدة مثل الحضارة، الأيديولوجيا، الاقتصاد، العولمة، والتاريخ في تعميق مظاهر التباين اللساني في التركيبة المجتمعية للدول (عباد، 2024).

2-1- أشكال التنوع اللغوي

يتخذ التنوع اللغوي أشكالًا متعددة، حيث يمكن أن تتعايش في المجتمع الواحد مستويات استخدام لغوي مختلفة، لكل منها وظيفتها الخاصة. من أبرز هذه الأشكال (حجازي، د.ت.):

- **اللغة الرسمية (Official Language):** هي اللغة المستخدمة في المجالات الرسمية للدولة، والتي ينص عليها الدستور غالبًا.
- **اللغة الوطنية (National Language):** هي اللغة التي تمثل الهوية التاريخية والثقافية للأمة.
- **لغة التعليم (Educational Language):** اللغة المستخدمة في المؤسسات التعليمية، والتي قد تختلف عن اللغة الرسمية في بعض الدول، خاصة في تدريس العلوم والطب.
- **اللهجات (Dialects):** وهي تنوعات إقليمية أو اجتماعية للغة واحدة، تختلف في النطق والمفردات وبعض القواعد.
- **لغة الأقليات (Minority Language):** لغة تستخدمها مجموعة إثنية أو ثقافية داخل الدولة، مثل الكردية في العراق أو الأمازيغية في شمال أفريقيا.

2-2- إيجابيات وسلبيات التنوع اللغوي

يحمل التنوع اللغوي في طياته فرصًا وتحديات للمجتمع. فمن الناحية الإيجابية، يعكس التنوع اللغوي ثراءً ثقافيًا، حيث تحمل كل لغة تاريخًا وتراثًا فريدًا، مما يثري المجتمع ويجعله أكثر تسامحًا وتقبلًا للاختلافات (جامعة كربلاء، د.ت.). كما أظهرت الدراسات أن الأفراد الذين يتحدثون أكثر من لغة يتمتعون بقدرات معرفية أفضل، مثل المرونة العقلية والقدرة على

حل المشكلات. اقتصاديًا، يفتح التعدد اللغوي فرصًا جديدة في مجالات السياحة والتجارة الدولية والترجمة (جامعة المستقبل، 2025).

من ناحية أخرى، قد يؤدي التنوع اللغوي إلى تحديات، أبرزها صعوبات التواصل بين الأفراد الذين لا يتشاركون نفس اللغة، مما قد يؤدي إلى سوء الفهم أو العزلة الاجتماعية. وفي بعض الحالات، قد يؤدي إلى صراعات ثقافية، خاصة إذا كانت هناك لغة واحدة مهيمنة تعتبر رمزًا للسلطة والامتياز، مما يسبب شعورًا بالتهميش لدى الأقليات اللغوية (جامعة كربلاء، د.ت.). إن إدارة التنوع اللغوي من خلال سياسات تعليمية وثقافية واعية هو السبيل لتحقيق التوازن بين الحفاظ على الهويات اللغوية وتعزيز الاندماج الاجتماعي.

3- الازدواجية اللغوية(Diglossia)

تُعد الازدواجية اللغوية من أبرز الظواهر اللسانية والاجتماعية التي تميز العديد من المجتمعات، وخاصة المجتمعات العربية. وهي مفهوم رئيسي في حقل اللسانيات الاجتماعية، يشير إلى موقف لغوي اجتماعي يتنافس فيه مستويان من لغة واحدة، لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف (حريولي، 2024).

3-1- تعريف المفهوم وتاريخه

صاغ اللساني الأمريكي تشارلز فيرغسون (Charles Ferguson) مصطلح "الازدواجية اللغوية (Diglossia) "في مقاله الشهير عام 1959. وعرفها بأنها "وضع لغوي مستقر نسبيًا توجد فيه، بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة، لغة أخرى راقية ومتوارثة، تكتسب بالتعليم الرسمي وتستخدم في معظم الأغراض المكتوبة والرسمية ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية" (مقتبس في إغبارية، د.ت.؛ وأقلام الهند، د.ت.).

في السياق العربي، تتمثل هذه الظاهرة في التعايش بين مستويين لغويين:

- **المستوى العالي :(High Variety - H)** وهو اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم والتراث والأدب والتعليم والإعلام الرسمي والخطابات السياسية.
- **المستوى المنخفض :(Low Variety - L)** وهو اللهجات العامية المختلفة (المصرية، الشامية، الخليجية، المغاربية، إلخ)، وهي اللغة المكتسبة طبيعيًا منذ الطفولة وتستخدم في التواصل اليومي والحياة الأسرية والمواقف غير الرسمية.

من المهم التمييز بين الازدواجية اللغوية (Diglossia) والثنائية اللغوية (Bilingualism).فالازدواجية تعني استخدام مستويين من اللغة نفسها (مثل الفصحى والعامية)، بينما الثنائية تعني استخدام لغتين مختلفتين من أصلين مختلفين (مثل العربية والفرنسية) (حريولي، 2024).

3-2- خصائص الازدواجية اللغوية

حدد فيرغسون مجموعة من الخصائص التي تميز الوضع الازدواجي، والتي تنطبق بشكل كبير على اللغة العربية (أقلام الهند، د.ت.):

1. **الوظيفة (Function):** هناك توزيع وظيفي واضح بين المستويين. يُستخدم المستوى العالي (الفصحى) في السياقات الرسمية والراقية، بينما يُستخدم المستوى المنخفض (العامية) في السياقات اليومية وغير الرسمية.
2. **المكانة (Prestige):** يحظى المستوى العالي بمكانة مرموقة وتقدير كبير، حيث يُنظر إليه على أنه اللغة "الأجمل" و"الأكثر منطقية"، بينما يُنظر إلى المستوى المنخفض على أنه "أدنى" أو "غير صحيح."
3. **التراث الأدبي (Literary Heritage):** يرتبط المستوى العالي بتراث أدبي عريق ومكتوب يحظى بالاحترام، بينما يكون التراث الأدبي للمستوى المنخفض (مثل الأدب الشعبي) شفويًا بشكل أساسي.
4. **الاكتساب (Acquisition):** يُكتسب المستوى المنخفض (العامية) بشكل طبيعي في المنزل كلغة أم، بينما يُكتسب المستوى العالي (الفصحى) من خلال التعليم الرسمي في المدارس.
5. **التقعيد النحوي (Standardization):** المستوى العالي مقنن بشكل دقيق، حيث توجد قواميس وكتب نحو تصف قواعده بشكل صارم. أما المستوى المنخفض، فنادرًا ما تتم دراسة قواعده أو تقنينها.

3-3- آثار الازدواجية اللغوية في العالم العربي

تترك الازدواجية اللغوية آثارًا عميقة على مختلف جوانب الحياة في المجتمعات العربية، وتثير جدلاً واسعًا بين الباحثين والمفكرين حول طبيعة هذه الآثار، هل هي سلبية أم إيجابية.

أ. الآثار التعليمية:

تعتبر الآثار التعليمية من أبرز التحديات التي تفرضها الازدواجية. فالطفل العربي يدخل المدرسة وهو يتحدث العامية(L) ، ليجد نفسه فجأة مطالبًا بتعلم القراءة والكتابة والتعبير بلغة مختلفة نسبيًا، وهي الفصحى .(H) هذه الفجوة بين لغة البيت ولغة المدرسة تخلق صعوبات جمة، منها (إغبارية، د.ت.؛ مؤسسة الملكة رانيا، 2020):

- **صعوبة تعلم القراءة والكتابة :**يواجه الأطفال صعوبة في الربط بين الرموز المكتوبة (الفصحى) والأصوات التي يعرفونها (العامية)، مما يؤدي إلى ضعف التحصيل اللغوي.
- **ضعف مهارات التعبير :**يجد الكثير من الطلاب صعوبة في التعبير عن أفكارهم بالفصحى بنفس الطلاقة التي يعبرون بها بالعامية، مما يؤثر على أدائهم الأكاديمي في جميع المواد، وليس فقط في اللغة العربية.
- **ازدواجية نفسية :**قد يشعر الطالب بنوع من الانفصام بين عالمين لغويين، عالم البيت غير الرسمي وعالم المدرسة الرسمي، مما قد يؤثر على ثقته بنفسه وقدرته على التواصل.

وتشير دراسة مغربية إلى أن حوالي 70% من طلاب المرحلة الابتدائية لا يفهمون محتوى الكتب المدرسية فهمًا كافيًا بسبب التباعد بين الفصحى والعامية (إغبارية، د.ت.).

ب. الآثار الثقافية والاجتماعية:

تمتد آثار الازدواجية إلى الهوية والثقافة. فالفصحى تمثل رمزًا للوحدة العربية والإسلامية، ووعاءً للتراث الحضاري والديني. أما اللهجات العامية، فتمثل الهويات المحلية والذاكرة الثقافية الشعبية لكل منطقة (إغبارية، د.ت.). هذا الوضع يخلق جدلاً مستمرًا بين فريقين:

- **دعاة الفصحى :**يرون في العاميات خطرًا يهدد وحدة الأمة وتراثها، ويدعون إلى ضرورة التمسك بالفصحى في جميع مجالات الحياة.
- **أنصار العاميات :**يرون في اللهجات تعبيرًا حيًا وصادقًا عن واقع الناس، ويدعون إلى الاعتراف بدورها الوظيفي وربما استخدامها في التعليم والإبداع.

في الإعلام، نجد خلطًا واضحًا بين المستويين، حيث يلجأ مقدمو البرامج إلى ما يسمى بـ "العربية الوسطى" أو "لغة بيضاء" في محاولة للوصول إلى أكبر شريحة من الجمهور العربي، وهي لغة تقترب من الفصحى في تراكيبها ولكنها تتبنى مفردات ونطقًا أقرب إلى العاميات المتعلمة (إغبارية، د.ت.).

4- التغير اللغوي الاجتماعي

اللغة كائن حي يتطور ويتغير باستمرار، وهي ليست ظاهرة ثابتة بل ديناميكية. يُعرَّف التغير اللغوي بأنه "كل تغير حاصل لخصائص اللغة عبر الزمن لفظيًا كان أو معنويًا، صوتيًا أو حرفيًا" (ويكيبيديا، د.ت.). هذا التغير ليس عشوائيًا، بل هو نتاج تفاعل معقد بين اللغة والعوامل الاجتماعية المحيطة بها. يرى علماء اللغة الاجتماعيون أن التغير الاجتماعي يتبعه حتمًا تغير في اللغة المستعملة، فهي مرآة له (شريط، 2014).

4-1- عوامل التغير اللغوي الاجتماعي

تتعدد العوامل التي تدفع اللغة إلى التغير، ويمكن تصنيفها إلى عوامل داخلية (تتعلق ببنية اللغة نفسها) وعوامل خارجية (تتعلق بالمجتمع). تركز اللسانيات الاجتماعية على العوامل الخارجية، ومن أبرزها:

- **التغير الاجتماعي والثقافي** :إن تغير أشكال الحياة وظهور مفاهيم واختراعات جديدة يتطلب مصطلحات جديدة للتعبير عنها. فالتطورات التي تطرأ على البناء الاجتماعي والثقافي في مجتمع ما تنعكس مباشرة على نظامه اللغوي (شريط، 2014).
- **التكنولوجيا ووسائل الإعلام الرقمي** :أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر، تيك توك) ثورة في طريقة التواصل، مما أدى إلى تسريع وتيرة التغير اللغوي. ظهرت مصطلحات جديدة، واختصارات) مثل(LOL ، واستخدام مكثف للرموز التعبيرية(Emojis) ، ونشوء لغات هجينة مثل "العربيزي" (الكتابة العربية بأحرف لاتينية وأرقام). هذه المنصات الرقمية تخلق أسلوبًا غير رسمي للتواصل يؤثر على اللغة المستخدمة خاصة بين الشباب.(IJSI, 2025)
- **الهجرة والاحتكاك اللغوي** :يؤدي اتصال لغة بلغة أخرى من خلال الهجرة أو التجارة أو الغزو إلى ظاهرة "الاقتراض اللغوي"، حيث تستعير لغة ما مفردات أو تراكيب من

لغة أخرى. هذه الكلمات المقترضة قد تخضع لتغييرات صوتية وصرفية لتتكيف مع نظام اللغة الجديدة (صافية زفنكي، 2021).

- **العوامل الاجتماعية (العمر، الجنس، الطبقة :**(كما ذكرنا سابقًا، تلعب هذه المتغيرات دورًا في نشر التغيرات اللغوية. غالبًا ما يكون الشباب هم رواد التغيير اللغوي، حيث يتبنون استخدامات جديدة تنتشر تدريجيًا في المجتمع. وقد أظهرت الدراسات أن النساء في بعض المجتمعات قد يكنّ سباقات إلى تبني الصيغ اللغوية الجديدة المرموقة (Schroeder et al., 2017).

4-2- أنواع التغير اللغوي

يطال التغير اللغوي جميع مستويات اللغة، من الأصوات إلى المعاني والتراكيب. ويمكن تلخيص أبرز أنواع التغير فيما يلي:

أ. التغير الصوتي:(Phonetic Change)

هو تغير يطرأ على نطق الأصوات اللغوية. على سبيل المثال، اندثار بعض الأصوات بين الأسنان (مثل الثاء والذال والظاء) في بعض اللهجات العربية الحديثة وتحولها إلى أصوات لثوية (س، ز، ض). كما تشمل الظواهر الصوتية الإبدال (استبدال صوت بآخر)، والقلب المكاني (تغيير ترتيب الأصوات في الكلمة)، والنحت (دمج كلمتين في كلمة واحدة مثل "ليش" التي هي نحت من "لأي شيء") (خلف، 2025).

ب. التغير المعجمي:(Lexical Change)

يتعلق هذا التغير بمفردات اللغة، ويشمل دخول كلمات جديدة (Neologisms) أو موت كلمات قديمة .(Archaism) الاقتراض من لغات أخرى هو المصدر الرئيسي للكلمات الجديدة، بالإضافة إلى الاشتقاق والنحت وتركيب الكلمات الموجودة.

ج. التغير الدلالي:(Semantic Change)

هو تغير يطرأ على معنى الكلمة بمرور الزمن. وهو من أكثر أنواع التغير شيوعًا، وله عدة أشكال (نسيم، 2025؛ الخماش، د.ت.):

- **تخصيص الدلالة :**يصبح معنى الكلمة أضيق وأكثر تحديدًا. مثال: كلمة "الحج" كانت تعني "القصد" بشكل عام، ثم تخصصت لتعني قصد مكة في وقت محدد.

- **تعميم الدلالة** :يتوسع معنى الكلمة ليشمل دلالات أوسع. مثال: كلمة "البأس" كانت تعني الشدة في الحرب، ثم أصبحت تعني كل شدة.
- **رقي الدلالة :(Amelioration)** يتحسن معنى الكلمة ويصبح أكثر إيجابية. مثال: كلمة "شاطر" كانت تعني قديمًا المحتال أو قاطع الطريق، وأصبحت اليوم تعني الذكي والمجتهد.
- **انحطاط الدلالة :(Pejoration)** يتدهور معنى الكلمة ويصبح أكثر سلبية. مثال: كلمة "الحاجب" كانت تعني منصبًا رفيعًا في الدولة، لكنها قد تستخدم اليوم بمعنى أقل مكانة.

د. التغير النحوي والصرفي:(Grammatical/Morphological Change)

هو تغير يطال قواعد اللغة وتراكيبها أو صيغ الكلمات. من أمثلته في اللهجات العربية المعاصرة التخلي عن نظام الإعراب الموجود في الفصحى، وتغير صيغ الجمع أو تصريفات الأفعال. على سبيل المثال، استخدام صيغة "بيكتبوا" بدلاً من "يكتبون" في بعض اللهجات.

إن فهم آليات التغير اللغوي الاجتماعي يساعدنا على إدراك أن اللغة ليست كيانًا جامدًا يجب "حمايته" من التغيير، بل هي نظام حيوي يتكيف مع احتياجات المتحدثين به وتغيرات مجتمعهم.

5- خلاصة

تناولت هذه المحاضرة المبادئ الأساسية لعلم اللغة الاجتماعي، مؤكدة على العلاقة العضوية التي لا تنفصم بين اللغة والمجتمع. لقد رأينا كيف أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي نسيج اجتماعي معقد يعكس هوياتنا، وثقافاتنا، وبنياتنا الاجتماعية، ويشارك في تشكيلها في الوقت ذاته. اللغة تتأثر بالمتغيرات الاجتماعية مثل الطبقة، والعمر، والجنس، والسياق، كما أنها تؤثر في نظرتنا للعالم من خلال الأطر التصورية التي تفرضها، كما تقترح فرضية النسبية اللغوية.

استعرضنا مفهوم التنوع اللغوي كسمة طبيعية للمجتمعات البشرية، بما يحمله من ثراء ثقافي وفرص معرفية، وما يطرحه من تحديات تتعلق بالتواصل والاندماج الاجتماعي. ثم تعمقنا في دراسة ظاهرة الازدواجية اللغوية، التي تمثل حالة خاصة من التنوع اللغوي، وهيمنت على الواقع اللغوي العربي. لقد حللنا تعريف فيرغسون وخصائصه، ورأينا كيف أن

التعايش بين الفصحى (المستوى العالي) والعاميات (المستوى المنخفض) يترك آثارًا عميقة، خاصة في مجال التعليم، حيث تشكل الفجوة بين لغة البيت ولغة المدرسة تحديًا كبيرًا للمتعلمين.

أخيرًا، تطرقنا إلى حتمية التغير اللغوي الاجتماعي، موضحين أن اللغة كائن حي يتطور باستمرار استجابة لعوامل اجتماعية وثقافية وتكنولوجية. لقد حللنا كيف أن ظواهر مثل الهجرة، والعولمة، وانتشار الإعلام الرقمي، تدفع اللغة نحو التجدد على كافة المستويات: الصوتية، والمعجمية، والدلالية، والنحوية. إن فهم هذه الديناميكيات ليس مجرد ترف أكاديمي، بل هو ضرورة لفهم مجتمعاتنا والتخطيط لمستقبل لغاتنا بشكل واعٍ، يوازن بين الحفاظ على التراث ومتطلبات العصر.

6- أسئلة للمناقشة

1. انطلاقًا من واقعك اليومي، كيف تلاحظ تأثير الازدواجية اللغوية (الفصحى والعامية) على تعليمك وحياتك الاجتماعية؟ هل تعتبرها مشكلة أم مصدر إثراء؟ ولماذا؟
2. ناقش تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية. اذكر أمثلة لمصطلحات أو تراكيب لغوية جديدة ظهرت بسبب هذه الوسائل، وحلل ما إذا كانت هذه التغيرات إيجابية أم سلبية من وجهة نظرك.
3. "اللغة مرآة المجتمع". حلل هذه المقولة بتقديم أمثلة من مجتمعك توضح كيف تعكس اللغة المستخدمة متغيرات اجتماعية مثل العمر، أو الجنس(Gender) ، أو الطبقة الاجتماعية.
4. هل تعتقد أن فرضية "سابير-وورف" تنطبق على اللغة العربية؟ كيف يمكن للمفردات والتراكيب الخاصة باللغة العربية أن تشكل طريقة تفكير المتحدثين بها ورؤيتهم للعالم؟ قدم أمثلة.
5. في ضوء التحديات التي يفرضها التنوع اللغوي والازدواجية، ما هي السياسات اللغوية التي تقترحها للمؤسسات التعليمية والإعلامية في العالم العربي لتحسين المهارات اللغوية لدى الناشئة مع الحفاظ على الهوية الثقافية؟

7- قائمة المراجع

- إغبارية، فاطمة أبوواصل. (د.ت.) *الازدواجية اللغوية في العالم العربي: الواقع، التحديات، والآفاق*. منظمة همسة سماء للثقافة والفنون. تم الاسترجاع من https://hamsaat.co/archives/238713
- حريولي، عبد الحق. (2024). الازدواجية اللغوية - دراسة في المصطلح. *مجلة المعرفة، 20*، 543-555.
- شريط، الأخضر. (2014). التغير اللغوي والتغير الاجتماعي وأثره في العلوم الإنسانية. *مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية*. تم الاسترجاع من https://asjp.cerist.dz/en/downArticle/283/2/1/22721
- مزياني، صبرينة. (2017). *علاقة اللغة بالمجتمع – واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع*. المركز الديمقراطي العربي. تم الاسترجاع من https://democraticac.de/?p=47670
- Schroeder, S. R., Lam, T. Q., & Marian, V. (2017). Linguistic predictors of cultural identification in bilinguals. *Applied Linguistics, 38*(4), 463–488. https://doi.org/10.1093/applin/amv049

المحاضرة الثالثة عشرة: اللسانيات الإدراكية

1- تمهيد

تُمثّل اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) ثورة هادئة في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة، حيث تقدم منظورًا بديلًا للتيارات الشكلانية التي هيمنت على المشهد اللساني في القرن العشرين، وعلى رأسها المدرسة التوليدية التحويلية بزعامة نعوم تشومسكي. نشأ هذا الاتجاه في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي، وهو لا يُعدّ نظرية موحدة بقدر ما هو حركة فكرية واسعة تشترك في مجموعة من المبادئ الأساسية. الفرضية الجوهرية التي تنطلق منها اللسانيات الإدراكية هي أن اللغة ليست قدرة ذهنية مستقلة (autonomous faculty) ومنفصلة عن القدرات الإدراكية الأخرى، بل هي جزء لا يتجزأ من الإدراك البشري العام. **(Evans, 2007)**

بعبارة أخرى، يرى اللسانيون الإدراكيون أن المبادئ التي تحكم بنية اللغة واستخدامها هي انعكاس مباشر لعمليات إدراكية أعم وأشمل، مثل التصنيف(categorization) ، والانتباه (attention)، والذاكرة(memory) ، والتفكير المجرد .(abstract reasoning) ومن ثم، فإن دراسة اللغة لا يمكن أن تكتمل بمعزل عن فهم كيفية عمل العقل البشري، وكيفية تفاعله مع العالم عبر الجسد والحواس. هذا الربط الوثيق بين اللغة والإدراك والخبرة الجسدية هو ما يمنح هذا الاتجاه طابعه المميز وعمقه التحليلي.

على عكس النظريات التي تركز على البنية الصورية المجردة للجملة، تهتم اللسانيات الإدراكية بالمعنى في المقام الأول، وتعتبره ظاهرة مفهومية (conceptual) وليست مجرد شروط صدق منطقية. فالمعنى يُبنى ويُفسّر (construed) في العقل بناءً على نماذج معرفية وخبرات متجسدة. من أبرز رواد هذا التيار جورج لايكوف، ورونالد لانغاكر، وليونارد تالمي، وجيل فوكونييه، ومارك تيرنر، الذين أسهموا في تطوير مفاهيم مركزية مثل الاستعارة المفهومية، والنماذج الإدراكية المثالية، وقواعد الإدراك، والفضاءات الذهنية. في هذه المحاضرة، سنتناول المبادئ الأساسية للسانيات الإدراكية، مع التركيز على علاقة اللغة بالعقل، ونظرية الاستعارة المفهومية، والنماذج الإدراكية، وإسهامات جورج لايكوف المحورية في هذا المجال.

2- اللغة والعقل

العلاقة بين اللغة والعقل هي حجر الزاوية في الفكر اللساني الإدراكي. فبدلًا من النظر إلى اللغة كـ "عضو ذهني" مستقل له قواعده الخاصة المنفصلة عن بقية العمليات العقلية، كما تفترض المدرسة التوليدية، تقترح اللسانيات الإدراكية أن اللغة هي نافذة نطل منها على تنظيم العقل البشري. إنها نتاج مباشر لقدراتنا الإدراكية العامة وتتأثر بها وتؤثر فيها في آن واحد. يمكن تلخيص هذا المنظور في مبدأين أساسيين:

أولًا: فرضية التجسيد(The Embodiment Thesis)

ترى هذه الفرضية أن طبيعة أجسادنا وتفاعلاتنا الحسية-الحركية مع البيئة المحيطة تشكل فهمنا للعالم، بما في ذلك المفاهيم المجردة. فالعقل ليس معالجًا رمزيًا مجردًا ومنفصلًا عن الجسد، بل هو "متجسد .(embodied) "على سبيل المثال، مفاهيمنا المكانية الأساسية مثل (فوق/تحت)، (أمام/خلف)، (داخل/خارج) ليست مفاهيم فطرية مجردة، بل هي نابعة من خبرتنا الجسدية المباشرة: لدينا رؤوس في الأعلى وأقدام في الأسفل، ونتحرك إلى الأمام، ونترك الأشياء داخل حاويات. هذه الخبرات الجسدية البدائية تصبح أساسًا لبناء مفاهيم أكثر تجريدًا عبر آليات مثل الاستعارة المفهومية .(Lakoff & Johnson, 1980)فعندما نقول "أنا في قمة السعادة" (فوق) أو "مررت بفترة عصيبة" (تحت)، فإننا نستخدم فهمنا المكاني المتجسد لهيكلة مفهوم مجرد كالعاطفة.

ثانيًا: المعنى كبناء مفهومي(Meaning as Conceptualization)

ترفض اللسانيات الإدراكية فكرة أن المعنى هو علاقة مباشرة بين الكلمات والعالم الخارجي (دلالة مرجعية موضوعية). بدلًا من ذلك، يُنظر إلى المعنى على أنه عملية "بناء" أو "تشكيل" ذهني يقوم بها المتكلم والمستمع. يسمي رونالد لانغاكر هذه العملية بـ "التصوير" أو "التشكيل " (construal)، وهي تشير إلى قدرتنا على تصور الموقف نفسه بطرق مختلفة .(Langacker, 1987)على سبيل المثال، يمكن وصف العلاقة بين نقطتين (أ) و(ب) بالقول "أ فوق ب" أو "ب تحت أ". الحدث في العالم واحد، لكن المنظور اللغوي يختلف، وهذا الاختلاف في المنظور هو جزء أساسي من المعنى.

هذا يعني أن القواعد النحوية نفسها ليست مجرد قيود شكلية، بل هي أدوات مفهومية تحمل معنى. فاختيار المبني للمعلوم بدلًا من المبني للمجهول، على سبيل المثال، ليس مجرد تحويل شكلي، بل هو تغيير في توزيع الانتباه والتركيز على الفاعل أو المفعول. وهكذا، تصبح القواعد (Grammar)نفسها ذات معنى، فهي وسيلتنا لتنظيم المفاهيم وتقديمها من منظور معين. هذا الموقف يتناقض بشكل حاد مع الفصل التقليدي بين المعجم (lexicon) والقواعد(syntax) ، حيث يرى الإدراكيون أنهما يشكلان متصلًا واحدًا من الوحدات الرمزية التي تربط الشكل بالمعنى .**(Langacker, 1987)**

3- الاستعارة المفهومية

تُعد نظرية الاستعارة المفهومية (Conceptual Metaphor Theory) واحدة من أهم وأشهر إسهامات اللسانيات الإدراكية، وقد قدمها لأول مرة جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما الثوري "استعارات نحيا بها (Metaphors We Live By) "عام 1980. قلبت هذه النظرية الفهم التقليدي للاستعارة رأسًا على عقب؛ فبعد أن كانت تُعتبر مجرد أداة بلاغية أو زخرف لغوي يقتصر استخدامه على الشعر والأدب، أصبحت في منظور اللسانيات الإدراكية آلية إدراكية أساسية نستخدمها للتفكير والفهم والتعبير عن المفاهيم المجردة.

جوهر النظرية هو أن الاستعارة ليست مجرد ظاهرة لغوية، بل هي ظاهرة مفهومية في الأساس. إنها عملية فهم مجال مفهومي ما) يُسمى المجال الهدف(Target Domain ، والذي غالبًا ما يكون مجردًا أو غير منظم، من خلال هيكل مجال مفهومي آخر) يُسمى المجال المصدر(Source Domain ، والذي عادة ما يكون أكثر تحديدًا ومادية ومستمدًا من خبرتنا الجسدية المباشرة .**(Lakoff & Johnson, 1980)**

الاستعارة المفهومية: الجدال حرب(ARGUMENT IS WAR)

المثال الكلاسيكي الذي استخدمه لايكوف وجونسون لتوضيح فكرتهما هو استعارة "الجدال حرب". نحن لا نتحدث عن الجدال بمصطلحات الحرب فحسب، بل نفكر فيه ونعيشه بهذه الطريقة. هذه الاستعارة المفهومية تتجلى في عدد لا يحصى من التعبيرات اللغوية اليومية:

- ادعاءاتك لا يمكن **الدفاع** عنها.(indefensible)
- لقد **هاجم** كل نقطة ضعف في حجتي.

- انتقدتُ منطقه، **فانهار** تمامًا.
- لم **أفز** في ذلك الجدال قط.
- استخدم **استراتيجية** جديدة في النقاش.
- إذا استخدمت هذا التكتيك، فسوف **يقضي** عليك.

هذه التعبيرات ليست مجرد طرق شعرية لوصف الجدال، بل هي انعكاس لبنية مفهومية عميقة في أذهاننا. نحن نفهم الجدال من خلال مفاهيم الحرب: هناك طرفان متعارضان، ومواقف يجب الدفاع عنها، وهجمات ومضادة، واستراتيجيات، وفي النهاية فائز وخاسر. هذه الاستعارة لا تؤثر فقط على لغتنا، بل على سلوكنا أيضًا؛ فنحن قد نرفع أصواتنا، ونقاطع الآخرين، ونشعر بالانتصار أو الهزيمة بعد انتهاء الجدال.

منهجية الاستعارات المفهومية وتجلياتها

تتميز الاستعارات المفهومية بأنها منهجية(systematic) ، بمعنى أنها لا تقتصر على ربط مفهومين بشكل عشوائي، بل تنقل شبكة من العلاقات والتضمينات من المجال المصدر إلى المجال الهدف. في استعارة "الجدال حرب"، يتم نقل عناصر مثل (المهاجم، المدافع، الأسلحة، الأرض، النصر، الهزيمة) من مجال الحرب إلى مجال الجدال. هذا النقل المنهجي هو ما يسمح لنا بالاستدلال والتفكير في المجال الهدف.

تنتشر الاستعارات المفهومية في جميع جوانب حياتنا، وتشكل أساس فهمنا للكثير من المفاهيم المجردة. وقد وثّق الباحثون في اللسانيات الإدراكية مئات من هذه الاستعارات، ومنها:

- **النظريات أبنية** :(THEORIES ARE BUILDINGS) تتجلى في تعبيرات مثل: "هذه النظرية لها **أساس** متين"، "حجته **انهارت**"، "نحن بحاجة إلى **بناء** إطار عمل جديد"، "هل **تدعم** الأدلة نظريتك؟". هذه الاستعارة تسمح لنا بفهم النظريات ككيانات تحتاج إلى أساس ودعم وهيكل متماسك.
- **الحب رحلة** :(LOVE IS A JOURNEY) نرى هذه الاستعارة في قولنا: "انظر إلى أي **مدى وصلنا**"، "نحن عند **مفترق طرق**"، "علاقتهما لا **تسير إلى أي مكان**"، "لقد **تعثرت** علاقتهما". هنا، يُفهم تطور العلاقة العاطفية من خلال مسار الرحلة بما فيه من بداية ونهاية وعقبات.

- **الأفكار طعام** :(IDEAS ARE FOOD) تتضح في تعبيرات مثل: "دعني **أمضغ** هذه الفكرة"، "لا أستطيع **هضم** كل هذه النظريات"، "هذه فكرة **نصف ناضجة**"، "كتابه مليء بالأفكار التي يمكن للمرء أن **يغوص فيها حقًا**."

وقد أشار باحثون عرب إلى أن هذه الظاهرة ليست حكرًا على اللغات الأوروبية، بل هي سمة إنسانية عالمية، مع وجود اختلافات ثقافية في اختيار المجالات المصدر. على سبيل المثال، يرى أبو زيد (2015) أن تحليل الاستعارات في اللغة العربية يكشف عن بنى مفهومية مشابهة، مما يؤكد أن الاستعارة هي أداة إدراكية أساسية لفهم العالم والتعبير عنه، وليست مجرد سمة لغوية سطحية)**أبو زيد، 2015** .(إن دراسة الاستعارة المفهومية تفتح الباب أمام فهم أعمق لكيفية تنظيم العقل البشري للمعرفة وتأثير الثقافة على الفكر.

4- النماذج الإدراكية المثالية(Idealized Cognitive Models)

مفهوم "النماذج الإدراكية المثالية (Idealized Cognitive Models - ICMs) "هو مفهوم أساسي آخر في اللسانيات الإدراكية، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بأعمال جورج لايكوف. يُعرَّف النموذج الإدراكي المثالي بأنه بنية معرفية معقدة ومنظمة تمثل فهمنا لمجال معين من الخبرة. هذه النماذج هي بمثابة "نظريات شعبية (folk theories) "حول كيفية عمل الأشياء في العالم، وهي تشكل الخلفية التي نستند إليها لفهم معاني الكلمات والجمل .**(Evans, 2007)** إنها "مثالية (idealized) "لأنها غالبًا ما تكون تبسيطًا للواقع المعقد، ولا تنطبق بالضرورة على كل حالة فردية. ومع ذلك، فهي ضرورية لعملية التصنيف والفهم السريع. تعمل هذه النماذج كإطارات (frames) أو سيناريوهات (scripts) تنظم معرفتنا. على سبيل المثال، لدينا نموذج إدراكي لمفهوم "مطعم"، يتضمن عناصر مثل (الزبائن، النادل، قائمة الطعام، الطاولات، المطبخ، دفع الفاتورة) وتسلسلًا نموذجيًا للأحداث (الدخول، الجلوس، الطلب، الأكل، الدفع، المغادرة). عندما نسمع جملة "ذهبت إلى المطعم أمس"، يتم تنشيط هذا النموذج بأكمله في أذهاننا، مما يسمح لنا بفهم الموقف واستنتاج معلومات غير مذكورة صراحة.

مثال: نموذج "الأعزب(Bachelor) "

المثال الكلاسيكي الذي يستخدم لتوضيح فكرة النماذج الإدراكية هو كلمة "أعزب " (bachelor).التعريف القاموسي البسيط لكلمة "أعزب" هو "رجل بالغ غير متزوج". ومع

ذلك، هذا التعريف لا يفسر استخدامنا الفعلي للكلمة. نحن لا نطلق عادةً لقب "أعزب" على البابا، أو على رجل مطلق، أو على شاب يبلغ من العمر 18 عامًا، على الرغم من أنهم جميعًا ينطبق عليهم التعريف الحرفي.

يفسر لايكوف ذلك بأن كلمة "أعزب" لا تُفهم بمعزل عن نموذج إدراكي مثالي للزواج والمجتمع. هذا النموذج يتضمن افتراضات مثل:

- الناس يتزوجون في سن معينة.
- الزواج علاقة طويلة الأمد بين رجل وامرأة (في النموذج التقليدي).
- الأشخاص المؤهلون للزواج يختارون الزواج طواعية.

بناءً على هذا النموذج، فإن "الأعزب" النموذجي هو رجل في سن الزواج، مؤهل له، ولكنه لم يتزوج بعد. البابا لا ينطبق عليه هذا النموذج لأنه، بحكم منصبه، غير مؤهل للزواج. الرجل المطلق كان متزوجًا، لذا فهو يقع خارج المسار النموذجي. والشاب الصغير لم يصل بعد إلى السن النموذجي للزواج. هذا يوضح أن معنى الكلمة ليس مجرد مجموعة من السمات الدلالية الثابتة، بل هو مرتبط ببنية معرفية أكبر وأكثر تعقيدًا)**الخولي، 2001** .(النماذج الإدراكية المثالية هي التي تمنح الكلمات ثراءها الدلالي وتفسر الفروق الدقيقة في استخدامها.

5- جورج لايكوف(George Lakoff)

يُعتبر جورج لايكوف(George Lakoff) ، المولود عام 1941، أحد أبرز مؤسسي حركة اللسانيات الإدراكية وأكثرهم تأثيرًا. بدأ لايكوف مسيرته الأكاديمية كطالب لدى نعوم تشومسكي، وكان في البداية من أنصار الدلالة التوليدية، وهي فرع من المدرسة التوليدية سعى إلى دمج المعنى بشكل أعمق في التحليل النحوي. ومع ذلك، سرعان ما أدت أبحاثه إلى قطيعة تامة مع النموذج التشومسكي الشكلي، ودفعه إلى تطوير بديل جذري يركز على دور الإدراك والخبرة الجسدية في تشكيل اللغة.

إسهاماته الرئيسية:

يمكن تلخيص إسهامات لايكوف المحورية في عدة نقاط أساسية شكلت ملامح اللسانيات الإدراكية الحديثة:

1. **نظرية الاستعارة المفهومية** :كما ذكرنا سابقًا، يُعد كتابه المشترك مع مارك جونسون، "استعارات نحيا بها" (1980)، علامة فارقة في الدراسات اللغوية والفلسفية. لقد أثبت أن الاستعارة ليست مجرد أداة بلاغية، بل هي آلية تفكير أساسية تمكننا من فهم المفاهيم المجردة. هذا العمل لم يؤثر فقط في اللسانيات، بل امتد تأثيره إلى مجالات مثل علم النفس، والعلوم السياسية، والذكاء الاصطناعي .**(Lakoff & Johnson, 1980)**
2. **النماذج الإدراكية المثالية :(ICMs)** طور لايكوف هذا المفهوم في كتابه "النساء والنار والأشياء الخطرة" (1987) لشرح كيفية تنظيم المعرفة في أذهاننا. لقد تحدى فكرة التصنيف الأرسطية الكلاسيكية القائمة على الشروط الضرورية والكافية، وأظهر أن الفئات البشرية غالبًا ما تكون منظمة حول نماذج أولية (prototypes) وتأثيرات شعاعية، وأن فهمنا للكلمات يعتمد على هذه النماذج المعرفية المعقدة.
3. **العقل المتجسد :(The Embodied Mind)** كان لايكوف من أشد المدافعين عن فكرة أن العقل ليس منفصلًا عن الجسد. في أعمال لاحقة مثل "فلسفة في الجسد" (1999)، الذي كتبه أيضًا مع جونسون، جادل بأن العقل البشري، بما في ذلك قدرته على التفكير المجرد، يتشكل بشكل أساسي من خلال طبيعة أجسادنا، وأنظمتنا الحسية-الحركية، وتفاعلاتنا مع العالم المادي.
4. **التحليل السياسي** :طبق لايكوف مبادئ اللسانيات الإدراكية، وخاصة مفاهيم الاستعارة والتأطير(framing) ، على الخطاب السياسي. في كتب مثل "لا تفكر في فيل "! (Don't Think of an Elephant!)، أوضح كيف يستخدم السياسيون أطرًا لغوية واستعارات معينة لتشكيل الرأي العام والتأثير على الناخبين على مستوى اللاوعي. لقد جادل بأن السياسة ليست مجرد مسألة حقائق وسياسات، بل هي معركة على الأطر المفهومية التي يهيمن من خلالها طرف على النقاش العام.

باختصار، يمثل جورج لايكوف نقلة نوعية في فهم اللغة، حيث أعاد توجيه التركيز من البنية الصورية المجردة إلى المعنى المتجذر في التجربة الإنسانية والإدراك. لقد فتحت أعماله آفاقًا جديدة لدراسة العلاقة المعقدة بين اللغة والعقل والمجتمع.

6- خلاصة

تقدم اللسانيات الإدراكية رؤية شاملة ومتكاملة للغة، تعتبرها جزءا لا يتجزأ من الإدراك البشري. على عكس المقاربات الشكلانية التي تعزل اللغة في وحدة مستقلة، يصر اللسانيون الإدراكيون على أن بنية اللغة واستخدامها لا يمكن فهمهما إلا بالرجوع إلى العمليات العقلية العامة مثل التصنيف، والانتباه، والذاكرة، والخبرة الجسدية.

لقد استعرضنا في هذه المحاضرة عددًا من المبادئ والمفاهيم الأساسية لهذا التيار. بدأنا بتوضيح العلاقة الجوهرية بين اللغة والعقل، مؤكدين على فرضية "التجسيد" التي ترى أن خبراتنا الحسدية تشكل أساس مفاهيمنا، وأن المعنى ليس كيانًا موضوعيًا بل هو عملية "بناء مفهومي (conceptualization) "ديناميكية.

ثم انتقلنا إلى أحد أهم إنجازات اللسانيات الإدراكية، وهي نظرية الاستعارة المفهومية التي طورها لابكوف وجونسون. تعلمنا أن الاستعارة ليست مجرد زخرف لغوي، بل هي آلية إدراكية حيوية نستخدمها لفهم وتكوين المفاهيم المجردة من خلال ربطها بمجالات خبراتية ملموسة ومألوفة. استعارات مثل "الجدال حرب" و"النظريات أبنية" ليست مجرد تعابير، بل هي تواقد على كيفية تنظيم عقولنا للمعرفة **(Lakoff & Johnson, 1980)**

كما تناولنا مفهوم النماذج الإدراكية المثالية (ICMs)، وهي الهياكل المعرفية التي ننظم فهمنا للعالم وتشكل الخلفية التي نستند منها الكلمات معانيها. مثال "الأعزب" يوضح بجلاء كيف أن المعنى يتجاوز التعريفات القاموسية البسيطة ليعتمد على نظرياتنا الشعبية حول كيفية عمل المجتمع.

أخيرًا، سلطنا الضوء على الدور المحوري لجورج لابكوف، الذي لم يقتصر إسهامه على وضع الأسس النظرية للسانيات الإدراكية، بل امتد ليشمل تطبيق هذه المبادئ على مجالات حيوية مثل التحليل السياسي، مما يبرهن على أهمية هذا الحقل وقدرته على تفسير ظواهر تتجاوز حدود اللغة بمعناها الضيق.

في الختام، يمكن القول إن اللسانيات الإدراكية قد أعادت المعنى إلى مركز الدراسات اللغوية، وربطت اللغة بشكل وثيق بالتجربة الإنسانية في أبعادها الإدراكية والجسدية والثقافية، مما يفتح آفاقًا واسعة للبحث والفهم في طبيعة اللغة والعقل البشري.

7- أسئلة للمناقشة

تهدف هذه الأسئلة إلى تعميق فهم المحاضرة وتشجيع التفكير النقدي حول مبادئ اللسانيات الإدراكية وتطبيقاتها.

1. ما هو الفرق الجوهري بين منظور اللسانيات الإدراكية ومنظور اللسانيات التوليدية (التشومسكية) فيما يتعلق بطبيعة اللغة وعلاقتها بالعقل؟
2. اشرح بمصطلحاتك الخاصة مفهوم "التجسيد .(Embodiment) "كيف يمكن لخبراتنا الجسدية (مثل الحركة في الفضاء) أن تشكل مفاهيم مجردة مثل "الزمن" أو "العلاقات الاجتماعية"؟ قدم أمثلة من اللغة اليومية.
3. نظرية الاستعارة المفهومية ترى أن "الجدال حرب". هل يمكنك التفكير في استعارة مفهومية بديلة للجدال، مثل "الجدال رقصة" أو "الجدال بناء تعاوني"؟ كيف سيغير ذلك من طريقة حديثنا عن الجدال وسلوكنا فيه؟
4. حاول تحديد استعارة مفهومية شائعة في اللغة العربية لم يتم ذكرها في المحاضرة (مثلاً: "الزمن مال"، "الحياة مسرحية"). قدم أمثلة لغوية تدعم تحليلك، وحدد المجال المصدر والمجال الهدف.
5. ناقش مثال "الأعزب" وعلاقته بالنماذج الإدراكية المثالية .(ICMs) هل يمكنك التفكير في كلمة أخرى في اللغة العربية لا يمكن فهم معناها بالكامل دون الرجوع إلى نموذج إدراكي مثالي معين؟ (مثلاً: كلمة "يتيم" أو "شهيد").
6. طبق جورج لايكوف أفكاره على الخطاب السياسي. كيف يمكن لمفهوم "التأطير " (framing)أن يفسر الاختلاف في وجهات النظر حول قضايا اجتماعية مثل "الهجرة" أو "البيئة"؟
7. إلى أي مدى تعتقد أن اللغة التي نستخدمها تشكل تفكيرنا؟ هل نحن سجناء استعاراتنا المفهومية، أم يمكننا تغييرها بوعي؟ ناقش هذا السؤال في ضوء ما تعلمته عن اللسانيات الإدراكية.

8- قائمة المراجع

- أبو زيد، أحمد .(2015) *الاستعارة في الفكر اللساني المعاصر: دراسة في ضوء اللسانيات الإدراكية* .دار الفكر العربي.
- الخولي، محمد علي .(2001) *علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- Evans, V. (2007). *A Glossary of Cognitive Linguistics*. Edinburgh University Press.
- Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). *Metaphors We Live By*. University of Chicago Press.
- Langacker, R. W. (1987). *Foundations of Cognitive Grammar, Vol. 1: Theoretical Prerequisites*. Stanford University Press.

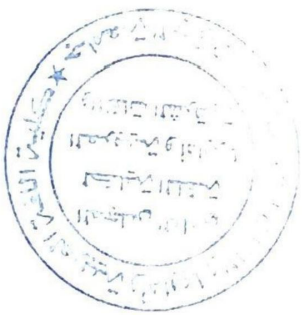

المحاضرة الرابعة عشرة: مقاربة مقارنة للنظريات اللغوية

1- تمهيد

تُعد دراسة النظريات اللغوية حجر الزاوية في فهمنا لطبيعة اللغة البشرية، هذه الظاهرة المعقدة التي تميز الإنسان عن سائر الكائنات. لم تكن اللسانيات الحديثة مسارًا خطيًا واحدًا، بل هي حقل غني بتيارات ومدارس فكرية متباينة، قدمت كل منها منظورًا فريدًا ومنهجية خاصة لتحليل اللغة. إن الهدف من هذه المحاضرة ليس تفضيل نظرية على أخرى، بل تزويد الطالب بالأدوات النقدية اللازمة لمقارنة هذه النظريات وتقييمها، وفهم مساهمة كل منها في الصورة الكلية للمعرفة اللسانية.

على مر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، برزت ثلاث مدارس كبرى هيمنت على المشهد اللساني: البنيوية، والتوليدية، والوظيفية. تمثل كل مدرسة من هذه المدارس ثورة مفاهيمية في طريقة النظر إلى اللغة؛ فالبنيوية ركزت على اللغة كنظام مغلق من العلامات، والتوليدية نظرت إليها كقدرة ذهنية فطرية، بينما اهتمت الوظيفية باللغة كأداة للتواصل في سياقاتها الاجتماعية. إن فهم الافتراضات الأساسية لكل نظرية، وموضوع دراستها، ومنهجيتها، هو الخطوة الأولى نحو تقييم نقدي لنقاط قوتها وضعفها)الزياني، 2021.(

سنستعرض في هذه المحاضرة هذه المدارس الثلاث في مقارنة مفصلة، ثم ننتقل إلى تحليل نقدي لمكامن القوة والضعف في كل منها. بعد ذلك، سنلقي نظرة على آفاق البحث اللساني المعاصر الذي يسعى لتجاوز الانقسامات التقليدية نحو نماذج أكثر تكاملًا وشمولية. وأخيرًا، سنقوم بمراجعة عامة للمفاهيم الأساسية تحضيرًا للتقييم النهائي، مع طرح مجموعة من الأسئلة للنقاش والتفكير.

2- مقارنة بين البنيوية، التوليدية، والوظيفية

لفهم الاختلافات الجوهرية بين هذه المدارس، يجب أن نتناول كلًا منها من حيث موضوع الدراسة (ماذا تدرس؟)، والمنهجية (كيف تدرسه؟)، والهدف النهائي (لماذا تدرسه؟).

2-1- المدرسة البنيوية(Structuralism)

نشأت البنيوية في مطلع القرن العشرين مع أعمال اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، وتُعتبر بمثابة التأسيس الفعلي للسانيات الحديثة كعلم مستقل.

- **موضوع الدراسة** :موضوع الدراسة الأساسي في البنيوية هو "اللغة(Langue)" أي النظام اللغوي المجرد والمشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، وليس "الكلام " (Parole)الفردي والمتغير. ترى البنيوية اللغة كنظام من العلامات(Signs) ، حيث تتحدد قيمة كل عنصر (علامة) من خلال علاقاته مع العناصر الأخرى داخل النظام)الخالدي، 2018 .(فكلمة "قط" لا تكتسب معناها في ذاتها، بل من خلال تميزها عن "كلب" و"فأر" وغيرها من الكلمات في نفس الحقل الدلالي.
- **المنهجية** :تعتمد البنيوية على المنهج الوصفي التزامني(Synchronic) ، أي دراسة اللغة في نقطة زمنية محددة كنظام ثابت، مع إهمال تطورها التاريخي (Diachronic) الذي كان محور اهتمام اللسانيات التاريخية المقارنة في القرن التاسع عشر. تقوم المنهجية على تقطيع الخطاب إلى وحداته الصغرى (صوتيات، صرفيات) وتحليل العلاقات التركيبية (Syntagmatic) والاستبدالية (Paradigmatic) التي تربط بينها.
- **الهدف** :الهدف هو الكشف عن البنية الكامنة للنظام اللغوي. تسعى البنيوية إلى تحديد القواعد والقوانين الداخلية التي تحكم هذا النظام، معتبرةً اللغة ظاهرة اجتماعية مستقلة عن الفرد وعن العالم الخارجي.

من أبرز مفاهيمها: ثنائية (الدال/المدلول)، (اللغة/الكلام)، (التزامني/التاريخي)، ومبدأ اعتباطية العلامة اللغوية. لقد أرست البنيوية دعائم التحليل العلمي للغة، لكنها واجهت انتقادات لكونها تتجاهل الجانب الإبداعي للغة ودور المتكلم والسياق.

2-2- المدرسة التوليدية التحويلية (Generative-Transformational Grammar)

ظهرت المدرسة التوليدية في منتصف القرن العشرين على يد اللغوي الأمريكي نعوم تشومسكي، وشكلت ثورة حقيقية ضد البنيوية السلوكية التي كانت سائدة في أمريكا.

- **موضوع الدراسة** :تحول موضوع الدراسة من "اللغة" كنظام اجتماعي إلى "الكفاءة اللغوية(Linguistic Competence) "، وهي المعرفة الضمنية غير الواعية التي يمتلكها المتكلم الأصلي بلغته، والتي تمكنه من إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل الجديدة. يميز تشومسكي بين هذه الكفاءة المجردة و"الأداء اللغوي (Linguistic Performance)" ، وهو الاستخدام الفعلي للغة في مواقف حقيقية، والذي قد يتأثر بعوامل خارجية كالذاكرة والتعب.
- **المنهجية** :المنهجية توليدية واستنباطية. تهدف إلى بناء "قواعد (Grammar) " صورية دقيقة يمكنها "توليد (Generate) "جميع الجمل النحوية الممكنة في لغة ما، واستبعاد جميع الجمل غير النحوية. تفترض هذه القواعد وجود مستويين للتحليل: "البنية العميقة (Deep Structure) "التي تمثل المعنى الدلالي الأساسي، و"البنية السطحية (Surface Structure) "التي تمثل الشكل الصوتي النهائي للجملة. وتربط بينهما "قواعد تحويلية.(Miller, 2020) (Transformational Rules) "
- **الهدف** :الهدف النهائي ليس مجرد وصف لغة معينة، بل تفسير قدرة الإنسان على اكتساب اللغة. تسعى التوليدية إلى الكشف عن "القواعد الكلية (Universal Grammar)" ، وهي المبادئ الفطرية المشتركة بين جميع اللغات البشرية، والتي تكون مبرمجة في الدماغ البشري منذ الولادة. وبهذا، أعادت التوليدية ربط اللسانيات بعلم النفس والبيولوجيا.

2-3- المدرسة الوظيفية(Functionalism)

تمثل المدرسة الوظيفية تيارًا واسعًا يضم اتجاهات متعددة، لكنها تشترك في رفض الفصل التام بين البنية اللغوية والوظيفة التواصلية. من أبرز روادها مايكل هاليداي (M.A.K. Halliday)ونظريته المعروفة بـ "النحو الوظيفي النظامي (Systemic Functional Grammar)".

- **موضوع الدراسة** :موضوع الدراسة هو اللغة أثناء الاستخدام الفعلي، أي "النص " (Text)أو "الخطاب (Discourse) "في سياقه الاجتماعي والثقافي. لا تفصل

الوظيفية بين الكفاءة والأداء، بل ترى أن بنية اللغة قد تشكلت وتطورت عبر الزمن لتلبية الحاجات التواصلية للمستخدمين .(Halliday & Matthiessen, 2014)

- **المنهجية** :المنهجية وظيفية-تفسيرية. تحلل كيف تقوم التراكيب اللغوية المختلفة (كالاختيار بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول، أو استخدام أنواع مختلفة من الجمل) بأداء وظائف معينة. يرى هاليداي أن اللغة تؤدي ثلاث وظائف كبرى (Metafunctions)في آن واحد: الوظيفة الفكرية (Ideational) لتمثيل التجربة، والوظيفة التفاعلية (Interpersonal) لبناء العلاقات الاجتماعية، والوظيفة النصية (Textual)لتنظيم الرسالة.
- **الهدف** :الهدف هو تفسير "لماذا تكون اللغة على ما هي عليه". تسعى الوظيفية إلى إظهار كيف أن بنية اللغة تعكس الوظائف التي تؤديها. إنها ترى اللغة موردًا لصناعة المعنى (a resource for making meaning) وليس مجرد مجموعة من القواعد الصورية.

3- نقاط القوة والضعف

كل نظرية من هذه النظريات قدمت إسهامات جليلة، لكنها في الوقت نفسه لم تخلُ من جوانب قصور دفعت بالبحث اللساني إلى الأمام.

3-1- المدرسة البنيوية

نقاط القوة:

- **التأسيس العلمي** :نجحت البنيوية في تحويل دراسة اللغة من مجرد تأملات فلسفية إلى علم وصفي دقيق له منهجيته ومصطلحاته الخاصة، مما منح اللسانيات استقلاليتها كحقل معرفي)الخالدي، 2018.(
- **المنهجية الصارمة** :قدمت أدوات تحليلية قوية (مثل التحليل إلى المكونات المباشرة) لا تزال مستخدمة حتى اليوم في مجالات مثل الصوتيات والصرف.
- **مفهوم النظام** :فكرة أن اللغة نظام متكامل تتحدد فيه قيمة كل عنصر بعلاقاته مع العناصر الأخرى كانت فتحًا عظيمًا وأثرت في مجالات أخرى غير اللسانيات كالأنثروبولوجيا والنقد الأدبي.

نقاط الضعف:

- **النظرة الساكنة** :تركيزها على المنهج التزامني الصرف جعلها عاجزة عن تفسير التغير اللغوي وديناميكياته.
- **إهمال المعنى والسياق** :في تركيزها على الشكل والبنية، أهملت البنيوية إلى حد كبير دراسة المعنى (الدلالة) ودور السياق التواصلي في تحديده.
- **تجاهل الإبداع اللغوي** :لم تستطع تفسير قدرة المتكلم على إنتاج وفهم جمل لم يسمعها من قبل، حيث بدت اللغة في منظورها كقائمة مغلقة من الوحدات والقواعد.

2-3- المدرسة التوليدية

نقاط القوة:

- **تفسير الإبداع** :قدمت تفسيرًا قويًا للإبداع اللغوي من خلال مفهوم القواعد التوليدية التي تسمح بإنتاج عدد لا نهائي من الجمل.
- **العمق التفسيري** :لم تكتفِ بالوصف، بل سعت إلى التفسير من خلال ربط اللغة بالقدرات الذهنية الفطرية للإنسان، مما فتح آفاقًا للبحث في علم النفس اللغوي والبيولوجيا اللغوية.
- **النزعة الكلية (Universalism)**: لفتت الانتباه إلى الخصائص المشتركة بين اللغات البشرية، وقدمت فرضية "القواعد الكلية" كإطار نظري طموح لتفسير هذه الخصائص .(Miller, 2020)

نقاط الضعف (المدرسة التوليدية):

- **المثالية المفرطة** :تعرض مفهوم "المتكلم-المستمع المثالي" لانتقادات شديدة، حيث يتجاهل تمامًا التباين اللغوي، وأخطاء الأداء، والعوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤثر في استخدام اللغة)الزياني، 2021.(
- **إهمال السياق والوظيفة** :بفصلها الحاد بين الكفاءة والأداء، أهملت المدرسة التوليدية في مراحلها الأولى دور السياق والوظيفة التواصلية في تشكيل البنية اللغوية.

- **التعقيد والصورية** :أصبحت النماذج التوليدية (خاصة في مراحلها المتقدمة مثل البرنامج الأدنى) مجردة وصورية للغاية، مما جعل التحقق التجريبي من فرضياتها أمرًا صعبًا.

3-3- المدرسة الوظيفية

نقاط القوة:

- **الواقعية والشمولية** :تتعامل مع اللغة الحقيقية المستخدمة في سياقات واقعية، مما يجعلها أكثر ارتباطًا بالواقع التواصلي للإنسان.
- **ربط البنية بالوظيفة** :قدمت تفسيرات مقنعة لكثير من الظواهر النحوية من خلال ربطها بالوظائف التي تؤديها، وهو ما أغفلته النظريات الصورية.
- **القابلية للتطبيق** :أثبتت النماذج الوظيفية فعاليتها الكبيرة في مجالات تطبيقية مثل تحليل الخطاب، والترجمة، وتعليم اللغات، واللسانيات الحاسوبية (خاصة في توليد النصوص) .(Halliday & Matthiessen, 2014)

نقاط الضعف:

- **التعقيد الوصفي** :يمكن أن تكون نماذج التحليل الوظيفي (مثل شبكات الاختيار في نحو هاليداي) معقدة للغاية وصعبة التطبيق بشكل منهجي.
- **ضعف القدرة التنبؤية** :يرى النقاد أنها أقل قدرة على التنبؤ بالجمل النحوية الممكنة مقارنة بالقواعد التوليدية الصارمة. هي تفسر ما هو موجود أكثر مما تتنبأ بما هو ممكن.
- **صعوبة التعميم** :نظرًا لتركيزها على السياق، قد يكون من الصعب استخلاص مبادئ كلية صارمة وقابلة للتعميم على جميع اللغات بنفس درجة الثقة التي تدعيها التوليدية.

يظهر هذا التحليل أن كل نظرية تسلط الضوء على جانب مختلف من جوانب اللغة المعقدة، وأن نقاط ضعف نظرية ما غالبًا ما تكون هي نقاط القوة في نظرية أخرى، مما يفتح الباب أمام إمكانية التكامل بينها.

4- آفاق البحث اللساني المعاصر

لم يعد المشهد اللساني المعاصر يتميز بالانقسامات الحادة التي سادت في القرن العشرين. بدلًا من ذلك، نشهد توجهًا متزايدًا نحو التكامل بين المناهج وظهور تيارات جديدة تستفيد من إرث المدارس الكلاسيكية وتتجاوزها في نفس الوقت.

4-1- نحو التكامل بين المناهج

بدأ العديد من اللسانيين يدركون أن الفصل بين البنية والوظيفة، أو بين المعرفة والاستخدام، هو فصل مصطنع. ظهرت اتجاهات تسعى للجمع بين الصرامة الصورية للتوليدية والاهتمام الوظيفي بالسياق والمعنى. على سبيل المثال، تطورت نماذج مثل "قواعد بنية العبارة الموجهة بالرأس (HPSG) "التي تدمج معلومات صرفية ونحوية ودلالية غنية ضمن بنية صورية واحدة، مما يجعلها أقرب إلى التحليل الوظيفي مع الحفاظ على الدقة التوليدية.

4-2- اللسانيات المعرفية(Cognitive Linguistics)

تُعد اللسانيات المعرفية من أبرز التيارات المعاصرة، وقد نشأت كرد فعل على التوليدية. ترفض اللسانيات المعرفية فكرة وجود "وحدة لغوية" مستقلة في الدماغ (كما تفترض القواعد الكلية)، وترى بدلًا من ذلك أن القدرة اللغوية هي جزء لا يتجزأ من القدرات المعرفية العامة للإنسان، مثل الإدراك والذاكرة والانتباه. تفترض أن القواعد النحوية ليست فطرية، بل هي "بناءات (Constructions) "يتم تعلمها وتجريدها من خلال تجربة استخدام اللغة. وبهذا، فهي تجمع بين الاهتمام بالبنية (مثل التوليدية) والاهتمام بالمعنى والاستخدام (مثل الوظيفية(، ولكن ضمن إطار معرفي يركز على كيفية تمثيل اللغة في الذهن)فضل، 2019.(

4-3- لسانيات المدونات(Corpus Linguistics)

أحدثت لسانيات المدونات ثورة منهجية في البحث اللساني. فمن خلال تحليل كميات هائلة من البيانات اللغوية الحقيقية (نصوص ومحادثات) المحفوظة في "مدونات (Corpora) " حاسوبية، أصبح بإمكان اللسانيين اختبار الفرضيات النظرية بشكل تجريبي. لقد أظهرت الأبحاث القائمة على المدونات أن العديد من الظواهر التي كان يُعتقد أنها نادرة أو غير نحوية هي في الواقع شائعة في الاستخدام الفعلي، وأن تكرار الأنماط اللغوية يلعب دورًا حاسمًا في اكتساب اللغة واستخدامها. تدعم لسانيات المدونات بشكل خاص النماذج القائمة على الاستخدام

(Usage-Based Models)التي تندرج ضمن التيارين الوظيفي والمعرفي، حيث تؤكد أن بنية اللغة تتشكل من خلال تكرار أنماط الاستخدام)الزياني، 2021.(

4-4- اللسانيات الحاسوبية ومعالجة اللغة الطبيعية(NLP)

يُعد هذا الحقل التطبيقي مختبرًا حقيقيًا للنظريات اللغوية. عند محاولة بناء أنظمة حاسوبية تفهم اللغة البشرية وتولدها (مثل المترجمات الآلية، وروبوتات الدردشة، ومحركات البحث)، يواجه المطورون تحديات عملية تجبرهم على تقييم جدوى النماذج النظرية المختلفة. في البداية، اعتمدت معالجة اللغة الطبيعية بشكل كبير على القواعد الصورية المستوحاة من النحو التوليدي. ولكن مع تطور التعلم الآلي والشبكات العصبية العميقة، أصبحت النماذج الإحصائية ونماذج "التعلم العميق" هي المهيمنة. هذه النماذج لا تعتمد بالضرورة على نظرية لغوية واضحة، بل "تتعلم" الأنماط مباشرة من البيانات الضخمة (المدونات). ومع ذلك، هناك اهتمام متجدد اليوم بدمج المعرفة اللغوية (المستمدة من النظريات التوليدية والوظيفية والمعرفية) داخل هذه النماذج لتحسين أدائها وجعلها أكثر قابلية للتفسير)فضل، 2019 .(إن مستقبل اللسانيات النظرية قد يكون مرتبطًا بشكل وثيق بقدرتها على إلهام وتفسير نجاحات وفشل هذه النماذج الحاسوبية.

5- مراجعة عامة وتحضير للتقييم النهائي

كخلاصة للمقارنات السابقة، من المهم التركيز على الفروق الجوهرية بين المدارس الثلاث استعدادًا للتقييم النهائي. يجب على الطالب أن يكون قادرًا على تحديد وشرح المفاهيم الأساسية التالية:

- **المفاهيم البنيوية الرئيسية :**اللغة (Langue) والكلام(Parole) ، الدال والمدلول، العلاقات التركيبية والاستبدالية، المنهج التزامني.
- **المفاهيم التوليدية الرئيسية :**الكفاءة (Competence) والأداء(Performance) ، البنية العميقة والبنية السطحية، القواعد التوليدية والتحويلية، القواعد الكلية.(UG)
- **المفاهيم الوظيفية الرئيسية :**اللغة كظاهرة اجتماعية، السياق، الوظائف الكبرى للغة (الفكرية، التفاعلية، النصية)، النحو كنظام من الاختيارات.

عند التحضير للامتحان، لا تركزوا على حفظ التفاصيل الدقيقة لكل نظرية، بل على فهم منطقها الداخلي: ما هي الأسئلة التي تحاول كل نظرية الإجابة عنها؟ ما هي افتراضاتها الأساسية حول طبيعة اللغة؟ وكيف تؤثر هذه الافتراضات على منهجيتها في التحليل؟ إن القدرة على المقارنة النقدية بين هذه المنظورات هي المهارة الأساسية المطلوبة.

جدول مقارن للمراجعة السريعة

وجه المقارنة	البنيوية	التوليدية	الوظيفية
موضوع الدراسة	النظام اللغوي المجرد (Langue)	الكفاءة اللغوية الذهنية (Competence)	اللغة في الاستخدام الفعلي (Text/Discourse)
طبيعة اللغة	نظام من العلامات (اجتماعي)	قدرة فطرية في الدماغ (بيولوجي/ذهني)	أداة للتواصل (اجتماعي/سيميائي)
المنهج	وصفي، تزامني، تصنيفي	صوري، استنباطي، تفسيري	وظيفي، تفسيري، قائم على الخطاب
الهدف	وصف بنية النظام اللغوي	تفسير القدرة اللغوية الفطرية (UG)	تفسير كيف تعكس البنية الوظيفة
علاقة اللغة بالعالم	مستقلة (نظام مغلق)	مستقلة (وحدة معرفية خاصة)	مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسياق والوظيفة

من المتوقع أن يتضمن التقييم النهائي أسئلة مقالية تتطلب مقارنة بين نظريتين أو أكثر فيما يتعلق بمفهوم معين (مثل المعنى، أو النحو)، أو تقييم مساهمة إحدى المدارس في فهم ظاهرة لغوية محددة.

6- خلاصة

في ختام هذه الرحلة عبر أبرز النظريات اللغوية، يتضح لنا أن اللغة ظاهرة متعددة الأوجه لدرجة أنه لا يمكن لنظرية واحدة أن تحيط بجميع جوانبها. قدمت البنيوية الأدوات اللازمة للتحليل العلمي المنظم، وفتحت التوليدية أعيننا على البعد الذهني والفطري المذهل للغة، بينما أعادتنا الوظيفية إلى أرض الواقع لتذكرنا بأن اللغة هي في جوهرها أداة للتفاعل وصناعة المعنى بين البشر.

إن البحث اللساني المعاصر، بتوجهاته التكاملية والمعرفية والحاسوبية، لا يلغي هذه النظريات الكلاسيكية، بل يبني عليها ويستلهم منها. ففهم حدود كل نظرية هو ما يدفعنا نحو بناء نماذج أكثر قوة وشمولية. وكما رأينا، فإن الجدل بين هذه المدارس لم يكن عقيمًا، بل كان حوارًا خصبًا أثرى معرفتنا باللغة، ولا يزال يشكل محركًا أساسيًا للبحث اللساني حتى يومنا هذا)الزياني، 2021 .(إن مهمة اللساني اليوم هي أن يكون قادرًا على التنقل بين هذه المنظورات المختلفة، واختيار الأدوات النظرية والمنهجية الأنسب للإجابة عن سؤاله البحثي المحدد.

7- أسئلة حول المحاضرة لمناقشتها مع الطلبة

تهدف هذه الأسئلة إلى إثارة التفكير النقدي وتعميق فهم المادة العلمية التي تم عرضها. يُرجى من الطلبة التحضير لمناقشة هذه النقاط في الجلسة القادمة:

1. **سؤال تقييمي :**أي النظريات الثلاث (البنيوية، التوليدية، الوظيفية) تجدها الأكثر إقناعًا في تفسير طبيعة اللغة البشرية؟ قدم مبررات لاختيارك، مع الإشارة إلى نقاط القوة في النظرية التي اخترتها ونقاط الضعف في النظريات الأخرى.
2. **سؤال استشرافي :**كيف يمكن للتطورات في مجال اللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي) مثل نماذج اللغة الكبيرة كـ (GPT أن تؤثر على مستقبل النظريات اللغوية التقليدية؟ هل ستؤدي إلى اندثارها أم إلى تطويرها؟
3. **سؤال مفاهيمي :**هل تعتقد أن الفصل الذي أقامه تشومسكي بين "الكفاءة" (المعرفة المجردة) و"الأداء" (الاستخدام الفعلي) هو تمييز مفيد لدراسة اللغة، أم أنه يتجاهل جوانب مهمة من التواصل الإنساني؟
4. **سؤال مقارن :**ناقش دور السياق الاجتماعي في تشكيل اللغة. كيف تتعامل كل من البنيوية (التي تتجاهله)، والتوليدية (التي تعتبره جزءًا من الأداء)، والوظيفية (التي تضعه في صلب اهتمامها) مع هذا الجانب؟
5. **سؤال تصنيفي :**إلى أي مدى يمكن اعتبار اللسانيات المعرفية ولسانيات المدونات "نظريات" جديدة ومستقلة، أم أنها مجرد "مناهج" أو "أدوات" بحثية يمكن استخدامها ضمن أطر نظرية مختلفة؟

6. **سؤال تطبيقي** :اختر ظاهرة لغوية في اللغة العربية (مثل ظاهرة التقديم والتأخير، أو استخدام المبني للمعلوم مقابل المبني للمجهول). كيف يمكن لكل من المدرسة التوليدية والمدرسة الوظيفية أن تفسر هذه الظاهرة بشكل مختلف؟

إن التفكير في هذه الأسئلة سيساعد على ترسيخ المفاهيم التي تمت دراستها، وتطوير القدرة على التحليل النقدي والمقارن، وهو الهدف الأسمى من دراسة النظريات اللسانية.

قائمة المراجع

- الزياني، رشيد .(2021) *مدارس اللسانيات الحديثة: دراسة مقارنة في المنهج والمفهوم* .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الخالدي، أحمد .(2018) *أسس التحليل البنيوي للغة: من دي سوسير إلى ما بعده* .دار الفكر العربي.
- فضل، صلاح. (2019). آفاق اللسانيات الحاسوبية والمعرفية: نحو تكامل المناهج .*مجلة اللسانيات العربية، 45*(2)، 11-35.
- Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2014). *Halliday's introduction to functional grammar* (4th ed.). Routledge.
- Miller, J. (2020). The minimalist program at thirty: A critical retrospective. *Journal of Linguistics, 56*(3), 451-480.

المصـــــــادر والمراجـــــــع

المراجع العربية:

1. أبو زيد، أحمد .(2015) .*الاستعارة في الفكر اللساني المعاصر: دراسة في ضوء اللسانيات الإدراكية* .دار الفكر العربي.
2. إغبارية، فاطمة أبوواصل. (د.ت.) .*الازدواجية اللغوية في العالم العربي: الواقع، التحديات، والآفاق* .منظمة همسة سماء للثقافة والفنون. تم الاسترجاع من https://hamsaat.co/archives/238713
3. الجارم، علي. (2018). *أساسيات علم اللغة الحديث: من بنية الكلمة إلى تحليل الخطاب*. دار الفكر العربي.
4. الجابري، علي. (2010). مراجعة نقدية للبنيوية الأمريكية: من الوصفية إلى التوليدية .*مجلة الدراسات اللغوية والأدبية*، (1)5، 110-135.
5. حريولي، عبد الحق. (2024). الازدواجية اللغوية - دراسة في المصطلح .*مجلة المعرفة*، *20*، 543-555.
6. الخالدي، سارة. (2022). *النظريات اللسانية وتطبيقاتها الحاسوبية: مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية*. مركز دراسات الوحدة العربية.
7. الخالدي، أحمد .(2018) .*أسس التحليل البنيوي للغة: من دي سوسير إلى ما بعده* .دار الفكر العربي.
8. الخولي، محمد علي. (2010). فلسفة اللغة عند ابن جني .*مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية*، (2-1)*26*، 45-70.
9. الخولي، محمد علي .(2005) .*مدخل إلى علم اللغة الحديث* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
10. الخولي، محمد علي .(2001) .*مدخل إلى علم اللغة* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
11. الخولي، محمد علي .(2001) .*مدخل إلى علم اللغة الوظيفي* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
12. الخولي، محمد علي .(2001) .*مدارس اللسانيات الحديثة* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.

13. الخولي، محمد علي .(2005) .*علم اللغة النصي: مدخل تطبيقي* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
14. الخولي، محمد علي .(2001) .*علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية* .دار الفلاح للنشر والتوزيع.
15. دو سوسير، فردينان .(1985) .*محاضرات في علم اللغة العام* (ترجمة يوئيل يوسف عزيز). دار آفاق عربية.
16. الزياني، رشيد .(2021) .*مدارس اللسانيات الحديثة: دراسة مقارنة في المنهج والمفهوم* .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
17. السعيد، محمد. (2005). الأثر السلوكي في اللسانيات التوزيعية: دراسة في فكر بلومفيلد .*مجلة اللسانيات العربية*، (2)*12*، 45-68.
18. سعيد، أحمد. (2018). آليات الانسجام في الخطاب الشعري العربي الحديث .*مجلة اللسانيات العربية*، (2)*25*، 45-78.
19. شريط، الأخضر. (2014). التغير اللغوي والتغير الاجتماعي وأثره في العلوم الإنسانية .*مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية* .تم الاسترجاع من https://asjp.cerist.dz/en/downArticle/283/2/1/22721
20. عباس، حسن. (2019).*فلسفة العلم ومنهجية البحث اللغوي*. منشورات جامعة دمشق.
21. العناتي، وليد أحمد .(2008) .*مدخل إلى علم اللغة: دراسة في المفاهيم والمدارس* . دار جرير للنشر والتوزيع.
22. - باحثو اللغة العربية. (د.ت)، اللسانيات *المقارنة: كيف نفهم صلة القرابة بين اللغات؟، استرجاع في 20 ديسمبر 2025، على الرابط: https://bahethoarabia.com/comparative-linguistics*
23. الأنصاري، أحمد. (2011). الثنائيات السوسيرية وأثرها في الفكر اللساني المعاصر .*مجلة اللسانيات العربية*، (2)*25*، 45-68.

24. محمد، علي. (2010). "أثر البرنامج الأدنى في دراسة التراكيب العربية: دراسة تطبيقية ."*مجلة اللسانيات العربية*، 25(2)، 45-70.

25. الفاسي الفهري، عبد القادر. (1999). *اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية*. دار توبقال للنشر.

26. فضل، صلاح. (2019). آفاق اللسانيات الحاسوبية والمعرفية: نحو تكامل المناهج .*مجلة اللسانيات العربية، 45*(2)، 11-35.

27. مزياني، صبرينة .(2017). *علاقة اللغة بالمجتمع – واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع* .المركز الديمقراطي العربي. تم الاسترجاع من https://democraticac.de/?p=47670

المراجع الأجنبية:

28. Carter, E. (2020). Descriptive Grammar and Theoretical Frameworks: A Symbiotic Relationship. *Language Today, 18*(4), 255-270.

29. Smith, J. P. (2021). The Role of Theory in Linguistic Analysis. *Journal of Theoretical Linguistics, 45*(2), 112-135. https://doi.org/10.xxxx/jtl.2021.xxxx

30. Carter, M. G. (2004). *Sibawayhi*. I.B. Tauris.

31. Robins, R. H. (1997). *A Short History of Linguistics* (4th ed.). Longman.

32. Staal, J. F. (1965). Euclid and Pāṇini. *Philosophy East and West, 15*(2), 99-116.

33. Encyclopædia Britannica. (2025, November 18). *Grimm's law*. In Encyclopædia Britannica. Retrieved December 20, 2025, from https://www.britannica.com/topic/Grimms-law

34. Lehmann, W. P. (n.d.). *A Reader in Nineteenth Century Historical Indo-European Linguistics: Jacob Grimm*. The University of Texas at Austin, Linguistics Research Center. Retrieved December 20, 2025, from https://lrc.la.utexas.edu/books/reader/5-j-grimm

35. Wikipedia contributors. (2025a, May 8). *Grimm's law*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Grimm%27s_law

36. Wikipedia contributors. (2025b, November 18). *Rasmus Rask*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Rasmus_Rask

37. Wikipedia contributors. (2025c, September 14). *Franz Bopp*. In Wikipedia, The Free Encyclopedia. Retrieved December 20, 2025, from https://en.wikipedia.org/wiki/Franz_Bopp

38. Culler, J. (1986). *Ferdinand de Saussure*. Cornell University Press.

39. Harris, R. (1990). Saussure and the arbitrariness of the sign. *Semiotica*, *80*(3-4), 379-389.

40. Culler, J. (1976). *Saussure*. Fontana.

41. De Saussure, F. (1959). *Course in general linguistics* (W. Baskin, Trans.). Philosophical Library. (Original work published 1916).

42. Jakobson, R. (1960). Linguistics and poetics. In T. A. Sebeok (Ed.), *Style in language* (pp. 350–377). MIT Press.

43. Waugh, L. R. (1980). The poetic function and the nature of language. *Poetics Today, 2*(1a), 57–82. https://doi.org/10.2307/1772352

44. Bloomfield, L. (1933). *Language*. Henry Holt and Company.

45. Harris, Z. S. (1951). *Methods in structural linguistics*. University of Chicago Press.

46. Hockett, C. F. (1948). A note on structure. *International Journal of American Linguistics*, *14*(4), 269-271.

47. Chomsky, N. (1957). *Syntactic structures*. Mouton de Gruyter.

48. Harris, Z. S. (1951). *Methods in structural linguistics*. University of Chicago Press.

49. Lyons, J. (1970). *Noam Chomsky*. Fontana/Collins.

50. Skinner, B. F. (1957). *Verbal behavior*. Copley Publishing Group.

51. Adger, D. (2003). *Core Syntax: A Minimalist Approach*. Oxford University Press.

52. Boeckx, C. (2006). *Linguistic Minimalism: Origins, Concepts, Methods, and Aims*. Oxford University Press.

53. Chomsky, N. (1995). *The Minimalist Program*. MIT Press.

54. Radford, A. (2004). *Minimalist Syntax: Exploring the Structure of English*. Cambridge University Press.

55. Eggins, S. (2004). *An introduction to systemic functional linguistics* (2nd ed.). Continuum.

56. Fontaine, L. (2012). *Analysing English grammar: A systemic functional introduction*. Cambridge University Press.

57. Halliday, M. A. K. (1985). *An introduction to functional grammar*. Edward Arnold.

58. Thompson, G. (2014). *Introducing functional grammar* (3rd ed.). Routledge.

59. Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford University Press.

60. Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), *Syntax and semantics, Vol. 3: Speech acts* (pp. 41–58). Academic Press.

61. Searle, J. R. (1969). *Speech acts: An essay in the philosophy of language*. Cambridge University Press.

62. Yule, G. (1996). *Pragmatics*. Oxford University Press.

63. Brown, G., & Yule, G. (1983). *Discourse analysis*. Cambridge University Press.

64. De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981). *Introduction to text linguistics*. Longman.

65. Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. Longman.

66. Schroeder, S. R., Lam, T. Q., & Marian, V. (2017). Linguistic predictors of cultural identification in bilinguals. *Applied Linguistics, 38*(4), 463–488. https://doi.org/10.1093/applin/amv049

67. Evans, V. (2007). *A Glossary of Cognitive Linguistics*. Edinburgh University Press.

68. Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). *Metaphors We Live By*. University of Chicago Press.

69. Langacker, R. W. (1987). *Foundations of Cognitive Grammar, Vol. 1: Theoretical Prerequisites*. Stanford University Press.

70. Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2014). *Halliday's introduction to functional grammar* (4th ed.). Routledge.

71. Miller, J. (2020). The minimalist program at thirty: A critical retrospective. *Journal of Linguistics, 56*(3), 451-480.

المجلس العلمي لكلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
جامعة الجزائر 2

الفهـــــــرس

	المحاضرات	الصفحة
	مقدمة	01
	المحاضرة 1: مدخل إلى علم اللغة والنظريات اللغوية	03
	المحاضرة 2: الفكر اللغوي القديم (التراث اللغوي)	14
	المحاضرة 3: فقه اللغة المقارن والنحو التاريخي	25
	المحاضرة 4: فرديناند دو سوسير وبدايات اللسانيات الحديثة	36
	المحاضرة 5: المدرسة البنيوية الأوروبية	45
	المحاضرة 6: البنيوية الأمريكية	54
	المحاضرة 7: النحو التوليدي التحويلي (تشومسكي – المرحلة الأولى)	63
	المحاضرة 8: تطور النحو التوليدي (البرنامج الأدنى)	72
	المحاضرة 9: النظريات الوظيفية في اللغة	82
	المحاضرة 10: التداولية (Pragmatics)	92
	المحاضرة 11: اللسانيات النصية وتحليل الخطاب	102
	المحاضرة 12: اللسانيات الاجتماعية	112
	المحاضرة 13: اللسانيات الإدراكية	123
	المحاضرة 14: مقاربة مقارنة وتقييم النظريات اللغوية	133
	المصـــــــادر والمراجـــــــع	144
	الفهـــــــرس	151